دعوة الحق

الثقافة المغربية والمبادئ المشتركة

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية ويشؤون الثقافة والفكر

تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية

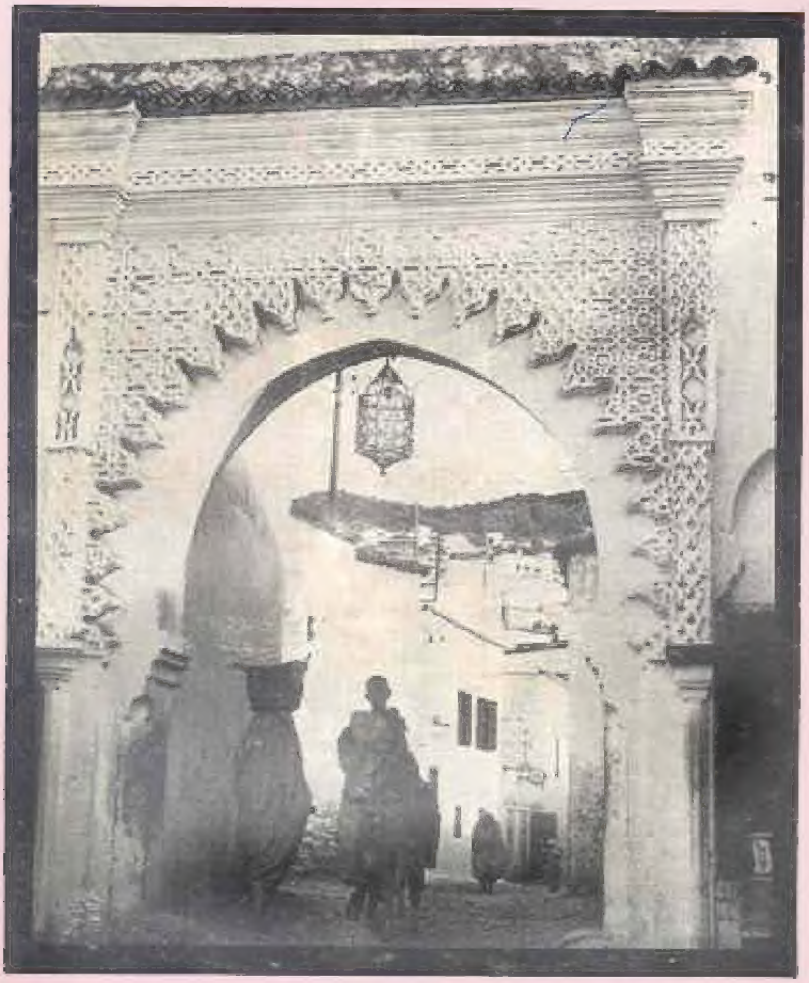

خصائص ظاهرة

الاستمرار

في المجتمع الإسلامي المغربي من خلال السيرة العطراء

2

نقد التحليل الماركسي للفلسفة الإسلامية

تحريف التاريخ

أهم مظاهره وأساليبه

تاريخ رسالة الإسلامية

العدد 4 السنة 18 جمادى الأولى 1397 - مايو 1977 ثمن العدد: 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
(مديرية الشؤون الاسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الرابع
السنة الثامنة عشرة
جمادى الأولى 1397
ماي 1977
ثمن العدد 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 - 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس العدد 3 السنة 18

● من موضوعات هذا العدد :
* الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن
* الحياة والعيش
* نقد التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية
* أحمد حسن الزيات ودوره في الادب المغربي
* نماذج من أدب الصحراء المغربية
* قراءة في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي
* خصائص ظاهرة الاستمرار في المجتمع المغربي
* المؤلفات المغربية في الصلاة على خير البرية

● ومن كتابه :
● عبد الله كنون ● محمد العربي الخطابي ● محمد المنوني
● سعيد أعراب ● الحدفي الحمراوي ● عبد الله الجراري
● محمد العربي الناصر ● ادريس الكتاني ● احمد البوعياشي
● محمد بن الطيب العلوي ● عثمان عثمان اسماعيل ● زين العابدين الكتاني
● محمد احمد شماعو ● أحمد تسوكي ..

● ومن أبوابه :
— من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
— شهريات الفكر والثقافة
— شهريات العالم الإسلامي
— رسالة مصر الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الثقافة المغربية والمفاهيم المستوردة .

● شغل العقل العربي الاسلامي بالبحث فى مدلول الثقافة وعلاقتها بالحضارة والعقيدة الاسلامية ردحا طويلا من الزمن . وخاض فى هذا الموضوع اعلام الفكر والادب فى العالم العربي والاسلامي كل من وجهة نظره وزاوية اختصاصه وانتجوا فى هذا الميدان مآت الكتب وآلاف المقالات فى كبريات المجلات العربية من « الفتح » و « الزهراء » و « الرسالة » و « الثقافة » الى « الاديب » و « الآداب » و « الفكر المعاصر » و « المجلة » و « مواقف » و « المعرفة » و « دعوة الحق » التي سجلت أعدادها مناقشات ومعارك ادبية أثرت الحياة الفكرية فى المغرب بشهادة كبار المفكرين والكتاب العرب من المشرق والمغرب . واستغرق النقاش والجدل حول مفهوم الثقافة نصف قرن او يزيد الى ان حلت بالامة الاسلامية نكبة يونيو 1967 ففتر الحماس قليلا وانصرفت الاقلام الى موضوعات سياسية وفكرية وحضارية ، ولم نعد نقرا فيما تصدره المطابع العربية بحثا فى الموضوع . ولا يستثني من ذلك الوضع الثقافي فى المغرب طيلة السنوات التي أعقبت النكسة .

وبتباين المفاهيم ووجهات النظر وانعكاس الصراع السياسي والمذهبي على قضايا الفكر والثقافة نتج خلط كبير ، وتفاقمت الازمة حتى لم يعد بامكان الانسان العربي المسلم ان يطمئن الى اقتناع عقلي يحسم به الصراع حسما ويريح به ضميره . وطرح السؤال الكبير الذي لا يزال موضع اخذ ورد الى يومنا هذا :

- ما هي الخصائص المميزة لثقافتنا ؟

واحيانا كان يطرح السؤال بصيغة اخرى :

- من نحن ؟ . وهل لنا ثقافة ؟ .

وبدا واضحا بادىء ذي بدء ان القضية ذات ابعاد عقائدية وسياسية خطيرة ، وانها تتعدى « الاطار الادبي » الضيق المحدود الى مجال ارحب واشمل يستوعب الماضي والحاضر والمستقبل ويتغلغل في نسيج العقيدة وصلب الحضارة وقلب التراث وعمق المكونات النفسية والوجدانية والفكرية لامتنا العربية الاسلامية .

وكان منتظرا ان ترتفع معاول الهدم والتخريب ليلبلة الافكار والتشكيك في العقيدة وزرع الالغام في أذهان الاجيال الصاعدة في المدارس والمعاهد والجامعات ، وارتفعت اصوات منكرة تلغي ـ دفعة واحدة ـ عامل العقيدة من الثقافة وتجردها تماما من مقوماتها الدينية لتجعل منها ثقافة بدائية تعتمد على اشكال من الفلكلور والوان مما يدعونه « بالابداع الشعبي » و « الخلق الفني » وكان اربعة عشر قرنا من الحضارة اضغاث أحلام ..

وشهدت الساحة الفكرية في طول وعرض الوطن العربي الاسلامي معارك حامية كان التاثير الاجنبي فيها غالبا وطاغيا ومستبدا الى اقصى حدود الاستبداد . ورأينا عجبا : تواطؤ القوى الفكرية والايديولوجية في وطننا الكبير ضد الثقافة العربية الاسلامية ، وتكاثف جهودها جميعا وبصور واشكال مفضوحة ومكشوفة في معركة اعتبروها مقدسة للاجهاز على الفكر الاسلامي بأسلحة التشكيك والتضليل والافتراء والكذب والادعاء والتزوير والتشويه وقبل هذا وذاك بالارهاب الفكري والاعلامي المكثف والموازي للضغط السياسي والاقتصادي الرهيب .

وفي فترات متقاربة تحركت كل الجبهات المعادية للاسلام . بدأ التحرك أولا بالجبهة الصليبية التبشيرية من العشرينات الى الخمسينات، ثم انتقل لواء الحرب الى الجبهة الشيوعية الماركسية ، ثم اقتضى تكتيك الغزو أن تتحالف الجبهتان بايعاز من الصهيونية العالمية بغية اختصار المسافة والاقتصاد في « نفقات الابادة » ..

وهي المرحلة الراهنة التي نمر بها الآن : عدوان من كل جانب ، وغزو بكل سلاح ، وتآمر من كل لون حتى ان اتخذ شكلا ثقافيا ، او اصطبغ بصبغة ادبية ، او اكتسى طابعا اعلاميا محضا .

ومن الخطأ التقليل من شأن المعركة الثقافية الدائرة اليوم في العالم العربي والاسلامي او الاستهانة بها ، او النظر اليها من زاوية ثقافية بالمفهوم الحرفي للثقافة . ذلك ان هذه المعركة مظهر من مظاهر الغزو الفكري والاكتساح الثقافي والغارة المذهبية . وليس يعقل ان نغض الطرف عن ذلك كله في الوقت الذي اصبح وجودنا المعنوي مهددا حقيقة لا مجازا .

والقضية في عمقها وجوهرها تتصل اتصالا وثيقا بالصراع القائم بين الاسلام كعقيدة ونظام حياة متكامل وسلوك وشريعة وبين العقائد والايديولوجيات والانظمة المناهضة للدين جملة وتفصيلا .

ومن هنا ننظر الى ما يدعى « باشكالية الثقافة المغربية المعاصرة ».

● فمن اين تاتي هذه « الاشكالية » اذن ؟

الواقع ان معالجة موضوع الثقافة المغربية المعاصرة تفقد كل اهمية ان لم تنطلق اساسا من الحقائق التاريخية والحضارية التالية :

اولا : « اسلامية » الثقافة المغربية .

ثانيا : « عروبة » الثقافة المغربية .

ثالثا : « مغربية » الثقافة المغربية .

رابعا : « واقعية » الثقافة المغربية .

فمن حيث الحقيقة الاولى فلا احد يستطيع ان ينكر بجرة قلم او بغلتة لسان الخصائص الاسلامية الاصيلة ، لثقافتنا بما يعني ذلك من اصطباغ هذه الثقافة بالصبغة الدينية التي تنفخ فيها روح الاصالة الحقة وتربطها بوجدان الشعب وتجعل منها ميزة من مميزاته القائمة الذات . ولسنا نعني بذلك ان نقصر الامر كله على المسائل الفقهية والمصطلحات الدينية كما يفهم الغرب المصطلح الديني . بل على العكس من ذلك ، فان كل انتاج حضاري او ادبي (ولا نقول الخلق او الابداع لانهما من صفات الله سبحانه وتعالى) مهما كانت نوعية تعبيره واسلوب ادائه يدخل في هذا المضمار . بما في ذلك فنون القول والعمار والتعبير الشعبي عن الانفعالات الجماعية وردود الفعل تجاه الاحداث والكوارث والازمات وقضايا الحياة من حرب وسلم ، ونصر وهزيمة ، ورخاء وشدة ، وسراء وضراء ، وصعود وهبوط في سلم الرقي الاجتماعي . وليس من طبيعة الاسلام ان يفصل بين جزئيات الحياة ويصنفها الى مادي وروحي . فهذا المفهوم دخيل على ثقافتنا . ومن ثم ينبغي الا نقع في المحظور فننظر الى قضايانا الفكرية والثقافية من وجهة نظر باطلة من الاساس .

والغريب ان تلامذة الفكر الاوروبي في البلاد العربية والاسلامية يقبلون ان تكون الثقافة في الغرب راسمالية او ماركسية ـ تبعا لنظام

الدولة واتجاهها الايديولوجي ـ ويرفضون في نفس الوقت ان تكون ثقافتنا اسلامية . «كان الاسلام خطبة في مسجد او امداح في ليلة مولد». في حين ان هذا الدين جاء ليهيمن على الحياة ويتحكم في مساراتها ويخضع الانسان لقبول حكمه ورأيه النافذ في جميع شؤونه واحواله .

وهل يزعم احد في دولة ماركسية ـ مثلا ـ على ان يجرد الثقافة السائدة هناك من صبغتها الماركسية ؟

انه من باب تحصيل الحاصل ان تكون الثقافة في بلد ما خاضعة بالضرورة ـ وبالمنطق والعقل ـ للعقيدة والقيم والمفاهيم السائدة .

وبهذا المعيار فان الثقافة المغربية اسلامية الروح والمضمون والمحتوى .. كان هذا في الماضي ونعيشه في الحاضر وينبغي ان يكون في المستقبل ان شاء الله . وهنا تتبلور رسالة المثقفين المغاربة ، وفي طليعتهم حملة الفكرة الاسلامية ودعاتها والمبشرون بها .

● ان انكار الروح الاسلامية للثقافة المغربية الغاء لتاريخنا الحضاري بالمرة . وليس مما يتفق وطبائع الاشياء ادعاء ذلك او مجرد التلويح به . لان القول بهذه الفكرة يعتبر في الواقع تكريسا لجهود الاستعمار الذي كان يشيع في اوساطنا اننا امة من الهمج لا تاريخ لها ولا حضارة ولا ثقافة .

ومن اشد الامور ايلاما للنفس ان يروج مفكرون عرب لهذه الدعاوي الباطلة ويبثونها في المحافل الثقافية والتعليمية بشيء غير قليل من الحماس والجهد والصبر . وما دروا انهم يخدمون مخططات الاستعمار العالمي من حيث يشعرون او لا يشعرون .

ولا يمكن ان نقبل في المغرب المسلم المجاهد الصامد هذه المفاهيم الدخيلة تماما كما لم نقبل بالامس القريب تجزئة ترابنا وتفتيت وحدتنا . لانه في منطق الوطنية المغربية الاسلامية سيان بين غزو الارض وغزو الفكر ، وبين تمزيق الوحدة الترابية ، وبين تشطير الرأي العام المغربي الى شطرين ؛ شطر مؤمن بالمقدسات والمقومات والتراث ، وشطر ثان منكر للقيم والثقافة والحضارة كلها . وثمة تلازم لا ينكر بين الحالتين باعتبار ان الحالة الاولى (غزو الارض) تمهيد للحالة الثانية (غزو الفكر).

وبهذا الوضوح ننظر الى قضية الثقافة المغربية المعاصرة دون ان نسمح لانفسنا بالفصل بين الثقافة والعقيدة ، او بين الادب والدين ، او بين اللغة والتراث ، او بين السياسة والفكر .

ولسنا وحدنا نمزج هذه المقومات كلها في اطار الاسلام ، فان خصوم ديننا من صليبيين وصهاينة وشيوعيين واستعماريين جدد يبذلون قصارى جهدهم للجمع بين هذه الاغراض جميعا في وحدة يزعمون انها عضوية لا تقبل التجزئة او التشتت ، فاذا قالوا بالثقافة فهي ثقافة ماركسية ملحدة ، واذا قالوا بالادب فهو ادب ماركسي ملحد ، واذا قالوا بالفن فهو ـ ايضا ـ

فن ماركسي ملحد . وقل مثل ذلك عن المدرسة الليبرالية في الفكر والفن القائمة على التصورات الاغريقية للانسان والحياة والكون .

● فهل النظرة الشمولية للثقافة حلال عليهم حرام علينا ؟ .

● أم يا تراه الارهاب الفكري يسير في خط متواز مع الغزو العقائدي؟

واذا انتقلنا الى المرتكز الثاني من مرتكزات الثقافة المغربية وجدنا انفسنا وجها لوجه امام اللغة العربية باعتبارها وعاء الاسلام وقالبه . وهنا يدخل ذلك الصراع الخفي الذي يدور حول الفصحى والعامية او بين التعريب والتغريب ، او على مستوى أقل تطرفا المناداة بتعديل قواعد النحو والتبشير بالبلاغة الجديدة وتجاوز البيان العربي المشرق بدعوى التخفيف من التقعر والتحرر من اثقال المحسنات البيانية . وهي كلها دعاوي يراد بها ـ بالدرجة الاولى ـ احداث فجوة عميقة الغور بين الاجيال الصاعدة وبين فكرها وثقافتها وتراثها المدون باللغة العربية ، حتى يحين على امتنا زمن تترجم فيه « العربية » الى العربية .

والحق ان الاستخفاف بالفصحى واحتقار الاسلوب العربي المبين ضرب من ضروب الحرب الشرسة الموجهة ضد الاسلام وثقافته .

وعلى هذا الاساس ، وبهذا الاقتناع تكون الدعوة الى تجريد الثقافة المغربية من طابعها الاسلامي والعربي مدخلا رئيسيا الى تمييع الشخصية المغربية المؤمنة والاسهام في الغزو العالمي الذي يكتسح العالم العربي والاسلامي في هذه المرحلة .

واستمرارا في هذا الاتجاه ، وقياسا على ما سبق ذكره فان « مغربية » ثقافتنا ليست دعوة رجعية الى الاقليمية الضيقة ولكنها تاكيد للسمات المحلية الاصيلة التي تبرز خصائص شعبنا المؤمن والمجاهد عبر العصور وتكشف ـ بالتالي ، عن جوهره وثقافته ودوره في الحضارة العربية والاسلامية . ونحن هنا نختلف ـ على طول الخط ـ مع دعاة القومية المتحجرة المتناقضة مع شمولية الدعوة الاسلامية . ذلك ان طرح مبدأ « مغربية » ثقافتنا (ولا نقول مغربتها للفرق الاساسي بين الاصطلاحين) وجه من وجوه استقلال ارادتنا ، وهو موقف لا بديل عنه في مواجهة دعوات الغزو الاوربي القائم اساسا على فكرة « الانفصام » من جهة ومبدأ « الانفصال » الاستعماري من جهة اخرى .

وبذلك تكتمل عناصر المعادلة ويرتفع الالتباس ..

● ويمكن ان نجزم الآن في يقين وايمان ان الثقافة المغربية هي قطعا ثقافة اسلامية عربية وبمعنى آخر فان من ينتكر لاسلامية وعروبة ثقافتنا التاريخية والمعاصرة والمستقبلية على سواء انما ينتكر في الواقع ، وبكل المقاييس ، لذاته ولامته ولوطنه .

و « الاشكالية » المطروحة على بساط الدرس والتحليل والمناقشة نابعة اساسا من هذا التنكر .

ومن ثم ، فان القضية ـ كما راينا ـ تكتسي طابعا اسلاميا محضا ، على الرغم من خداع العناوين .

وهكذا فان المعركة الثقافية من صميم المعركة الاسلامية الكبرى التي يخوضها المغرب بقيادة امير المؤمنين جلالة الحسن الثاني ايده الله .

- معركة الاصالة واثبات الذات ...
- معركة بناء الاقتصاد والانسان ...
- معركة تحرير الارض والعقل ...
- ومعركة اليوم والغد تحت راية الاسلام ولواء العرش العلوي المجاهد ..

« دعوة الحق »

المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب

- ينعقد بمدينة اكادير ايام 6 ـ 7 ـ 8 ماي الجاري المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب . ومن المنتظر ان يدرس المؤتمر قضايا اسلامية واجتماعية متنوعة ويصدر توصيات هامة على الصعيدين الوطني والعربي الاسلامي .

ويتميز المؤتمر السادس بحضور وفود العلماء المغاربة من اقاليم الصحراء المسترجعة الذين كانوا فيما مضى يحرمون من حضور مثل هذه المؤتمرات الهامة .

وياتي مؤتمر رابطة علماء المغرب في وقت احوج ما تكون فيه الامة الاسلامية الى سماع كلمة الاسلام الصريحة الصادقة في شؤون حياتها المعاصرة .

« دعوة الحق » تحيي علماء المملكة في مؤتمرهم العام ، وتتمنى لهم التوفيق والنجاح لخدمة الاسلام والمسلمين تحت راية العرش العلوي المجيد ●

الرد القرآني

على كتيب: "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟"

٩

للأستاذ عبد الله كنون

عيد الاضحى :

مهد الكاتب للكلام على عيد الاضحى بما يقوله بعض المفكرين الاجتماعيين في نشأة الانسان البدائي وتكون العادات والطقوس الدينية لديه ، ومنها تقديم القرابين والضحايا الى ما كان يقدسه ويؤلهه من مظاهر الطبيعة والقوى الخفية والاوثان والاصنام ، وهم يرجعون ذلك الى عجز الانسان امام هذه القوى وما يشعر به من خوف من سطوتها التي لا تقهر، فهو يتوسل الى استجلاب رضاها وتجنب انتقامها منه ، بالقرابين والضحايا التي يقدمها اليها .

ولما كان باعث الانسان على ذلك هو العجز والخوف فانه لم يكن يفرق بين الآلهة والمردة من الجن والشياطين والارواح الخبيثة وغيرها، ويعتقد ان الآلهة فيها آلهة خير وآلهة شر، وانها تتدخل في حياته بما يسوء ويسر ، فمن واجبه بل من اسباب الدفاع عن نفسه وسعادته وسعادة اسرته ، التودد الى هذه الآلهة والتقرب منها بالضحايا والقرابين ومختلف الهدايا وكذا الى القوى الشريرة الاخرى من العفاريت والكائنات الموهومة والخيالات .

ثم يقول هؤلاء المفكرون ـ ويسير الكاتب التقدمي في ركابهم ـ انه لما تكونت الطبقات الاجتماعية ، صارت الطبقة الضعيفة المظلومة ، تعتقد بحياة أخروية تنتصف فيها من ظالميها ، والرهبان يؤكدون ان الانسان خلق خاطئا ، فعليه ان يقدم ضحية لله ليغفر له خطيئته ، وتعليقنا على هذا التخيل المسمى بالتفكير أنه أولا مصادم للعقيدة الدينية الصحيحة والاسلامية منها بالخصوص، لانه يبنى على ان الانسان وجد عبثا وترك سدى ، فبقي في عماية الجهل وظلمات الشرك، يتلمس الطريق ولا يهتدي الى الحق سبيلا،والشياطين تعبث به والاوهام تذبذبه ، ولا شفيق ولا رحيم ، فأين هذا مما جاءت به الاديان السماوية في بدء الخليقة وزكاه القرآن ، من ان الله عز وجل لما خلق آدم ، ابا البشر ، كرمه وعلمه ، واسجد له ملائكته ونباه فكان اول مرشد لبنيه وذريته من بعده ، الى عبادة الله الواحد الاحد ، وسلوك الطريق المستقيم ، وعدم التورط في حبالة الجاهلية والخلط بين قوة الطبيعة المخلوقة ، والاله الخالق كما يقول هذا التفكير السقيم ؟ وما دام الكلام في امور غيبية لا يتوصل الى معرفة حقيقتها بالظن والتخمين ، فاي عاقل يقدم هذه الافتراضات والاوهام على خبر السماء المنقول الينا بالتواتر جيلا عن جيل من اقدم عهود التاريخ ؟

وثانيا فان هؤلاء المفكرين لو كانوا هم الذين فطروا الانسان وكونوه من اول يوم ، لما زادوا على هذا الترتيب والتنظيم الذي تخيلوه لتنقل الانسان في مراحل تفكيره وبحثه عن حقيقة الوجود شيئا . الا ان واقع الحياة وتاريخ الانسانية لحسن الحظ ، يكذبهم فلم تزل التواريخ تنقل الينا اخبار الانسان وتطوره في مجال المعرفة والحضارة ، ونفوذه الى اسرار الطبيعة وتحكمه فيها لصالحه ، منذ اقدم العصور ،

مما يعارض على طول الخط هذه البدائية المزعومة والسذاجة المفروضة . والآثار الباقية عن القرون الخالية تؤكد ما يرويه التاريخ ، ومعطيات الحفريات في مواطن الامم والشعوب المتقرضة ، تفيد انها كانت على جانب من المدنية وسمو التفكير ، ينسف كل هذه الآراء والاحتمالات البعيدة عن الواقع . هذا الى أن شعوبا وقبائل في مجاهل افريقيا وآسيا وأمريكا وأوربا كالاسكيمو من سكان القطب الشمالي ، ما يزالون يمثلون الانسان البدائي المزعوم ، فلو ان الانسانية كانت تتقدم بتقدم الزمان ، على هذا المنوال من تفكير القوم ، لما بقيت هذه الشعوب والقبائل على جاهليتها الجهلاء ولكانت قد لحقت بقافلة الانسانية ولو في تفكيرها الديني على الاقل ، لكن الحقيقة هي ان المعرفة بالله سابقة على الجهل ، وقد اتى بها النبيئون والمرسلون ، لانها لا تعرف من غير طريقهم ، ولان الله عز وجل ما كان ليواخذ الانسان الذي اختار التكليف ، قبل ان يدلله على الطريق ، وذلك ما تصرح به الآية القرآنية الكريمة «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» وقد تعترى الجاهلية طائفة من الناس او شعبا من الشعوب ، فيضل بعد الهدى ، ويغوى بعد الرشد ، لغلبة الشهوة والهوى على النفوس ، وذلك هو مدلول قوله تعالى في آية اخرى «ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون» .

ويسف هذا التفكير الى حد السفاهة حين يزعم أن الاعتقاد بالحياة الاخروية نشأ مع تكون الطبقات الاجتماعية، عند الطبقة المظلومة ، والحالة ان الاعتقاد بالحياة الاخرى هو من طبيعة الايمان بوجود الله والثقة في عدله ، وقد كان قبل وجود الطبقات وبعد وجودها ، اذا صح ان الطبقات لم تكن في وقت من الاوقات ، وهو موجود حتى في المجتمع الذي يقال انه قضى على الطبقية أي المجتمع الاشتراكي ، ولا يتعزى المسحوقون والمظلومون في هذا المجتمع بالذات ، الا بالايمان بالعدالة الالهية يوم يقوم الناس للعرض والحساب ، أما ان الرهبان يقولون ان الانسان ولد خاطئا ، فهذا من التحريف الذي أدخل على النصرانية لتبرير الاعتقاد بالصلب والفداء ، واعتقادنا معشر المسلمين ان الانسان لا يواخذ الا بما جنى ، وأن ما يزعمه النصارى في الخطيئة الكبرى التي لزمت آدم وبنيه بالاكل من الشجرة التي نهي عنها فانه خرافة باطلة ، والله تعالى قد غفر لآدم عليه السلام هذه المخالفة ، كما في آيات عديدة من القرآن الكريم ، وليس اسخف من هذه العقيدة الا عقيدة الصلب الذي يقولون عنه انه كفارة عن تلك الخطيئة، كان الله تعالى عن قولهم علوا كبيرا ، لم يستطع أن يغفر لآدم خطيئته الا بصلب ابنه أو نفسه باعتبار الابن هو عين الاب في زعمهم ، ولكن اذا كان الامر كذلك فكيف استطاعت الضحايا ان تكفر الخطايا التي يرتكبها الانسان فيما بعد ، وقد يكون فيها من القظاعة والشناعة ما يجعل خطيئة الاكل من الشجرة كلا شيء بالنسبة اليها ؟

نحن لا نناقش هنا العقيدة المسيحية ، وانما نعرض فكر الرجل او بالاحرى التفكير الذي يحمل المتناقضات، وهو يجادل في أحقية الدين ، ثم لا نغفل عن قوله ان الاعتقاد بالحياة الاخرى من شأن الطبقة الضعيفة ، وما يلزم عليه من أن غيرها من الطبقات لا تعتقد بتلك الحياة ، فهل هذا صحيح ، وما من طبقة الا وهي أضعف ممن فوقها ، وكمثال على ذلك تروتسكي مع ستالين ؟..!

بعد ذلك يقول السفير السوفياتي رحماتوف : «وكانت الضحايا في الزمن القديم من النساء والاطفال ثم صارت من العبيد وبعدهم من الحيوانات» وقوله هذا يخالف المأثور والرواية الصحيحة ، فان اول ما عرف من القرابين او من اوله قربان ولدي آدم عليه السلام وهما هابيل وقابيل ، وكان قربان هابيل كبشا وقربان قابيل زرعا ، فالتضحية بالحيوان والكبش بالخصوص هي الاقدم والاسبق ، والتضحية بالنساء كانت في مصر على ما يذكر التاريخ من ان المصريين كانوا عندما يتأخر وفاء النيل يرمون فيه بفتاة حسناء بعد ما يزينونها ويحتفلون لذلك اعظم احتفال .. وطبعا كان هذا قبل الاسلام ، فلما هموا بفعل ذلك بعد الفتح الاسلامي منعهم عمر بن الخطاب، وقال: ان كان وفاؤه من عند الله فسيأتي ، وان كان من عندياته فلا حاجة لنا به ، وهكذا لقنهم العقيدة الصحيحة وأنقذ تلك النفس البشرية من الظلم الذي كان سيحق عليها ، ولكن المؤلف (الديبلوماسي) لم يشر الى هذه القضية من قريب ولا من بعيد ، لانه سيقر حينئذ بفضل الاسلام على الحرية الانسانية ، وليس هذا من أغراضه !

كما ان الاسلام حرر العبيد ولم يعترف بنوع من العبودية مما كان يمارس قبل مجيئه، وبالضرورة فانه

لم يعرف في تاريخه شيئا من التضحية بالعبيد . نعم أبقى الاسلام على الاسترقاق او الاسر بعباره اخرى في حالة واحدة وهي حالة الحرب ، فيما اذا كان ذلك ضروريا ، لانه لم يكن هناك قانون دولي لتبادل الاسرى ، وليس من المعقول ان يطلق المسلمون أسرى عدوهم في حين ان العدو يسترق أسراهم، فلما أدركت الانسانية مغزى الغاء الرق في الاسلام وسنت الدول الكبرى قانون تبادل الاسرى والغاء الرق ، لم يكن هناك مشكل بشأن هذه القضية في العالم الاسلامي ، وهذه السابقة العظيمة لتحرير العبيد التي جاء بها الاسلام لم يعرج عليها المؤلف ايضا لمعاداته له.

ويصل المؤلف الى غايته المقصودة فيقول : «ان القرآن يقص أن النبي ابراهيم عليه السلام اراد أن يضحي بابنه اسماعيل ، ولكن سكينه كانت كليلة ، فلم يستطع ان يذبحه ، وأرسل اليه في نفس الوقت ملكا يحمل كبشا فكان هو الضحية ومن ذلك الحين صارت العادة أن يضحي الناس بالحيوان»

وفيما حكاه المؤلف مخالفة للرواية الصحيحة ، فان السكين لم تكن كليلة ، ومن غير المعقول ان يعتزم ابراهيم التضحية بابنه ويأتي بسكين كليلة ، ولكن الواقع ان السكين كانت تنقلب في يده ولا تعمل عملها ، وكان الامر يتعلق بامتحان ابراهيم وصدق ايمانه وقوة عقيدته واخلاصه لله ، فلما اظهر تصميمه وتنفيذ عزمه ، وظهر ايضا صبر الولد واستسلامه لقضاء ربه ، افتداه الله بكبش فكان هو الضحية والقربان ، على ما تعوده الناس من عهد آدم عليه السلام .

ومما يجب معرفته ان هذا الامتحان كان نتيجة رؤيا منامية رآها ابراهيم ، ومع ذلك فلم يتردد في تحقيقها هو والولد المطيع ... ومن العجب العجاب ان ينتقد بعض الملاحدة هذه القصة في حين انهم ينوهون بكثير من أمثالها مما يرتكب في الحروب العدوانية ، ويرونه شجاعة واخلاصا وتضحية ، وهو لم يكن الا تكريسا لمطامع وقضايا استعمارية وتسلطية صرف ، في حين أن هذه انما يعبر بها عن صدق الايمان بالله وعمق الشعور الديني والمبادرة الى طاعة الخالق ولو كانت شاقة على النفس .

وأعجب من ذلك من تأخذه الشفقة على الحيوان وينكر التضحية به، كأن ملايين الرؤوس من الحيوانات التي تذبح يوميا في مختلف بقاع العالم، لا تعد ضحايا وانما الضحية التي يتوخى ذابحها التقرب بها الى الله، وان كانت هي أيضا ستؤكل ويعطى منها للفقراء ويكون مصيرها هو مصير الملايين المشار اليها ، فلم تختلف عن غيرها الا بهذه النية الحسنة !

ولا نمر دون ان نشير الى ما في كلام هذا المؤلف من المؤاخذة اذ حمل ابداء التضحية بالحيوان من قصة ابراهيم ، وهي كما نبهنا عليه من قبل ، كانت منذ بدء الخليقة ، وكانت كذلك بكبش ، ولا أدل على ذلك من امتحان ابراهيم عليه السلام بهذا الامر ، فانه لم يكن معهودا ولا معمولا به ولو كان كذلك لما حمل محمل الامتحان واستغرب غاية الاستغراب فاذا كان المؤلف اخذ التضحية بالاطفال في الفترة السابقة عنه من هذه القصة ، فانه مخطئ، ومستدل بما لم يعم!.

ويتعرض هذا الكاتب للكلام على عيد الاضحى فيقول انه يقترن بخرافة مضحكة ، وهي اعتقاد المسلمين ن الضحايا من بقر وغنم في هذا العيد ستكون مطايا لهم للجواز على الصراط الذي هو قنطرة فوق جهنم، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، وسيجدونها في انتظارهم عند القنطرة ، فتنقلهم سالمين الى الجنة، وهذا الكلام فيه من التزيد والاختلاق وسوء الفهم وعدم التروي ، ما لا يصدر الا عن ملحد متعنت مثله، وهو اشبه بكلام العوام منه بكلام الخاصة ، الذي يضع المؤلف نفسه بينهم ، فلم يرد فيه ما يعتمد عليه باستثناء الصراط ، فانه حق ، ويجوزه العباد على قدر أعمالهم ، فمنهم من يجوزه كالريح ومنهم كالبرق ومنهم كأجاويد الخيل فتاج مسلم ومخدوش مكردس في جهنم كما في الصحيح ، ثم هذا على سبيل التقريب والتمثيل ، والا فالامور الأخرة لا تقاس على امور الدنيا ، وما يروى من ان الضحايا هي المطايا فالمراد به المجاز لا الحقيقة ، ومعناه ان من اخلص قربته الى الله كان ذلك سببا في دخوله الجنة ومن أشرك بالله شيئا دخل النار، ويدل عليه الحديث الذي اخرجه ابن ابي شيبة واحمد في الزهد والبيهقي في شعب الايمان عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال : قال سلمان دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل رجل النار في ذباب ، قالوا وما الذباب ، فرأى ذبابا على ثوب انسان، فقال هذا الذباب، قالوا وكيف ذلك؟ قال : مر رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم، لا يجاوزه احد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لهما : قربا لصنمنا قربانا ، قالا : لا نشرك بالله شيئا ، قالوا قربا ما شئتما ولو ذبابا فقال أحدهما لصاحبه

ما ترى؟قال احدهما لا اشرك بالله شيئا ، فقتل فدخل الجنة . فقال الآخر بيده على وجهه (اى مر بها عليه) فاخذ ذبابا فالقاه على الصنم فخلوا سبيله فدخل النار ذكره بلفظه فى الدر المنثور عند قوله تعالى : «ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا» فالمغزى من الضحية والاخلاصها لله هو عقيدة التوحيد والتبرؤ من الشرك بكل وجه ، ما دق منه او جل ، وذلك هو الطريق الى الجنة ، وبذلك كانت الضحايا بهذا المعنى مطايا اليها . ومن اين لفهم غليظ ، وعقل محجوب كعقل هذا الملحد ان يدرك المعانى الدقيقة والمدلولات البليغة للتراكيب والجمل العربية الراقية وايضا فان مما يقصد بذلك اللفظ ان تكون الضحايا سليمة من العيوب وصحيحة لا مريضة بحيث لو كانت مما يركب كالجمال لركبت فكانت مطايا الى الجنة بهذا الاعتبار ، وقد جاء فى الآية الكريمة (والبدن جعلناها من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ، لن ينال الله **لحومها** ولا **دماؤها** ولكن يناله **التقوى منكم**» .

ويزيد الكاتب قائلا : «عيد الاضحى يشتمل على عبادة اخرى هى الحج الى مكة ، والحاج يلزمه ان يشترى ماء زمزم والتمر ، وعليه ان يضحى بكبش او ثور ، باعتقاد ان هذه الاشياء تشفى الامراض ، وهذا هو سبب زيارة الناس للحاج لما يرجع الى بيته، ليشربوا من الماء ويلوكوا التمر بافواههم» وفى كل ما تكلمه المؤلف يبين عن جهله الفادح بما يخوض فيه ويتناول الكلام عليه ، وبما انه سكت عن الحج ولم يقل عنه شيئا ، لانه بذلك سيعترض على الحج اليومى الذى تنظمه السلطات الشيوعية للسكان فى الاتحاد السوفياتى جبرا عليهم الى ضريح لينين ، فانا انما نرد على ما قاله فى وجوب شراء الحاج لماء زمزم والتمر، والتضحية بكبش او ثور حسب تعبيره، وهذا كله باطل لا صحة له ، فانه لا يجب على الحاج شيء من ذلك ، وماء زمزم مبذول لكل احد سواء كان حاجا او غير حاج ، وأما التمر فمن شاء اشتراه ومن لم يشأ فهو بالخيار من امره ، وانما يشتريه فى الغالب من لا يكون من منتجات بلاده ، واشتراؤه على العموم هو كما يشترى كل مسافر الى اى ارض ، ما يعجبه من طرفها وبضائعها لنفسه او لاقربائه واصدقائه ليقدمه اليهم هدية عند رجوعه من سفره .

واما الضحية فقد قدمنا الكلام عليها فلا نعيده ، وهى فى اصلها لا تجب على احد ، وان كان حكمها فى الحج يختلف عنه فى غيره احيانا .

ومن بلادة هذا الكاتب ان يعتقد ان زيارة الناس للحاج عند قدومه ، باعثها هو ان يشربوا من ماء زمزم ويتناولوا التمر ، ناسيا او متناسيا ان من الآداب العامة الشائعة بين الناس كلهم ان يزوروا القادم من سفر طويل وخاصة اهله واصدقاؤه ، ومن قال له ان الحاج يقدم الى زائريه ماء زمزم والتمر ؟ والواقع ان غالب الحجاج انما يقدمون الى زوارهم ما يقدمه غيرهم من المزورين ، شايا او قهوة او طعاما، ولو اراد الحاج ان يقسم لزواره ماء زمزم فكم يكفيه من ذلك ، وهو لا يحمل الا قارورة منه او قارورتين ان حملهما ؟

ومع ذلك فاى الناس لا يرغب فى شرب ماء نابع من بئر ربما كانت اقدم بئر فى العالم ، وقد شرب منه الانبياء والعلماء واماثل الناس عبر تاريخ يزيد على 4000 سنة ؟

ان الرقعاء (بالقاف) فى هذا العالم امثال المؤلف يحسدون المسلمين على ما لهم من عراقة فى التاريخ والحضارة والمعرفة والادب ، واصالة فى الدين والعلم والفن والتراث الانسانى بعامة ، فلا يفتأون يعيبون عليهم ما لا يعاب وينتقدونهم بما هو مردود عليهم ، والحسد لا يكون الا على نعمة ، وهو يعكس مراد المبتلى به انما يظهر ما خفى من فضائل المحسود كما قال الشاعر :

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود

ومع هذه الحرب المعلنة على الاسلام وتعاليمه وثقافته فان اعداءه لا يستغنون عن الورود من مناهله فى جميع المجالات حتى فى (الماورائيات) التى يجعلونها هدف نقدهم وطعنهم ، وهذا (دانتى) شاعر ايطاليا العظيم انما خلد كوميديته الالهية كما يسمونها وهى انما اقتبس جوهرها من هذا الذى عبر عنه صاحب رسالة هل يمكن الاعتقاد بالقرآن بالخرافة المضحكة ؟

ويختم المؤلف كلامه عن الحج بانه وسيلة لاثراء باعة ماء زمزم والتمر والحيوانات ، وكذلك جميع الاعياد الاسلامية ، ورمضان الذى يتعطل فيه العمل

بسبب الصيام ، فحق هذه الاعياد أن تترك ، لانهـا ضد مبادىء العمل والضمير المهني الشيوعي ' وهو كلام ممجوج طالما ردده دعاة الالحاد وأعداء الشعب الذين يريدون ان يجردوه من اقدس ما عنده ، وهو عقيدته وخلقه والتزامه ، والا فلماذا يسكتون عن الاثراء من وسائل الدعاره والخمر والقمار وأعتدة الحرب والقتال والدمار ، على تسليمنا ان الحج وسيلة للاثراء ؟ واما الصيام فقد ثبت تاريخيا انه عكس ما يقولون ، وانه وسيلة لتربية الارادة والعزيمة وسلامة الجسم والروح من كثير من الآفات الصحية والنفسية، وأن أعظم الاعمال والمشاريع الكبرى التي قام بهـا المسلمون في تاريخهم تمت في رمضان . والمضحك في كلامه هو قوله ان هذه الاعياد ضـد الضمير الشيوعي ، فلتكن ضده ، كما انه ضد الضمير الاسلامي ، ويا للعباطة التي جعلت الضمير الشيوعي يتحكم في اعياد الناس وأوقات فرحهم كأنه قضاء سماوي '

وهو لي هذا ينتقد بعض العادات المنتشرة بين التتار كختان الاولاد وثقب الانف والاذن من البنات، وفاته ان ختان الاولاد ليس قاصرا على التتار بل هو سنة عند المسلمين جميعا ، ومعمول به عند اليهود أيضا ، وكان معمولا به عند النصارى كذلك، والمسيح نفسه قد ختن ، ولكنهم تركوه ، واما ثقب الاذن لوضع الحلى عند النساء ، فهو امر شائع عند جميع الامم تقريبا ، شرقيها وغربيها ، بخلاف ثقب الانف، وان كان ليس خاصا بالتتار ، فهو عند اليهود ايضا معروف ، ولا ندري كيف يدفع الفضول بهـذا «الديبلوماسي المزعوم» لنقد عـادات الشعـوب والتحامل عليهم بذلك، وهو امر مناف للذوق واحترام شعور الناس ؟

وهنا احب ان اذكر له حكاية في الموضوع عساه ينتفع بها في تهذيب اخلاقه ، وهي ان سائحا اوربيا مر بصبي يضع على قبر قريب له صحنا من الروز ، فقال له مستخفا : متى تعتقد ان صاحب القبر سيقوم لاكل الروز؟ فقال له حين يقوم من تضع انت على قبره باقة من الورد ليشمها !.

وفي النهاية وهو يشيد بأعياد الثورة الشيوعية التي يجب ان تحل محل الاعياد الاسلامية ، أبـدى أسفه العميق لكون معظم مسلمي الاتحاد السوفياتي ما يزالون ينتخبون الاكباش السمينة للتضحية بها في عيد الاضحى ، وهـذا خبر سرنـا كثيـرا فنحن نشكره عليه !

طنجة — عبد الله كنون

محرر الألفاظ

الحياة والعيش

د/ أستاذ محمد المرزوقي الفطاني

«الحيـــاة» من الالفاظ العربية التي تمتاز بالرقة وقوة الايحاء وتعدد الدلالات .

فالحياة من اوصاف الله تعالى ، وهي بهذا المعنى سرمدية لا بداية لها ولا نهايـــة ، وهي قـــوة مطلقة لا يحدها وصف تتجلى في صنع الخالق ووحدانيـــته وتنزهه عن الشريك والصاحبة والولد .

والحياة من خصائص الكائنات العضوية : الانسان والحيوان والنبات ، فهي بهذا المعنى ظاهرة فيزيائية كيماوية شديدة التعقيد تتعهدها التغـــذية والتناسل وترتبط بظواهر الطبيعة ، من شمس وهواء وماء ، ارتباطا وثيقا ؛ ومن علاماتها النمو والحركة والطاقة، وهي عند الانسان تنتهي بفناء الجسد ، وتسمى بالحياة الدنيا . وتعقبها حياة اخرى باقية لا تفنى .

وقد يتجاوز الناس فيجعلون للمعـــاني والجمـــادات حياة : للالفاظ ، مثلا ، حياة ، وللثقافة والشرف حياة وللنجوم والبحار والانهر حياة .

والانسان لا يحيى بالطعام والشراب والهواء فقط بل بالكرامة والعلم والحرية والجمال والحب .

لكل مخلوق حي حياته الفردية الخاصة به : فالانسان الفرد يحيى حياته والنحلة والزهرة كذلك . الا ان مفهوم الحياة قد يتسع فيشمل الجماعة «والامـــة ، والبشـــر كافة ، والمملكتين الحيوانية والنباتية فيقال : حياة المجتمع الانساني ، وحياة الحيوان ، وحياة النبات . والحياة بهذا المعنى لا يحدها العمر بل بقاء النـــوع واستمراره . وقد يقال : على سبـــيل الاستعارة ، امة حية أو شعب تتدفق فيه دماء الحياة ، فتكون الحياة هنا بمعنى العمل والدأب والابتكار وتعشـــق الحرية والعلم والسعي الى بلوغ المعالي .

وتكون الحياة محدودة بعمر تحصيه السنون عدا، وقد تعني وجود الارض ومن عليها وما فيها منذ ان كانت الارض الى ان يقضي الله امره فيها .

— ✲ —

والعيش ، لفظ عربي آخر لصيق بحياتنا ، فالعيش من اسباب الحياة ومن مقوماتها . فلا تكون حياة بدونه فهو اذن الطعام والشراب والكسوة والاثاث والدواء، وهو أيضا العفاف والطمانينة والامن والتعاون بين الناس وهو السعـــي اليومـــي وممارسة الصنـــائع والحرف ، وهو النظام الاجتمـــاعي الـــذي يفرضـــه «تعايش» الناس في رقعة من الارض تكبر أو تصغر.

فلننظر اذن في معاني هاتين الكلمتين : الحياة والعيش على غرار ما فعلنا في مقال سابق خصصناه للفظتي : الكلمة والكلام (✲) .

— ✲ —

يعرف بعض اصحاب القواميس العربية الحياة بانها «نقيض الموت» ، وواضح ان هـــذا التعريـــف تنقصـــه

(✲) ارجع الى العدد السادس من مجلة « المنـــاهل » ، 1976 .

الدقة وهو من قبيل قولهم : السواد نقيض البياض او النور نقيض الظلمة ، معتمدين في ذلك على خداع الحواس .

وحتى اذا جازلنا ان نسلم بان شيئا ما يمكن ان يكون نقيضا لشيء آخر فان الحياة بمعناها الدقيق ـ الحقيقي والمجازي ـ ليست نقيض الموت كما سنرى

ويخبرنا القرآن الكريم عن صنع الله فيقول : **«ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي»** (الانعام ، 95) ويقول : **«وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ؛قال : من يحيي العظام وهي رميم ؛ قل : يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم** (يس ، 78) .

فهذا التداخل الموجود بين الحياة والموت يجعل منهما امرين متلازمين ومتكاملين من حيث الجوهر والمبدا والغاية ، فلا تكون حياة بدون موت ولا موت بدون حياة . فللحياة (الدنوية) بداية معتده ، ونهايتها لا تعني الا فناء المادة ، اما النفس فانها تبقى ، وبذلك لا تكون الموت سوى بداية حياة اخروية غيبية يتعم فيها الانسان او يشقى حسب ما تقتضيه مشيئة الله سبحانه يعذبه من يشاء ويغفر لمن يشاء وهو الذي كتب على نفسه الرحمة .

ونقرأ قول الله تعالى : **«ياليتني قدمت لحياتي»** (الفجر ، 24) فنجد ان المقصود هنا الحياة الدائمة اي حياة الآخرة التي لا موت بعدها . ونتامل معنى الآية الكريمة « لتجدنهم احرص الناس على حياة » (البقرة 96) . وقوله تعالى « **اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا** » (الاحقاف 20) فنرى ان المقصود الحياة الفانية ، حياة الانسان على الارض التي يشكو منها ابو العلاء في بيته المشهور :

تعب كلها الحياة فما اعجب الا لراغب في ازدياد

ويجمع (باسكال) المعنيين في قوله ، من كتاب (خواطر) : لاخير في هذه الحياة الا على رجاء حياة أخرى لا تكون سعداء الا بمقدار ما تقترب منها .

وجاء في قوله تعالى : «من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » (النحل 97) والمعنى هنا الرزق الحلال في الدنيا ، وقيل المقصود بالحياة الطيبة الجنة بعد الموت .

— ❊ —

يذهب السيد الشريف الجرجاني في «التعريفات» الى ان الحياة «هي صفة توجب للموصوف بها ان يعلم ويقدر» ولعل الجرجاني يقصد الحياة التي يوصف بها الخالق سبحانه «**الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم**» (البقرة ، 255) .

ومعلوم ان العلم (الشامل) والقدرة (المطلقة) من اوصاف الله تعالى ايضا «وهو بكل شيء عليم» (البقرة ، 29) ، «**ان الله على كل شيء قدير**» (البقرة ، 20) .

فاذا كان هذا هو ما قصد اليه الجرجاني فان تعريفه للحياة بهذا المعنى يكون صحيحا . اما اذا فهمنا من كلام هذا العالم الجليل ان الموصوف بالحياة هو الكائنات الحية العضوية فان الامر لا يستقيم الا اذا كان متصلا بالانسان دون النبات والحيوان الاعجم ، فالعلم والقدرة ، في حدودهما البشرية ، من اوصاف الانسان الحي وحده لكونهما نابعين عن العقل والارادة اما الحيوان الاعجم والنبات فلا علم لهما ولا قدرة ، وبالتالي لا ينطبق عليهما التعريف المذكور .

ويصف الجرجاني الحياة الدنيا وصفا مشربا بروح التصوف بعيدا عن الاعتبارات البيولوجية فيقول عن الحياة على هذه الارض بانها «كل ما يشغل العبد عن الآخرة» وكانه يستلهم في ذلك قول الله عز وجل : **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد** » . (العنكبوت 64)

— ❊ —

جاء في (لسان العرب) لابن منظور ان «الحي كل متكلم ناطق ، والحي من النبات ما كان طريا يهتز» ولا ادري اين وضع ابن منظور الحيوان الاعجم الذي يعد في نظر العلم والواقع المشاهد من الاحياء مع انه ليس متكلما ولا ناطقا ، والحياة تتفق فيه كما تتفق في الكائنات العضوية الاخرى ، وحياته تنتهي بالموت ايضا .

ويقول الجاحظ في «البيان والتبيين» : وقال صاحب المنطق : حد الانسان الحي الناطق المبين» ـ وهو يقصد بصاحب المنطق ارسطو ـ فاذا كانت «الحياة والنطق» صفتين تجتمعان في مطلق البشر ، فان صفة «المبين» هذه تحيرنا ، اذ من الناس من له قدرة

على البيان وعنهم من به حصر او بكم الا ان يكون المقصود بالبيان هنا الافصاح عن ذات النفس باللفظ او بالاشارة والايماء ، والذى نعرفه هو ان الانسان حيوان ناطق ، وفى المنطق نوع من البيان . ولعل وصف « المبين » من اضافات الجاحظ التى يها لتلائم خطة كتابه .

هذا ونلاحظ ان الجاحظ نفسه ينقل فى « المحاسن والاضداد» قولا ينسبه فى هذه المرة الى الفلاسفة دون تحديد : «لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسان انه حى ناطق ميت» فاستعاض فى هذه المرة عن «مبين» بلفظ «ميت» ، وهذا صحيح على كل حال وهو ينسجم ايضا مع خطة كتاب «المحاسن والاضداد» .

— ❊ —

نظر الراغب الاصفهانى فى لفظ الحياه على ضوء القرآن الكريم فقال فى (كتاب المفردات) بأن هذا اللفظ يستعمل على اوجه فيدل على :

- القوة النامية الموجودة فى النبات والحيوان .
- القوة الحساسة ، وبها سمى الحيوان حيوانا .
- القوة العاملة العاقلة
- الحياه الاخروية الابدية
- الحياة التى يوصف بها البارى

فها نحن الان امام نظرة شمولية تتسم بحسن الاستنباط من القرآن وكلام العرب .

فالحياة بمعنى القوة النامية واردة فى قوله تعالى : «**وجعلنا من الماء كل شىء حى**» (الانبياء ، 30) وهى قوة حساسة كما فى قوله عز وجل : «**الم نجعل الارض كفاتا ، احياء وامواتا** (المرسلات ، 25) اى ان الارض تضم الكائنات الحية ، كالانسان والحيوان والنبات كما تضم الجمادات من معادن وجبال وغيرها .

ويستدل الاصفهانى على القوة العاملة العاقلة بقوله تعالى : «او من كان ميتا فاحييناه» (الانعام ، 122) وبقول الشاعر :

وقد ناديت لو اسمعت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

وقد ينبغى أن نذكر هنا أن ابن سينا ، قد ذهب الى أن النفوس ثلاث : غذائية وهى لكل الكائنات الحية وحيوانية او حساسة وهى لكل الحيوانات ، وعاقلة وهى للانسان وحده .

— ❊ —

تعرف المعاجم الاوربية الحديثةالحياة بأنهامجموع الظواهر — لاسيما التغذية والتناسل — التى تتعهد نشاط الكائنات العضوية من الولادة الى الممات . ونلاحظ ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اقر تعريفا مشابها لهذا لمثال — كما جاء فى المعجم الوسيط — بأن الحياة (فى علم الاحياء) تعنى «مجموع ما يشاهد فى الحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينه وبين الجمادات مثل التغذية والنمو والتناسل ونحو ذلك»

وليس فى نيتنا أن نخوض فى البحث عن تعريف علمى دقيق للحياة ، لا سيما وان العلم لم يتمكن الى الآن من رسم حدودها بكيفية يقينية . فالذى يعنينا هنا هو المعانى اللغوية — الحقيقية والمجازية — للحياة .

ان المعاجم الاوربية التى اشرنا اليها ، ولا سيما «لاروس الكبير» ، تضيف بأن الحياة هى المدةالجارية بين الولادة والموت . وهذا ما يعنيه فولتير بالحياة فى قوله : «يجب ان تقضى حياتك فى الحب والتفكير» وفى معجم (لاروس) ان الحياة قد تعنى ايضا الملابسات التى تحلى للوجود قيمة من نحو قولك : «الشرف هو الحياة» وهذا ما ينبغى ان نفهمه من قول المتنبى :

عش عزيزا او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

وينقل الجاحظ فى «البيان والتبيين» قولهم . «حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم البيان» فالحياة هنا تكتسى معنى يندرج فى باب القيم الخلقية .

— ❊ —

نقول : فلان دافق بالحياة اى ممتلىء نشاطا او به حيوية ؛ ونتجاوز ذلك الى القول : الحياة الثقافية او الحياة الرياضية فنعنى بالحياة هنا : النشاط ، ونقول: فلان ابتسمت له الحياة اى الحظ ، او ضاقت به سبل الحياة اى أنه قلت لديه اسباب العيش أو اصابه غم وهم ؛ ونقول ؛ مدينة مليئة بالحياة اى تموج حركة ونشاطا .

ويقال : حيى القوم اى حسنت حالتهم ، واحيا القوم اى اخصبوا وحسنت حال مواشيهم .

ونقول : حياة الالفاظ فنقصد التطور الذى تعرفه الكلمة من حيث الدلالة تبعا لتطور اللغة والقيم الفكرية والثقافية .

ويقسم الناس بالحياة لكونها شيئا عزيزا نفيسا يحرص عليه كل منا ، من ذلك قول ابن الفارض :

وحياتكم ، يا اهل مكة وهى لى
قسم ، لقد كلفت بكم احشائى

وقوله :

وحياة اشواقى اليـ
ـك وحرمة الصبر الجميل

ما استحسنت عينى سوا
ك ولا صبوت الى خليل

وهو يجعل للاشواق حياة يقسم بها .

وما دمنا قد دخلنا ساحة التصوف والصوفية فاننا نرى من المناسب ان نشير الى «الحياة» بالمعنى الذى يتناوله بها اهل الله . فهذا ابو حمزة الصوفى يقول فى الشوق الالهى :

وتحيى محبا انت فى الحب حتفه
وذا عجب كون الحياة مع الحتف

انها حياة المحب المشتاق الذى يفنى فى ذات الله ويحيى بالوصول .

ويقول شاعر صوفى يهيم بحب المصطفى :

اذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره
وان رمت قربا من حبيبى تقربا

فيبدو فأفنى ثم أحيا به له
ويسعدنى حتى ألذ وأطربا

ومن شطحات ابن الفارض قوله فى تائيته المشهورة :

وروحى للارواح روح وكل ما
ترى حسنا فى الكون من فيض طينتى

فلا حى الا عن حياتى حياته
وطوع مرادى كل نفس مريدة

فهنا اشارة الى القطب الاول الذى فاضت عنه الارواح والمحاسن كلها ، والعاشقون خاضعون لارادته القديمة التى سبقت الكون وبثت الحياة فى الوجود .

وقد تنقضى الحياة ويفنى العمر فتبقى الذكرى قائمة حية مليئة بالعبر او العظات ، من ذلك قول ابى العتاهية :

وكانت فى حياتك لى عظات
وانت اليوم اوعظ منك حيا

ونعود مرة اخرى الى اهل الدنيا لنسمع ابن زيدون يقول :

ويا حياة تملينا بزهرتها
منى ضروبا ولذات افانينا

وهل الحياة هنا الا حبيبته الغائبة ؟

ولست اذكر من هو هذا الشاعر الذى ذهب به الاسراف فى الخيال والمجون الى حد القول فى وصف الخمرة :

تميت وتحيى بعد موت، وموتها
لذيذ ومحياها ألذ واحمد

* —

وينبغى لنا كذلك ان نورد بعض الطرائف الاشتقاقية لكلمة حياة . فنبدأ بلفظ «الحيوان» بالمعنى المذكور فى قوله تعالى : **وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون»** (العنكبوت ، 64) ولعل المراد بالحيوان هنا الحياة الحقيقية الدائمة . والحيوان بالمعنى المألوف كل ما به حياة ، ويغلب اطلاقه على الدواب.

والمحيا مفعل من حياة يقع على الزمان والمصدر والمكان . ومن الالفاظ الرقيقة الرشيقة « الحيا » بمعنى الخصب والمطر . الا ينصب «الحيا» على التربة فيحييها بعد موتها ؟ الا يبعث الحياة فى الزهور والرياحين وأوراق الشجر ؟ والحيا يحيى النفوس بعد قنوط اذا جاء غيثا بعد احتباس ؛ يقول الشاعر ابن حمديس :

نثر الجو على الارض برد
اى در لنحور لو جمد
لزلز اصدافه السحب التى
انجز البارق منها ما وعد
بات يجتاح بابكار الحيا
بلدا يرويه من بعد بعد

ويقول ابن الخطيب :

والحيا قد جلل الروض سنا
منضود الزهر فيه تبسم

«والتحية» من مشتقات الحياة ، واصلها من : حياك الله اى جعل لك حياة .

ونذكر لفظ «الحياء» الذى هو قرين الايمان ودليل العفة ، وهو عاطف ينبعث من الضمير فيطبع على «المحيا» آثارا نفسية وشعورية .

هذا ويجعل بعضهم الحياء مرادفا للحشمة . ويبدو لى أن بين اللفظين فرقا دقيقا ، فالحياة عندى ، طبع وخلق أما الحشمة فانها تكلف وتطبع . والحياء حينما يكون من اوصاف المرأة فانه يزيدها حسنا ورواء . قال تعالى : « فجاءته احداهما تمشى على استحياء » . وقد اطلقوا لفظ الحياء ايضا على الفرج من ذوات الخف والظلف والحافر . وهو بهذا المعنى غير متداول فى عصرنا هذا .

ويقولون «الحى» فيقصدون القبيلة او البطن من بطون العرب ، وفى عصرنا هذا يطلقون لفظ «الحى» على جزء من مدينة . ولست اعلم وجه القرابة بين لفظ «الحى» بهذا المعنى ، ولفظ الحياة ، مع انه من جذر «حيي يحيى» كما هو واضح ، ومثل ذلك يمكن أن يقال فى «الحية» أى الافعى .

— ✻ —

قد يجىء لفظ «العمر» مرادفا لفظ الحياة والمعروف أن العمر ، مدة من السنين معلومة تنصرم من حياة الكائن الحى فنقول : فلان عمره عشرون عاما ولكننا نقول ايضا : «فلان قضى عمره سعيدا او شقيا» فيكون العمر هنا مرادفا للحياة .

وكثيرا ما يرد لفظ «الدنيا» بمعنى الحياة كما فى قول ابن عبد ربه :

الا انما الدنيا غضارة ايكة
اذا اخضر منها جانب جف جانب

وفى قول المتنبى :

اضمنى الدنيا فلما جئتها
مستقيما مطرت على مصائبا

والدهر ، الذى هو فى الاصل مدة بقاء العالم من البدء الى النهاية ، قد يأتى بمعنى الحياة كما فى قول ابن زيدون :

وعسى أن يسمح الدهر
ـ ـر فقد طال الشماس

وهل الدهر الا البعد الزمنى للحياة ؟ وفى قوله تعالى اخبارا عن المشركين : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر» .

ويضيف العرب الى الحياة الفاظا تغنى معانيها من ذلك قولهم : قيد الحياة ، وماء الحياة ، وحبل الحياة ، وجرثومة الحياة ، ومن اجمل هذه التراكيب قولهم : ربيع الحياة ، يعنون بذلك الشباب والفتوة يقول حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

ايطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادى بوادى فى ربيع حياتى ؟

— ✻ —

من العلوم التى ادركت فى عصورنا المتأخرة شأوا بعيدا «علم الاحياء» او البيولوجيا الذى أصبح ميدانا خصبا للبحوث الاساسية والمختبرية .

وما تزال الحياة ، رغم كل شىء ، سرا من الاسرار الخفية ، لا يعرف الانسان عن أصلها وماهيتها الا الشىء اليسير ، وهى من أمر ربى يعطيها بقدرته لمن يشاء وينزعها ممن يريد .

العيش

قد يتساءل بعضهم : ما الفرق بين الحياة والعيش وهو سؤال وجيه يجيب عنه ابو هلال العسكرى فى «كتاب الفروق فى اللغة» بقوله :الفرق بين الحياة والعيش أن العيش لبس لما هو سبب الحياة من الاكل والشرب وما بسبيل ذلك ؛ والشاهد قولهم : معيشة فلان من كذا ، يعنون ماكله ومشربه مما هو سبب لبقاء حياته » .

ويوضح الاصفهانى فى كتابه « المفردات » أن العيش «هو الحياة المختصة بالحيوان ، وهو اخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى الباري تعالى وفى الملك . ويشتق منه المعيشة لما يتعيش به » .

ونلاحظ على الفور ان اللغة العربية تميز بين لفظي الحياة والعيش بينما نجد ان اللغة الفرنسية واللغة الاسبانية ـ مثلا ـ لا تملكان غير لفظ واحد للدلالة على المعنيين : VIE و VIDA وكلاهما من الاصل اللاتيني VITA . ولا يتضح الفرق الا في الاستعمال كأن تقول le Niveau de vie (مستوى العيش) la vie des animaux (حياة الحيوان) ، ومثل ذلك يمكن ان يقال عن اللفظ الانجليزي LIFE . وقد نبسط الامر فنقول: ان العيش هو ماتستقيم به الحياة من اطعمة واشربة وألبسة واثاث ودواء تساعدنا على البقاء احياء واصحاء بدنيا وعقليا ونفسانيا . وهذا ما ينبغي ان نفهمه من لفظ «المعيشة» في قول الله عز وجل : «**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**» (الزخرف ، 32) .

ويقول لبيد :

وما الناس الا عاملان ، فعامل
يتبر ما يبنى وآخر رافع

فمنتهم بعبد آخذ بنصيبه
ومنهم شقي بالمعيشة قانع

قانع بالمعيشة «اي بما يصيبه من اكل وشرب ولباس مع الرضى بالشقاء والبعد عن طلب المعالي وهذه العيشة الخانعة هي التي يأباها المعري حيثما يقول :

فمالي اخاف طريق الردى
وذلك خير طريق سلك

يريحك من عيشة مرة
ومال اضيع ومال ملك

والعيشة هي حال الانسان في حياته ، وقد يكون المقصود في هذا البيت بالمعيشة المرة عيش الكفاف والاملاق ، وقد تدل على العيشة التي تخلو من راحة الضمير وطمانينة النفس لما يكتنفها من ذل او مكروه او عبودية حتى ولو كانت هذه العيشة مترفة لا تعوزها اسباب الاكتفاء المادي .

وهذا عروة بن الورد يجد راحة العيش في السفر والتجوال لجمع الثروة ، وهو في ذلك يقول :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

الا ان الدهر حول قلب ، كما يقولون ، لا يصفو فيه عيش الا ويتكدر وذلك ما يعنيه عدي بن زيد بقوله :

عمروا دهرا بعيش حسن
أمنى دهرهم غير عجال

ثم اضحوا عصف الدهر بهم
وكذاك الدهر يودي بالرجال

واذا كان ابن زيدون يرى ان العيش هو ما نختلسه من سويعات الصفاء :

واغتنم صفو الليالي
انما العيش اختلاس

فان محمدا بن علي يتطلع الى العيش بمنظار الزهد فيقول :

« ما لك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك ، غابة اكلة ليس لها غصص وشربة ليس معها شوق » وذلك ما يعنيه ابن الرومي بقوله :

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة
اذا زال عن تفس البصير غطاؤها

وكيف بقاء العيش فيها وانما
ينال بأسباب الفتان بقاؤها

ولكل وجهة هو موليها ، فمن الناس من يجد متعة لعيش وحلاوته في حسناء يطيب معها السمر ويحلو الحديث ، فهذا الاخطل يقول :

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة
من الدهر الا يوم شقراء اقصر

حواريه لا يقرب البلم بيتها
مطهرة يأوي اليها مطهر

ولا يكتمل جمال المعيشة وطيبها لبعض الناس الا بمصاحبة كتاب او محاورة جليس فيما يفيد ويمتع من ذلك ما نقرأه في «الامتاع والمؤانسة» لابي حيان التوحيدي : «وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا لقاره ، ولبطنا الحسناء ولبسنا اللين، وأكلنا الطيب حتى اجمناه (اي مللناه) ، وما انا اليوم الى شيء أحوج

منى الى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا تمجه السمع ، ويطربه اليه القلب » .

وفضلا عن هذا الجانب الفردي للعيش فقد يراد بهذا اللفظ ايضا الانتظام في حياة الجماعة وما يتطلبه ذلك من تضامن وتعاون وتنافس وسعي مشترك الى الطمانينة العامة والرفاه . وفي هذا المعنى نقرا في رسائل اخوان الصفا : أن الانسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده الا عيشا نكدا ، لانه محتاج الى طلب العيش من احكام صنائع شتى ولا يمكن الانسان الواحد ان يبلغها كلها لان العمر قصير والصنائع كثيرة» .

وقد استحدثت في عصورنا المتاخرة مصطلحات تحوم حول مسائل المعيشة ، ومستوى العيش ، وسعر المعيشة والرفاه العام ، والتنمية الاجتماعية؛ والضمان الاجتماعي وغير ذلك .

وحينما تعقدت اسباب المعيشة بفضل تقدم الصناعة والعمران ونمو السكان وسرعة المواصلات وتعدد وسائلها مع ازدحام المدن وتلوث الهواء والماء وتفاقم امر الضجيج وتفشي البطالة ، بدا الناس يفكرون في امر المعيشة من حيث الكيف فنشات مصطلحات من مثل : حماية المحيط الانساني ، وحفظ توازن الطبيعة ، وكان آخر هذه المصطلحات ظهورا «كيف العيش» اذا اردنا ترجمة حرفية للعبارات الفرنسية :

La qualité de la vie

وقد افضل ترجمتها بطيب العيش او صفوه اذا راعينا المعنى البعيد للعبارة الفرنسية . وقد انشات بعض الدول الاوروبية وزارة خاصة اطلقت عليها « وزارة طيب العيش » بعد ان طغى الكم وتفاحش أمر الاستهلاك الفوضوي المسرف للمواد الغذائية والوقود ففسد الجو في المدن والقرى ، وتلوثت الانهر الهادئة ، وضجت الاسماك والحيتان في البحار والمحيطات ، والوحوش في الادغال ، وضاق الانسان بالازدحام والضوضاء وطغيان الآلة وتحكمها ، فتوترت اعصابه ومرضت نفسه .

وهل المراد بكيف المعيشة هذا سوى توفير الراحة للناس في اكلهم وشربهم واماكن عملهم واستجمامهم وحسن استمتاعهم بما يكون لديهم من اوقات الفراغ حرصا على سلامة اعصابهم وصحة عقولهم وابدانهم وحفظا للمجتمعات من التفكك والانفصام ؟

وربما ينسى المتحمسون لهذا «الكيف» انه لا «كيف» الا بحدوث التوازن بين حياة الروح والبدن في عصر ضعف فيه الايمان بالله وتفشى الالحاد وهيمنت المادية العمياء على حياة الناس ؛ وما نراه في هذا العصر في اغلب الدول مجرد كم واعداد يختفي معها الانسان لتظهر ارقام تتحرك في غياهب «الدماغ» الالكتروني ؛ وصدق الله العظيم في قوله : «ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » .

— ❊ —

نعود الى موضوع «العيش» من جانبه اللغوي فنلاحظ ان هذا اللفظ قد يجيء مرادفا لكلمة «الحياة» ، فيدل على المدة التي يقضيها الكائن الحي على هذه الارض الفانية .

الا يقول النابغة الذبياني :

لعمرة يامل ان يعيش
وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقى
بعده خلق العيشة مره

فالمراد بطول العيش في البيت الاول طول الحياة او العمر؛ أما المقصود بخلو العيش أو مره في البيت الثاني فهو ما يتاح للانسان من رفاه او شظف ، من عسر او يسر ، من صفاء او كدر في امور الطعام والشراب واللباس والعشرة والصحبة وغيرها .

ولطرفة بن العبد :

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الايام والدهر ينفد

فالعيش هنا ايضا بمعنى الحياة .

وهذا ابن هانيء يجمع بين لفظي الحياة والعيش في بيت واحد فيقول .

اى الحياة الذ عيشتها
من بعده طعمي أنيني بشر

خرست لعمر الله السنتنا
لما تكلم فوقنا القدر

من مشتقات العيش : المعيشة والجمع معايش «وجعلنا لكم فيها معايش» (الاعراف ، 10) ، والعيشة

والمعاش ويدل على زمن الناس العيش ومكانه كما في قوله تعالى :«**وجعلنا النهار معاشا**» (النبأ ، 11) كمايدل على مرتب يتقاضاه المستخدم الذى ينقطع عن العمل) وهناك ايضا المعايشة ـ أى عيش الناس بعضهم مع بعض ـ وقد يقول الناس فى هذا العصر التعايش السلمى يريدون بذلك ان يغلب التسامح السياسى بين مجتمعين بشريين ياخذ كل منهما بنظام اجتماعى واقتصادى خاص فلا يكون بينهما صراع او تناحر .

والمتعيش هو الذى يصيب من العيش ما يقيم أوده والعياش صانع العيش او بائعه . ومعلوم ان لفظ العيش يراد به أحيانا الخبز . والعائش هو الذى يكون فى حالة من العيش طيبة ، ويطلق عليه الفرنسيون Le bon vivant

وللتعبير بالعيش اوصاف ونعوت تتعلق بالكم والكيف ، نذكر منها : الرغد والترف ، والرفة ، والبذخ والبشاشة ، واليسر ، والرفاه ، والبحبوحة والطيب ، والحلاوة ، والصفاء ، والنعومة ، والسعة . ويقابل هذه الاوصاف الحسنة اوصاف اخرى تعبر عن صعوبة العيش ومنها الشظف ، والامالاق ، والعسر ، والكفاف ، والخصاصة ، والضيق ، والنكد ، والكدر ، والضنك .

ومن الناس من يختار لنفسه عيشة توصف بالتقشف ، والزهد ، والخشونة ، أو بالقناعة وغنى النفس .

ولما كان الرمق هو بقية الحياة ، فقد اشتقوا منه الرماق ، وهو القليل من العيش يمسك الرمق ، ووصفوا العيش لذلك بانه رمق (بكسر الميم) .

— ❋ —

وبعد ، فقد رأينا أن الالفاظ تشق طريقها فى الحياة كما يفعل الناس ، وانها تنمو وتتطور كالكائن الحى ، والمجتمعات تعيش وتنظر باستمرار فى تراثها الكلامى تحيى بعضه وتميت بعضه الآخر ، وتضيف الى الالفاظ من المعانى بقدر ما يحدث لها من حاجات ، ويحتل «المجاز» فى هذا التراث مكانا مرموقا ، لان المجاز رفيق الخيال ، والخيال ، كالعقل والاحساس ، جزء من العالم الباطنى للانسان . والحياة نفسها حقيقة ومجاز ، واقع وخيال .

ألا يقول المتنبى :

تصيبك فى حياتك من حبيب
تصيبك فى منامك من خيال

فالحياة واقع حينما نعيشها بأبداننا وقلوبنا واحساسنا ، وهى خيال حينما نفقدها . وقد تكون ، وهى واقع معاش ، مجرد دخان خفيف ، فهذا شاتوبريان يقول : «واد انطفأت الشموع واحدة تلو الاخرى ، انبعث من نورها المخنوق دخان خفيف أبيض بمثابة صورة طبيعية للحياة التى شبهها الكتاب المقدس ببخار ضئيل» .

ونظر محمد اقبال الى الحياة بمنظار الشاعر الفيلسوف فقال :

«بكت سحابة الربيع فى بهمة الليل وقالت :
عذى الحياة بكاء دائم !
فتلألأ البرق الخاطف وقال :
لقد اخطأت ! فالحياة لمحات من الضحك .

ترى ، من روى للبستان هذا الحديث الذى هو حوار موصول بين الندى والورد ؟ »

ان نصيب المحظوظين من الحياة أن تبقى بعد ذهابهم ذكراهم يثيرها الاحياء فيجدون فيها عظة أو عبرة ، فائدة أو متاعا . وبذلك تصبح الحياة مجرد فكرة هادية ، أو قصيدة جميلة ، أو لوحة نابضة بالظلال والانوار والالوان ، أو عمل من أعمال البناء والخير ، أو حب عظيم متبادل ، أو تضحية مبذولة .

وهكذا تتواصل الحياة ، حياة القرون والاجيال ، تتواصل بما يتركه السلف للخلف من تراث علمى وثقافى ، من أخلاق وعادات ، من جميل الذكريات أو قبيحها .

«وتلك الايام نداولها بين الناس» .

محمد العربى الخطابى

مؤلفات مغربية

في الصلاة والتسليم على خير البرية صلى الله عليه وسلم

لمؤسسة محمد المنوني

من شعائر الاسلام وظيفة الصلاة والتسليم ، على رسول الله الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي شعيرة نوه القرآن العزيز بشانها ، وابرز الحديث الشريف مقامها ، فاهتدى المسلمون بهدى هذا وذاك ، ولبوا النداء سلفا فخلفا اداء لحق الجناب النبوي الشريف ، وقضاء لواجب شكر ايادية على الاسلام والمسلمين ، وتجاوبا مع تشريع هذه القربة في عديد المناسبات .

وكان من مظاهر هذه الاستجابة ، أن المؤلفين المعنيين بالامر ، يخصصون للتحية النبوية مكانها ضمن مدوناتهم ، فيذكرون احكامها ، ويوضحون فروعها .

على ان آخرين الفوا ـ في هذا الاتجاه ـ رسائل وكتبا على حدة ، لتتناول فضائل هذه التحية ، وتعرف بكيفياتها ، الى ما يتصل بذلك من قريب او بعيد وكان السابق لهذه المبادرة ، هو شيخ المالكية القاضي اسماعيل بن اسحاق البغدادي ، المتوفى عام 282هـ/896م ، في مؤلف يحمل اسم :

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

ولحسن الحظ كانت هذه الرسالة بين منشورات المكتب الاسلامي في دمشق ، وقام بتحقيقها المحدث اللامع : الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، حيث قدم لها بالتعريف بها وبمؤلفها ، في مدخل ختمه ببيان اهتمام الاسلام ، بشأن الصلاة على خير الانام عليه وآله افضل الصلاة والسلام .

وبعد القاضي اسماعيل توالت الكتابة في هذا الموضوع بالمشرق ثم المغرب ، في مؤلفات تكاثرت مع مر الزمن ، واحتفظت بنماذج منها مدونات السخاوي(1) فمحمد الفهري الفاسي(2) فمرتضى الزبيدي(3) فيوسف النبهاني(4) .

وانطلقت المبادرة ـ في الغرب الاسلامي ـ من الاندلس ، وكان أول تاليف بشبه الجزيرة في هذا الاتجاه هو .

1 ـ كتاب الاعلام بفضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، من عمل النميري : محمد بن عبد الرحمن ابن علي الغرناطي ، المتوفى عام 544هـ(5)/49ـ1150م وهو من مصادر ابن عرضون في «حدائق الانوار» التي الذكر عند رقم 31 .

2 ـ انوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار ، لابن الافليشي : احمد بن محمد بن عيسى التجيبي ، المتوفى عام 550 هـ (6) / 55 ـ 1156 م .

خ.خ. ق. 242 ضمن مجموع .

3 ـ كتاب النزهة لابن البقري : علي بن محمد بن ابراهيم الغزاري الغرناطي المتوفى عام 552هـ(7) /

57ـ1158م ، وهو بدوره ـ غير معروف ، ومؤلفه تلميذ التميمي آنف الذكر ، سمع عليه كتابه الاعلام عام 539هـ(8).

4 ـ كتاب القربة الى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ، لابن بشكوال : خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصاري القرطبي ، المتوفى عام 578هـ/1183م .

خ.ع.ف 242 ضمن مجموع
خ.ع. ك401: قطعة منه مبتورة الطرفين بخط اندلسي عتيق في 96 ص

5 ـ الصلاة والاعتصام، في كيفية الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام . عليه افضل الصلاة والسلام ، مؤلفه هو جبر بن محمد بن جبر القرطبي المتوفى عام 615هـ/18 ـ 1219م ، ولم يذكر ابن الابار الكتاب باسمه ، وانما قال عنه في ترجمة جبر(10) وألف كتابا حسنا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر اسمه ـ كاملا ـ النبهاني(11) الذي وقف على نسخة منه .

6 ـ صلوات نبوية: لمحيي الدين ابن العربي الحاتمي محمد بن علي بن محمد الطائي المرسي ، نزيل دمشق والمتوفى ـ بها ـ عام 638هـ(12)/1240م، ويقول عنها مرتضى الزبيدي(13) انها من صيغ غرائب الصلوات.

7 ـ لمحات الانوار ، ونفحات الازهار ، في الصلاة على النبي المختار لابن وداعة : احمد بن ابي القاسم عبد الملك بن يحيى النفزي الرندي ، المتوفى عام 738هـ(14)/1237م.

فهذه سبع مؤلفات اندلسية موضوعية ، وننتقل ـ بعدها ـ الى عرض مؤلفات ـ في الاتجاه ذاته ـ بالعدوة الاخرى : بالجزائر وتونس والسودان الغربي .

8 ـ اربعين حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من جمع ابن ابي البقاء : محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي البلنسي نزيل تلمسان ، والمتوفى ـ بها ـ عام 610 هـ (15) / 1213 م .

9 ـ دفع التقمة ، في الصلاة على نبي الرحمة لابن ابي حجلة : احمد بن يحيى بن ابي بكر التلمساني نزيل دمشق والمتوفى ـ بالقاهرة ـ عام 776هـ(16)/1375م.

بالاسكوريال رقم 1772 .

10 ـ اربعين حديثا منوعة الاسناد ، في فضل الصلاة على النبي ، عليه وآله السلام ، لابن مرزوق (الجد) محمد بن احمد بن محمد العجيسي التلمساني ،المتوفى بالقاهرة ـ عام 781هـ(17)/1379م.

11 ـ مفاخر الاسلام ، في فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، لابن صعد : محمد بن احمد بن ابي الفضل التلمساني ، المتوفى ـ بمصر ـ عام 901هـ/18/1496م .

خ.ق. 812 مبتورة الطرفين .
1113

خ.ن. 1997

12 ـ الوسائل العظمى للقصد الاسمى، للحوضي: محمد بن عبد الرحمن التلمساني ، المتوفى عام 910هـ(19)/1505م.

خ.ن. 2009

13 ـ التفكر والاعتبار في فضل الصلاة على النبي المختار ، لابي العباس احمد بن ثابت البجائي، اورده سركيس في «معجمه» ع 60، غير انه ذكر في نسبه: الحلبي ، ونسبته الى بجاية هي الواردة في « برنامج المكتبة الصادقية بتونس(20) .

14 ـ ومن هذه المؤلفات بتونس : **فضل التسليم على النبي الكريم** ، لابن بنون ابي القاسم بن احمد ابن ابي القاسم القرشي التونسي ، كان بقيد الحياة خلال النصف الاول من المائة الهجرية الثامنة(21).

15 ـ تحفة الاخيار . في فضل الصلاة على النبي المختار . صلى الله عليه وسلم وعلى آله الابرار ، للرصاع : محمد بن قاسم الانصاري التونسي،المتوفى عام 894هـ(22)/1489م

مخطوط متداول

16 ـ **تنبيه الانام ، في بيان علو مقام نبينا محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام** ، لابن عظوم : عبد الجليل بن محمد بن احمد المرادى القيروانى المتوفى عام 960هـ(23) / 25ـ1553م ، أورده سركيس فى معجمه ع 185 ـ 186 .

17 ـ وقد عاد فوضع ملخصا لهذا الكتاب،وعنونه باسم **تذكرة اهل الاسلام فى الصلاة على خير الانام(24)** .

مخطوط متداول .

18 ـ **وهذا كتاب بلوغ السول، فى الصلاة والسلام على الرسول** ، لمحمد جمال الدين بن ابى القاسم بن احمد خلف المسراتي القيرواني (25) .

19 ـ **الترجمة العنبرية في الصلاة على خير البرية** ، لابن اسحاق الرياحي : ابراهيم بن عبد القادر بن ابراهيم التونسي المتوفى عام 1266 هـ (26)) / 1850م

20 ـ **الغرر الملوكية في الصلاة على خير البرية** .

21 ـ **لوامع الاسنة فى الصلاة على عين الرحمة والمنة** .

الاثنان من تاليف ابن ملوكة : محمد بن صالح التونسي المتوفى عام 1276هـ ، وهما ـ معا ـ منشوران بالاستانه ، هذا فضلا عن صلوات اخرى لنفس المؤلف لا تزال مخطوطة(27) .

ومن تونس نقفز الى السودان الغربى ، فنلتقى ـ اولا ـ مع بابا السوداني:احمد بن احمد بن احمد ثلاث مرات ـ الصنهاجي الفاسي ، المتوفى عام 1032 هـ (28)/1623 م وقد خلف ثلاث مؤلفات موضوعية .

22 ـ **الدر النضير ، فى كيفيات الصلاة على البشير(29).**

خ. ع. د. ثاني 1724 مجموع

ـ خ.ن. 2999 ثالث مجموع .

23 ـ **نشر العبير . فى معانى الصلاة على البشير النذير** .

24 ـ **خمائل الزهر . فيما ورد من كيفيات الصلاة على سيد البشر(29)** .

اختصر اكثر هذا الاخير من القول البديع للسخاوي ورتبه على اربعة فصول وخاتمة ، ثم فرغ منه اواخر جمادى الاخيرة عام 1014هـ ، منه مخطوطة خاصة .

25 ـ **نفح الطيب فى الصلاة على النبى الحبيب،** للشيخ المختار بن احمد ابى بكر الكنتي الفهري السوداني ، المتوفى عام 1226هـ(30)/1811م .

اشتمل على صلوات انشائية ، ومرويات يقتبس المؤلف ببعضها ، او يخلل بفقرات منها ، وهو مخطوط متداول .

26 ـ ولابن المؤلف : محمد شرح بسيط على هذه الصلوات ، عنونه باسم **الروض الخصيب، بشرح نفح الطيب ، فى الصلاة على النبى الحبيب** ، لا يزال مخطوطا .

خ. ع. د. 730 : فى سفرين
خ.م.7488 : فى مجلد مبتور الاخر

والآن ينتهى بنا المطاف الى المغرب الاقصى، وفى هذا الصدد نشير الى ان اقدم تصلية معروفة بهذه الجهة هى **الصلاة المشيشية** ، لمنشئها الامام المولى عبد السلام بن مشيش الحسنى الادريسى دفين جبل العلم والمتوفى عام 625هـ(31)/1228م .
ثم **صلوات** تلميذه الشيخ ابى الحسن الشاذلى : علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الغماري الاصل، المتوفى عام 656هـ(32) / 1258م .

ومن اواسط المائة الهجرية الثامنة ، صار للصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طابع مغربى اقصوى خاص ، وهى الظاهرة التى يجليها الامام ابن مرزوق(33) فيذكر ارتساماته عن حفلات المولد النبوى الشريف فى بلاد السلطان المريني ابى الحسن ، ويخلل وصفه قائلا :

«..وتكثر الصلوات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى من اعاجيب مايرى فى بلاد «المغرب».

وفى قريب من هذه الفترة بدا المغاربة فى تاليف مجموعات الصلوات النبوية ، ثم تتابع التدوين فى هذا الاتجاه عبر الفترات التالية ، غير ان هذه الموضوعات لم تسر على منهجية موحدة ، واختلفت اساليبها بين مؤلف وآخر .

فهناك مجموعات انتظمت من صيغ نبوية او مأثورة عن المهتمين بالامر من سلف الامة وخلفها .

وابتكر آخرون صيغا تفيض بها عواطفهم ، فيسجلونها واحدة واحدة حتى يتجمع منها تاليف قد تتعدد اسفاره ، كواقع «ذخيرة المحتاج» آتية الذكر وهذه تمزج تصلياتها بالسيرة النبوية من المولد حتى الوفاة .

ومن هؤلاء المؤلفين من يرتب الصلوات على الاسماء الحسنى ، او الاسماء النبوية ، او على الحروف المعجمة : بالترتيب المغربي او المشرقي .

بينما يسير مؤلف على ان يرفق كل صلاة باثر نبوي حتى يجمع الى التعبد الاستفادة الحديثية .

على ان البعض يهدف من وراء هذا الى نشر اللغة العربية بين الاوساط التي تغلب العجمة على لسانها يقول مؤلف «الدرر المرصعة»(34) عن صلوات ابي عبد الله بن ناصر : «... وأكثر فيها من اللغات والدعوات تصدامنه بذلك على ما قيل ، تعليم اهل هذه الازمنة ـ التي غلبت عليهم العجمة ، واستولت على السنتهم اللكنة ـ اللغة التي بها يفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله » .

وغالبا ما يضاف لهذه المؤلفات ، فصول تتناول موضوعات مختلفة تتصل بالصلاة والتسليم ، وقد تتكاثر هذه الاضافات حتى تطغى على المقصد الاساسي .

بعد هذا يأتي تقديم هذه المؤلفات المغربية ، وقد بدأت بالظهور مع النصف الثاني من المائة الهجرية الثامنة ، وهي الفترة التي يتسلسل العرض منها كالتالي .

27 ـ « **المقاصد المرشدة والمآخذ المسعدة** » لابن داود : محمد بن القاسم السلوي ، كان يقيد الحياة اواخر عام 812هـ(35)/1410م

ضمنها صيغ صلوات انشأها ، ووزعها بين فصول يسميها مقاصد / خ. م. 3016 .

28 ـ كتاب «**منتهى الامل والسول في الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي والرسول**» تأليف ابن ابي البركات الغماري : عبد الله بن محمد ابن محمد التالي التلمساني، ثم الفاسي منزلا وقرارا المتوفى عام 853هـ(36)/1449ـ50م . أورد ذكره محمد الفاسي(37) ولا يزال غير معروف.

29 ـ «**لادلل الخيرات وشوارف الانوار ، في ذكر الصلاة على النبي المختار** » صلى الله عليه وآله ، للامام الجزولي : محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر ابن سليمان ، الحسني السملالي المتوفى عام 870هـ(38)/1465م .

ويعتبر اشهر هذه المجموعات المغربية وأكثرها ذيوعا ، يقول عنه حاجي خليفة(39): «يواظب بقراءته في المشارق والمغارب ، لا سيما في بلاد الروم» ويسجل محمد مرتضى الزبيدي(40) : انه ولعت به الخاصة والعامة(41) وخدموه بشروح وحواش(42).

30 ـ وهناك «**دلائل الابرار**» لمؤلف جزولي لم يذكر اسمه ، وجاءت الاشارة له عند افتتاحية وردة الجيوب آتية الذكر ، وهو غير معروف .

31 ـ ومن دلائل الابرار تنتقل الى **حدائق الانوار وجلاء القلوب والابصار ، في الصلاة والسلام على النبي المختار ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الابرار** ، مؤلفها هو ابن عرضون : احمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني ، المتوفى عام 992هـ(43) 1584م .

خ.ق. 317 .

خ.م. ز 942 .

32 ـ وهذا كتاب «**الفوائد المتناثرة من الاحاديث المروية والصلاة والسلام على خير البرية**» ويحمل مؤلفه اسم عامر بن الحسن بن الزبير الجسمي(44)، فرغ منه في شعبان عام 1023هـ/1614م.

33 ـ وفي قريب من هذا التاريخ ، لمعت **مجموعة** اخرى يسمي واضعها باحمد السوسي ، ولايبعد ان يكون هو البوسعيدي : احمد بن علي بن محمد الهشتوكي نزيل فاس ، والمتوفى ـ بها ـ عام 1046هـ/1637م ، ولاتزال مخطوطة في نسخة خاصة.

34 ـ وفي درعة نلتقي بامامها ابن ناصر : الشيخ محمد بن محمد المتوفى عام 1085هـ(46)/1674م وهو مؤلف «**غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على**

النبي الحبيب» وهي مرتبة على المعجمية المغربية : في كل حرف 34 صيغة(47) .

35 ـ **صلوات نبوية** ، مروية عن المولى التهامي بن محمد بن المولى عبد الله «الشريف» اليملحي العلمي دفين وزان، والمتوفى ـ بها ـ عام 1127هـ(48) /1715م.

وهي التي جمعها الشهاب المولى : احمد بن عبد الفتاح المجيري المصري ، المتوفى عام 1181هـ/(49) 1767م. في اربعين صيغة تلقاها عن امام وزان ، ثم رواها عن العوى محمد مرتضى الزبيدي الذي ساق حديث هذه الصلوات النبوية(50) .

والغالب ان جامعها انما اخذها عن استاذه محمد ابن عبد الله المغربي القصري الكنكسي(51) تلميذ المولى التهامي .

وقد تكون هذه الصيغ هي الواردة عند البغدادي باسم **شرح الصدور بالصلاة على الناصر المنصور** من تأليف الشهاب العلوي .

36 ـ ولمحمد بن عبد العزيز الجزولي الرسموكي اليعقوبي : **وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب** ، انتخبه من دلائل الخيرات ودلائل الابرار مخطوط متداول ، ومؤلفه استمر بقيد الحياة حتى عام 1152هـ(53)/ 1739م .

37 ـ وكان يعاصره في مدينة صفرو قاضيها : عبد السلام بن عبد الرحمن بن عمر بن سعيد العدلوني ، وعاش ـ بدوره ـ الى عام 1152هـ(54)، وألف في الاتجاه الذي تعرضه : نزهة المسرات ، وروضة المبرات ، حيث وردت الاشارة بخط بعض المقيدين .

38 ـ وبعد نزهة المسرات ، يأتي اسم **كنوز الاسرار، في الصلاة على النبي المختار ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الابرار** ، تأليف عبد الله الخياط بن محمد الشهير بالهاروشي ، الفاسي ، نزيل تونس ، والمتوفى ـ بها ـ عام 1170هـ(55)/58 ـ 1757م ، يشتمل على 53 تصلية.

39 ـ على ان أكبر كتاب مغربي في هذا الصدد : هو **ذخيرة المحتاج** لمحمد المعطي بن محمد الصالح ابن محمد المعطي ، العمري الشرقي اليجعدي، المتوفى عام 1180هـ(56) / 1766م ، ونسختها الاولى كانت من 55 سفرا(57) .

40 ـ **ياقوتة المحتاج في التوسل الى الله بالصلاة على النبي صاحب المعراج** لمحمد بن العربي الدمراوي التازي ، المولى عام 1204هـ / (58) 89ـ1790م بعين ماضي حيث أنشأ صلواته على ترتيب المعجم المغربي في كل حرف سبع صلوات ، وتوجد صيغها منشورة ضمن ترجمة منشئها (59) ، أما نسختها ـ كاملة ـ فهي مخطوطة في مكتبة الزاوية الحمزية باقليم الرشيدية .

41 ـ **تحفة المستيقظين في الصلاة على سيد الاولين والاخرين** ، لمحمد بوجدة الحلو ، كان بقيد الحياة في25 ربيع الاول عام 1270هـ(60) / 1792م،وهي بخط مؤلفها في فقرات قصيرة انشائية ـ 302 ص.
خ. ع. د 284 .

42 ـ **معراج الوصول ، بالصلاة على اكرم نبي ورسول** ، ويحمل مؤلفه اسم الطيب بن احمد ابن يحيى الفاسي ، فرغ من تأليفه يوم الجمعة 15 ذي الحجة عام 1217هـ/1803م، مخطوط بمكتبة الزاوية الحمزية(61).

43 ـ **السيف القاطع والحصن المانع ، بمدح الرسول الشافع** ، من انشاء الوالي : محمد بن علي ابن عبد الرحمن الادريسي ، الفيلالي ثم الفاسي، المتوفى ـ بها ـ عام 1234هـ(62)/1819م مخطوط في نسخة خاصة .

44 ـ **تحفة المحبين ، بذكر اسماء سيد المرسلين** للاوبيري : محمد التهامي بن محمد بن مبارك الحمري المتوفى عام 1246هـ(63) / 1830م .
وهي مرتبة على المعجم المغربي اعتبارا بأواخر الاسماء النبوية . /خ. م 3740

45 ـ **ذخيرة الكنوز ، في الصلاة على النبي العزيز**، أنشأ صيغها محمد الغازي بن محمد العربي ، من حفدة الشيخ الشهير : ابي القاسم الغازي الدرعي ثم السجلماسي ، كان بقيد الحياة صدر عام 1246هـ(64) 1830 م.

خ. م. ز 3455

46 ـ **تصليات وابتهالات** ، للجزيرى : عبد السلام ابن محمد بن ابى يعزى اليعقوبى الفاسى ، المتوفى عام 1264هـ/1848م ورد ذكرها فى ترجمته(65) .

47 ـ وهو مؤلف **شرح نفح الطيب** للشيخ المختار الكنتى ، حيث عنونه باسم ، «نزهة الاسرار ورياض الانوار والازهار ، وسر نور الانوار والاسرار فى اصل ينبوع شرف اطيب الطيب ، على الصلاة المسماة نفح الطيب ، فى الصلاة على النبى الحبيب» ولا يزل مخطوطا فى سفر متوسط .

خ. م 2814 و 5728

خ. ع. ك 2220

48 ـ **نور الجمال المحمدية باختصاص اسرار الصقلية** لمحمد بن الطيب بن محمد الصقلى الحسينى الفاسى المتوفى عام 1271هـ(66) / 1855م ، 181 ص من الحجم الصغير .

خ. ع. ك 490

49 ـ **لآلي اليواقيت الحسان فى الصلاة على طلعة صدور الاعيان** ، لمؤلف غير مذكور ، وفرغ منه الثلاثاء 23 ربيع الثانى ، عام 1299هـ/1882م ، وهو مرتب على التهجية المغربية فى صلوات تتخللها قصائد ، يقع ثانى مجموع ص 268 ـ 601 .

خ. ع. ك 1573 .

50 ـ **لؤلؤة الانوار وقلائد الجوهر ورياض الازهار فى الصلاة على النبى المختار** ، لمحمد بن المدنى البوعنانى الحسنى المراكشى ، المتوفى آخر العشرة الثانية من المائة الهجرية الجارية : 14(67) ، وهو منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1315م .

51 ـ **كنوز الاسرار ومفاتيح الانوار ، بذكر الصلاة على النبى المختار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ما دام الليل والنهار** ، تأليف الحاج التهامى ابن محمد بن التهامى الحمادى المكناسى نزيل فاس الجديد(68) .

رتبه على الاسماء الحسنى ، وخصص لكل باب اسما على حدة ، ثم فرغ من تأليفه فى شعبان عام 1321هـ/1903م وهو فى مجلدين .

خ. م. 14 : المجلد لاول

خ. م. 702 : المجلد الثانى

52 ـ **أدل الخيرات ، فى الصلاة على سيد الكائنات** ، لابى الفيض الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتانى الحسنى الفاسى المتوفى عام 1327هـ(69) / 1909م ، منشور بالمطبعة الفاسية .

53 ـ **ملذة الحبيب ، بالصلاة على اسماء النبى الحبيب** للشيخ محمد مصطفى ماء العينين بن محمد فاضل بن محمد مامين الادريسى الشنجيطى ، المتوفى عام 1328هـ(70) / 1920م .

خ.ع. د 750

خ.ى. 488

54 ـ **الدلائل النبوية ، والمكارم المحمدية** ، لاحمد بن الحاج العباس الشرايبى الفاسى ثم المراكشى ، المتوفى عام 1329هـ(71) / 1911م ، فى مجلدين .

خ. ى. 89 : نسخة تامة

خ. ع. ك 1571 : النصف الاول فى مجلد

55 ـ **فضاء الحوائج والاوطار ، فى الصلاة والسلام على النبي المختار** ، لمحمد ـ بفتح أوله ـ بن احمد بن على بن محمد العادلى الموساوى المراكشى المولد والمنشأ ، فرغ من كتابة هذه الصلوات الانشائية ـ بخطه ـ فى شعبان عام 1331 هـ/ 1913 م ، عجائب فى سفر من الحجم الوسط : ص 178 .

خ. ع. ك 1551

56 ـ **مجلى الاسرار والحقائق ، فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق** ، للقاضى ابى العباس احمد بن العامون البلغيثى الحسنى الفاسى ، المتوفى عام 1348هـ (72) / 1929م ، مطبعة محمد افندى مصطفى فى مصر عام 1310هـ ـ 120 ص .

57 ـ **مفتاح الاسرار ، فيما يتعلق بالصلاة على سيد الابرار** لمحمد بن ادريس الدباغ الحسنى الفاسى المتوفى عام 1350 هـ / 31ـ1932م ، ويغلب على حواشيه الصيغة الانشائية ، غير انه مبتور الاخر ، ويقع الموجود منه فى 189 من الحجم الصغير .

خ. ع. ك 1608

58 **نور البصر ، فى الصلاة على خير البشر** لمحمد بن عبد السلام بن احمد بوسنة المراكشى ، كان يقيد الحياة صدر عام 1351هـ / 1932م .

خ. ع. ك 32 اول مجموع

59 ـ ولنفس المؤلف **كتاب مطول في الموضوع ذاته** يوجد السفر الخامس منه في .
خ. ع. ك 2801

60 ـ **الطيب الفائح ، والورد السانح ، في صلاة الفاتح صلى الله عليه وسلم** ، لمحمد بن عبد الواحد السوسي التطبقي الاصل ، المراكشي الفرار ، المتوفى عام 1367هـ / 1948م .

بنى صيغه على صلاة الفاتح ، ورتبها حسب المعجمية الشرعية عرضه بتعاليق ضافية . ونشر الجميع بمصر في 208 ص .

61 ـ **السراج المنير ، في الصلاة على البشير النذير** لابي حفص عمر بن الحسن بن عمر بن الطالع الكتاني الحسني الفاسي ، المتوفى عام 1370هـ / ،

وقفت على قطعة منها مخطوطة خاصة من 46 ص يغلب ان تكون بخط مؤلفها .

62 ـ **وسلية الملهوف ...** لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني المتوفى عام1382هـ / 1962م . ضمنها صلوات انشائية ، وختمها ببعض ادعية الفرج بعد الشدة المرفوعة ، ثم فرغ منها غروب الاثنين ثاني جمادى الثانية ، 1327 هـ ، وهي منشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1331هـ في 192 ص من الحجم الصغير .

63 ـ **بغية السائل ، في اشراف الوسائل ، في الصلاة على المبعوث من خير القبائل** ، ويحمل مؤلفه اسم قدور بن احمد بن محمد الحلفوي المراكشي ، حيث رتبه على 30 بابا تشتمل على 360 فصلا .

ولم يتحدد لي عصره بالضبط ، فلذلك ذيلت به هذه النماذج من المؤلفات المغربية في الصلوات النبوية .

الرباط محمد المنوني

التعاليق

1 ـ «القول البديع، في الصلاة على الحبيب الشفيع» ، ط. الهند ، حيث وردت اللائحة المشار لها ص 197 ـ 199 عند خاتمة الكتاب ، وهناك مخطوطة منه كتبت على يد مؤلفه عام 861هـ .
خ. ع ، ك 111 .

2 ـ افتتاحية الشرح الكبير على دلائل الخيرات : «تحفة الاخيار ومعونة الابرار» العاكفين على دلائل الخيرات وشوارق الانوار : السفر الاول / خ. م. 4214 / خ. ع. ك. 1545
مع افتتاحية الشرح الوسيط لنفس المؤلف باسم : «التجريد ، لما في الشرح الكبير على الصغير من المزيد » . / خ. م. 4192 / خ. ع. ك. 144 .

3 ـ «اتحاف السادة المتقين ، بشرح اسرار احياء علوم الدين» ، ط. ف. ج 4 ص 50 ـ 51

4 ـ «سعادة الدارين، في الصلاة على سيد الكونين» ، مطبعة بيروت عام 1316هـ. ص 6 ـ 8

5 ـ ورد ذكره باسم الاعلام في «زوائد تكملة ابن الابار» ط. اسبانيا رقم 1854 ، ثم بمقدمة البديع، وترجمة مؤلفه عند ابن بشكوال في «الصلة» وجاء الاسم كاملا عند السخاوي في خاتمة القول «مفاخر الاسلام لابن صعد» مخطوط المكتبة الحمزية نشر العطار رقم 1299 .

6 ـ السخاوي في خاتمة «القول البديع» وترجمة مؤلفه عند ابن الابار في «لتكملة» ط. الجزائر رقم 167 .

7 ـ أشار لاسمه ابن صعد في مقدمة «مفاخر الاسلام» ، وترجمة المؤلف في التكملة ط. اسبانيا رقم 1854، مع «الذيل والتكملة» : دار الثقافة ، بيروت ، السفر الخامس رقم 566 ، حيث توجد مصادر اخرى لترجمته .

8 ـ زوائد التكملة رقم 1854 .

9 ـ السخاوي في خاتمة «القول البديع» ، وترجمه ابن بشكوال: في «التكملة» ط. اسبانيا رقم 179

10 ـ في «نفس المصدر» والطبعة رقم 12

11 ـ «سعادة الدارين» ص 7 .

12 ـ هناك لائحة بمصادر ومراجع ترجمته في «معجم المؤلفين» ج 11 ص 40ـ42 مع ج 13 ص 419

13 ــ «اتحاف السادة المتقين» ، ج 4 ص 51 ، ووردت الاشارة الى مجموعه من الصلوات الخاتمية في «برنامج المكتبة الصادقية» ج 3 ص 236، واثبت النبهاني سبعا من صيغ صلواته في «سعادة الدارين» ص 256 ــ 257 ، مع ص 295 ــ 298 .

14 ــ محمد المهدي الفاسي في مقدمة شرحيه على الدليل المشار اليهما سلفا، وترجمة المؤلف عند ابن القاضي في «درة الحجال» : دار التراث بالقاهرة رقم 104 .

15 ــ «التكملة» ط. اسبانيا رقم 919 ، و«الذيل والتكملة» : السفر السادس رقم 941 .

16 ــ ذكر دفع النقمة في كتابه : «منطق الطير» خ. م. 1910 ضمن لائحة مؤلفاته ، ثم أورده السخاوي في خاتمة «القول البديع»، وترجمة المؤلف في «الدرر الكامنة» ج 1 ص 329 ــ 331 .

17 ــ أشار لهذه الاربعين في كتابه «جنى الجنتين» ، مخطوط خ. ع. ك. 1228 : ص 115 ، وانظر عن مصادر ومراجع ترجمته معجم المؤلفين ج 9 ص 16 ــ 17 .

18 ــ ترجمته عند ابن مريم في «البستان» ص 251 ــ 252 .

19 ــ ترجمته في «نفس المصدر» ص 252 .

20 ــ ج 3 ص 197 .

21 ــ ذكره السخاوي في خاتمة «القول البديع» .

22 ــ ترجمته وبعض مصادرها عند الزركلي في الاعلام ، ج 7 ص 228.

23 ــ ترجمته في عدية العارفين مج. 1 ع 500

24 ــ «كشف الظنون» ، مطبعة العالم بالاستانة ج 1 ص 332 .

25 ــ «برنامج المكتبة الصادقية» ج 3 ص 192 .

26 ــ المصدر الاخير ج 3 ص 236 ، ومن مصادر ترجمة المؤلف شجرة النور الزكية رقم 1555.

27 ــ «برنامج المكتبة الصادقية» ج 3 ص 213 ــ 214 ، 222 ، 228 ، 242 ، وترجمته في «شجرة النور الزكية» رقم 1559 .

28 ــ ترجمته في «الاعلام» للمراكشي ج 2 ص 99 ــ 104 ، حيث توجد بعض مصادر ترجمته.

29 ــ ورد ذكر «خمائل الزهر» وسابقيه : عند محمد المهدي الفاسي في افتتاحية شرحيه على الدليل المشار لهما سلفا مرتين .

30 ــ ترجمته عند احمد بن الامين في «الوسيط» : الطبعة الاولى ص 356 ، وتاريخ وفاته عند النبهاني في «جامع كرامات الاولياء» ج 2 ص 247.

31 ــ حلاه عبد الواحد ابن الطواح التونسي بالمجتهد المحقق السني ، حسب «سبك المقال لفك العقال» خ. م. 105 .

ولعبد الله بن محمد الوراق «رسالة في مناقبه» خ. ع. د 1484 ضمن مجموع .

ولمحمد بن قاسم ابن زاكور : «الاستشفاء من من الالم ، بالتلذذ بذكر صاحب العلم» ، مخطوط خاص ، ويوجد معظمه مدرجا في «الروضة المقصودة» لابي الربيع سليمان الحوات ، مخطوطة المكتبة الاحمدية بفاس .

وللدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر «تاليف في ترجمته» نشر قريبا، كما ان الاستاذ الكبير عبد الله كنون كتب له ترجمة مفيدة نشرتها جريدة «الميثاق» .

ويقول السيد محمد مرتضى الزبيدي عن «الصلاة المشيشية» : «وقد شرحها غير واحد من أئمة المغرب والمشرق من المتقدمين والمتأخرين» حسب «اتحاف السادة المتقين» ط. ف. ج 4 ص 51

32 ــ انظر بعض مصادر ترجمته في «معجم المؤلفين» ج 7 ص 137 .

33 ــ «المسند الصحيح الحسن» خ. ع. ق 111 ، الباب السادس : الفصل السادس .

34 ــ خ. ع. ك 265 : عند ترجمة الامام ابن ناصر ، ومؤلفها هو محمد المكي بن موسى الناصري.

35 ــ لا تعرف له ترجمة كاملة ، وهناك لقطات مقتضبة وردت ضمن موضوع : «ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي» مجلة «دعوة الحق» ، السنة التاسعة : العدد التاسع والعاشر «مزدوج» ، ص 105 ــ 106 .

36 ـ قد يكون هو المترجم عند ابن القاضي باسم عبد الله بن ابي البركات الغماري ، حسب «درة الحجال» ، المطبعة الجديدة بالرباط رقم 943.

37 ـ في الفتاحية شرحيه : الكبير والوسيط على دلائل الخيرات .

38 ـ له ترجمة مطولة بالاعلام المراكشي ، ج 4 ص 57 ـ 122 .

39 ـ كشف الظنون ج 1 ص 495 .

40 ـ اتحاف السادة المتقين ، ج 4 ص 50

41 ـ من ملامح هذا الولوع بدلائل الخيرات العناية بتصحيحه ، وفي هذا الصدد نشير الى بعض النسخ المذكورة بنوع من الاهمية :

1 و 2 النسخة السهلية التي كتبها كبير تلاميذ المؤلف : الشيخ محمد الصغير السهلي ، وكان له نسختان عليهما خط المؤلف :

ا ـ وقع الفراغ من كتابتها ضحى يوم الجمعة 6 ربيع النبوي عام 862هـ، ولحسن الحظ لا تزال بقيد الوجود ، حيث تحفظ بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 377 .

ب ـ مؤرخة بعام 868هـ ، ولا يعرف ـ الآن ـ مصيرها .

3 ـ النسخة التي كتبها محمد المهدي الفاسي شارح الدليل ، بتاريخ الاحد اوائل شعبان عام 1067 هـ . خ . م 303 في 121 ص .

4 ـ بخط الشيخ التجاني : ابي العباس احمد بن محمد ـ بفتح اوله ـ بن المختار الحسني الكاملي وهي موصوفة في رفع النقاب ج 3 ص 52، وصارت عنده النسخة الى حوزة القاضي المرحوم ابي العباس احمد سكيرج ، ومن بعده الى ابنه الشاعر الاديب الاريحي عبد الكريم سكيرج، وهو الذي اطلعني عليها في بيته بمدينة سطات، صيف عام 1384هـ / 1964م.

5 ـ بخط محمد بن القاسم القندوسي، فرغ من كتابتهاضحوة الخميس 14 رمضان عام 1244هـ. ومن مقابلتها في فاتح ربيع النبوي عام 1247هـ. خ. ع. ك 399، وهو يذكر انه قابلها وصححها على 22 من النسخ البالغة غاية الجودة ، ويبرز من بينها الاصول التالية حسب ترتيب سياقه :

نسخة بخط محمد المهدي الفاسي ـ نسخة بخط ابي السعود عبد القادر الفاسي ـ نسخة بخط ابي زيد عبد الرحمن (بن محمد) الفاسي ـ نسخة مقابلة من نسخة المؤلف ـ نسخة بخط ابي الحسن علي الصغير التاري ـ نسخة بخط الشيخ الماجي بن محمد ـ نسخة بخط ابي العباس احمد بن ناصر ـ نسخة بخط الشيخ حسن العجمي قصار ـ نسخة كتبت للشيخ ابي عبد الله محمد ـ بفتح اوله ـ بن ابي زيان القندوسي .

6 ـ نسخة ثانية بخط القندوسي ، فرغ منها آخر ذي القعدة عام ومائتين والف .

خ. م. 5920

7 نسخة ثالثة بخط القندوسي ، فرغ منها ضحوة الجمعة 4 محرم عام 1267هـ .

خ. ع. ح 634 .

8 ـ نسخة رابعة قد تكون بخطه ، وهي مبتورة الطرفين ـ خ. م. 7959.

9 ـ نسخة تونسية، أشار لها النبهاني في مقدمة تعليقه على دلائل الخيرات ص 10 ، وجاء في آخرها ما يلي :

« كملت رواية سيدي محمد الصغير السهلي لدلائل الخيرات، عن سيدي محمد بن سليمان الجزولي وهذه الروايه هي التي يعبر عنها الشيخ الفاسي في كبيره : تارة بنسخة الشيخ، وتارة بالعتيقة، وتارة بالسهلية ، وتارة بالمعتمدة ، وهي التي كتب عليها الشيخ المؤلف رضي الله عنه وصححها ، فهي اصح الروايات، ولذلك اعتنى الشراح بتحريرها، وتمييزها عن غيرها ، على يد افقر العباد الى الله تعالى . محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن ابراهيم الماروذي، غفر الله لهم آمين ، في 27 صفر الخير، سنة 1276 ، وهي العشرون من النسخ التي تشرفت يد كاتبها بها...»

10 ـ وهذه النسخة وما ضاهاها صحح الشيخ يوسف النبهاني النسخة التي نشرت بمطبعة الحلبي بمصر عام 1338 هـ .

وانظر عن الطبعات الشرقية الاخرى لدلائل الخيرات : معجم المطبوعات ع 697 ، مع الاشارة الى انه نشر في اوربا من عام 1842م في بطرسبورغ حسب دائرة المعارف الاسلامية: النص العربي ج 6 ص 448

وقد تكرر نشره بشمال افريقية، ويبدو ان اول نشرة له بالمغرب هي التي كانت بالمطبعة الحجرية الفاسية ، بتاريخ الجمعة 10 صفر عام 1289هـ. ثم كان من طبعاته الاخرى تلك التي قامت بها دار الكتاب المغربية ، بخط الوارق المتقن : احمد بن الحسن زوين الفاسي ، حيث فرغ من الكتابة ضحوة الاحد 17 ذي القعدة عام 1376هـ. في 121 ص من الحجم المتوسط .

42 ـ من نماذج هذه الشروح والتعاليق ما كتبه الفاسيون الثلاثة على دلائل الخيرات ، انطلاقا من ابي زيد عبد الرحمن بن محمد، فابي حامد محمد العربي ثم محمد المهدي ، ومؤلفاتهم مخطوطة معروفة، باستثناء مطالع المسرات الذي تكرر طبعه .

ومن المؤلفات المغربية الاخرى : «اتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة بكشف القناع عن الفاظ دلائل الخيرات» ، تاليف ابي العباس احمد بن محمد ـ بفتح اوله ـ بن عبد الرحمن بن ابي بكر السكوني الفجيجي مولدا ودارا ، الحسني نسبا . خ. م. 3290

ثم الازهار المثيرات، في شرح «دلائل الخيرات» لمحمد بن (محمد) السالك الجرتي المراكشي خ. م. 6494

وثالثا : «تعليق» يحمل مؤلفه اسم الطاهر بن محمد ـ بفتح اوله ـ بن ابراهيم التادلي ثم المساري ثم البجعدي / خ. م. 6657 .

ومن اغرب ما يذكر في هذا الصدد ، «ترجيز دلائل الخيرات» ، في منظومة مطولة لابي حفص عمر ابن محمد المجاصي المكناسي ، وكان يشتغل به اواسط المائة الهجرية ، 12 / خ. م. ز. 884

ولمحمد بن عبد السلام بن احمد بوسنة المراكشي «اتحاف السائل ، في تنبيه اهل الدلائل» .

خ. خ. ك 32 ثاني مجموع

ولمحمد عبد الحي الكتاني «سلاسل البركات» الموصولة بدلائل الخيرات» ، اشار له في «فهرس الفهارس» ج 2 ص 389 .

ومن مؤلفات المشارقة على دلائل الخيرات : «بدء الوسائل، في حل الفاظ الدلائل» للشهاب احمد ابن محمد السجاعي المصري ، حسب ايضاح المكنون ج 1 ع 167.

و«المنح الالهيات ، بشرح دلائل الخيرات» ، لسليمان الجمل الازهري / خ. م. 1362

خ. ع. د 1633 ـ تطوان 319

و «بلوغ المسرات على دلائل الخيرات» لحسن العدوي الحمزاوي، منشور بالمطبعة الحجرية المصرية.

و «الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات» للنبهاني ، مطبعة الحلبي بمصر عام 1338هـ.

هذا فضلا عن شروح مشرقية اخرى ، وردت نماذج منها ـ وعددها خمسة ـ في ايضاح المكنون ج 1. ع. 476 .

43 ـ له ترجمة وجيزة في «سلوة الانفاس» ج 2 ص 268 ، وهو يرتب كتابه على ثمان حدائق : الاولى تشتمل على ثمانية أبواب ، والرابعة والسابعة والثامنة : اربعة أبواب ، والثالثة والسادسة ثلاثة ، وبابان في كل من الثانية والخامسة ، واعتمد في تاليفه «تحفة الاخيار» للرصاع وكتاب «الاعلام» للتميري وغيرهما .

44 ـ الظاهر ان هذا ينتسب الى قبيل كسيمة الصحراويين ، وقد انتقل الكثير منهم لسوس ونزلوا باقليم اكادير ، حيث توجد «اتزكان» وسط بلادهم . انظر «المعسول» ج 14 ص 148.

45 ـ ترجمته في «سلوة الانفاس» ج 2 ص 85 ـ 87 .

46 ـ تعددت مصادر ترجمته من عصره فما بعده ، ونشير ـ من بينها ـ الى الدرر المرصعة لمحمد المكي الناصري ، خ. ع. ك. 265 ، ثم طلعة المشتري لاحمد بن خالد الناصري ، ط. ف.

47 ـ مما يدل لذيوع غنيمة العبد المثيب ، قول العدلوني في افتتاحية شرحه عليها : «واعتكفت على قراءتها الابرار ، وتداولتها ـ فيما بينهم ـ الفقراء الاخيار ، وذابت على ملازمتها ذوو الاسرار ، حتى صارت حجيراهم بالليل والنهار» .

وتجاوبا مع هذا الاقبال على الغنيمة ، تعددت شروحها في فترات متقاربة ، أ ـ وكانت الاسبقية لابي الحسن بن علي بن محمد بن محمد بركة الاندلسي التطواني، فوضع عليها «شرحا» أشار له مؤلف الدرر المرصعة ثم العدلوني في طالعة شرحه .

ب ـ «شرح حفيد المؤلف» : ابي العباس احمد بن موسى بن محمد الكبير الناصري ، وكان في فترة تاليف الدرر المرصعة لا يزال يشتغل فيه ولما يتمه .

ج ـ « رقية الطيب ، ومنية الحبيب ، في حل الفاظ غنيمة العبد المنيب » ، اسم شرحها للقاضي عبد السلام بن عبد الرحمن العدلوني آتي الذكر ، خ. ع. ك. 2204 / خ. م. ز 889

د ـ «تعليق القلائد الجسيمة . على كافور جيد الغنيمة» ، عنوان شرحها للعالم الرباطي : الهاشمي ابن محمد بن عبد السلام سكلانط الاندلسي. استمر بقيد الحياة حتى عام 1173 هـ وشرحه هذا مخطوط في اربعة اسفار، خ. م. 1273، وورد ذكره في ترجمة مؤلفه عند محمد بن علي دنية في «مجالس الانبساط ، شرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» خ. م 779، ثم في الاغتباط ، بتراجم اعلام الرباط» ، خ ع د 1287 مع «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن علي الذكالي السلوي خ. ع، د 42 .

48 ـ انظر عن ترجمته حمدون الطاهري في «تحفة الاخوان..» ط. ف. ص 77 ـ 114 .

49 ـ انظر ترجمته عند المرادي في « سلك الدرر..» ج 1 ص 116 ـ 117 .

50 ـ «اتحاف السادة المتقين» ج 4 ص 51.

51 ـ ورد ذكره في «سلك الدرر» بين اشياخ الملوي المغاربة ، وذكره الزبيدي في «تاج العروس» ج 5 ص 236 هكذا : «شيخ مشايخنا افضل المتاخرين العلامه : ابو عبد الله محمد بن عبد الله القصري الكنكسي ، حدث عن ابي العباس التلمساني ، وعنه الشهب الثلاثة : احمد بن عبد لفتاح ، وأحمد بن الحسن وأحمد بن عبد المنعم المصريون» .

52 ـ ايضاح المكنون ج 2 ع 45 .

53 ـ هذا هو تاريخ الرحلة الحجازية للحضيكي خ. م. 405 ، وقد ذكر الاسم الذي نعلق عليه بين الذين لقيهم بالمدينة المنورة، هذا الى المامة بالمذكور وردت في «المعسول» ج 5 ص 25 .

54 ـ لا تعرف له ترجمة منتظمة ، وهناك بعض معلومات عنه وردت ضمن موضوع «الوراقة المغربية في العصر العلوي الاول»، مجلة «دعوة الحق» : العدد العاشر ، السنة 16 ، ص 84 ـ 85 .

55 ـ ترجمته في شجرة النور الزكية ص 354 ولنفس المؤلف شرح على «كنوز الاسرار» ، باسم «الفتح المبين ، والدر الثمين ، في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين ، صلى الله وسلم عليه آمين» ، رتبه على مقدمة وثمانية ابواب وخاتمة ، وجعل موضوع الباب السادس ذكر مصادر الصلوات الواردة بكنوز الاسرار ، خ. م. 401 بخط شرقي ـ خ. ع. ك 637 ثالث مجموع يشتمل ـ ايضا ـ على متن كنوز الاسرار .

56 ـ أفردت ترجمته بالتاليف ، ثم تناولها عدد من كتب التراجم ، ونشير ـ بالخصوص ـ الى نشر المثاني ط. ف. ج 2 ص 277 ـ 278 ، مع فهرس الفهارس ج 2 ص 169 ـ 170.

57 ـ مختصر يتيمة العقود الوسطى لمحمد المكي بن مؤلف الذخيرة ، غير ان الكتاب لم يستمر على تجزئته الاولى ، واختلفت نسخه بالزيادة والنقصان عن تقسيم 55 ، وأكبر مجموعة مغربية من الذخيرة هي التي تحتفظ بها الخزانة الملكية : من رقم 7874 حتى رقم 7957 ، ثم قسم الكتانية بالخزانة العامة من رقم 2756 حتى رقم 2799، مع ارقام 584 ـ 587ـ 2989 ، ومن الواضح أن عددا من هذه الاجزاء يتكرر بعضها مع البعض .

وفي خزانة الجامع الكبير بوزان مجلد من الذخيرة ـ رقم 519 ـ يبدو انه الاول ، ويوجد باوله وآخره تقاريظ على الكتاب من جهة اعلام وأدباء الجزائر وتونس وطرابلس بخطوطهم ، وهناك مجموعتان ـ على حدة ـ لهذه التقاريظ .

ـ تقاريظ أئمة المشرق / خ. م 7958 .

ـ تقاريظ أئمة المغرب / خ. ع. ك 1181

وأخيرا نحيل على بقية العقود الوسطى لمحمد بن عبد الكريم العيدوني ، وهي تحتفظ بلائحة للاصول التي استمد منها مؤلف ذخيرة المحتاج .

58 ـ ترجمته في «كشف الحجاب» للقاضي احمد سكيرج ، الطبعة المصرية ، ص 97 ـ 126، مع «رفع النقاب» لنفس المؤلف ، مطبعة الامنية بالرباط ، ج 3 ص 160 ـ 169 .

59 ـ «كشف الحجاب» ص 104 ـ 118 ، ولمحمد ابن المنصرى الحسني الجزائري شرح على ياقوتة المحتاج لا يزال مخطوطا / خ. ع. د 1919 اول مجموع / خ. ع. د 2419 : اول مجموع خ. ع. د 2447

60 ـ هو مؤلف «الدر السالك على الفيه ابن مالك» خ. م. ق 1797 ، بخط مؤلفه الذي فرغ منه في يوم 25 ربيع الاول عام 1207هـ، ومن هنا يستفاد عصر المؤلف الذي لا يعرف له ـ الآن ـ ترجمة.

61 ـ انظر وصفه في فهرس هذه المكتبة ، مجلة «تطوان» : العدد 8 ص 166 .

62 ـ ترجمته في «سلوة الانفاس» ج 3 ص 30

63 ـ ترجمته بـ «الاعلام» المراكشي ج 5 ص 251 ـ 253 ، ووفاته من «دليل مؤرخ المغرب الاقصى» رقم 664 .

64 ـ هذا هو تاريخ استجازة مرفوعة من التهامي ابن رحمون بخطه، الى مؤلف ذخيرة الكنوز.

65 ـ «سلوة الانفاس» ج 3 ص 26 .

66 ـ ترجمته بنفس المصدر ج 1 ص 170 ـ 171 ، ولابي السعود عبد القادر بن ابي القاسم العراقي الحسني الفاسي شرح على احدى هذه الصلوات ، باسم «المواهب الربانية ، في شرح الصلاة الصقلية» ، الموجودة قطعة منه بخط المؤلف، في محفظة من ورقة 73 ب الى ورقة 103/خ.ع.ك 64

67 ـ ترجمته عند ابن الموقت في «السعادة الابدية» ، / ط. ق. ج 1 ص 148

68 ـ لا تعرف له ترجمة ، وهو حفيد العلامة الشهير : التهامي الحمادي المكناسي ، المترجم في «اتحاف اعلام الناس» ج 2 ص 81 ـ 94 .

69 ـ تعددت مصادر ترجمته ، على ان اوسعها هو كتاب «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» من تأليف ابنه الشيخ محمد الباقر ، مطبعة الفجر عام 1962 .

70 ـ من بين المصادر الكثيرة لترجمته، نشير الى «معجم الشيوخ» للقاضي عبد الحفيظ الفاسي الفهري / ج 2 ص 37 ـ 41 .

71 ـ ترجمته في «الاعلام» المراكشي ج 2 ص 280 .

72 ـ تناوله بالتعريف به عدد من المؤلفين المعاصرين ، على ان الترجمة الموسعة هي التي كتبها ابنه الاستاذ عبد الملك البلغيتي ، وصدر بها الجزء الاول من كتاب والده : «تشنيف الاسماع» المطبعة الجديدة بفاس ، ص 1 ـ 52 .

كلمة في

فضائل الاسلام

ألقيتها على وفد ألماني

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

اقترح علي قبل سنوات ان القي كلمة باللغة الالمانية على وفد المانى جاء لزيارة المغرب ، فلبيت الاقتراح وحضر الوفد ، عدد افراده رجالا ونساء من جميع انحاء المانيا سبعة عشر ، وكان ذلك في بلدية المدينة الجديدة بمكناس وكان ذلك مساء الاحد 24 من المحرم سنة 1388 هـ موافق 68/4/21 م ، وتص الكلمة :

ايها السيدات والسادة احييكم تحية طيبة ، وارحب بكم ، وقد اقترح ان القي على مسامعكم كلمة في فضائل الاسلام ، بلغتكم الالمانية ، فلبيت الطلب للاجتماع بكم ، وسأتكلم باختصار ، ثم اكون مستعدا لاجابة ما يرد علي من اسئلة .

ما معنى الاسلام

قال عالم انكليزي : الاسلام هو التسليم والانقياد لارادة الله تعالى ، يمكنكم ان تقولوا : وكيف نعرف ارادة الله تعالى ؟ فأجيب باننا نعرفها بواسطة الرسل الذين ارسلهم الله الينا ، كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم اجمعين) ويمكنكم ان تقولوا : ان هؤلاء الرسل جاءوا بشرائع مختلفة ، فاقول : ان شرائعهم ، وان كانت مختلفة ، فانها لا تختلف في أمرين عظيمين :

أوليما : توحيد الله بالاعتقاد انه هو الله الذي خلق السموات والارض ، وهو خالق كل شيء ، ومدبر كل شيء ، فلا يعبد الا الله ، ولا يتوجه الا اليه بطلب الحاجات وتفريج الكربات ، ولا يستعان الا به .

ثانيهما : اقامة العدل والمساواة بين جميع الناس . فاذا نحن اعتقدنا هذين الاصلين ، وتمسكنا بهما حق التمسك نستطيع ان نعيش بسلام ، متعاونين على الصالح العام ، وفي ذلك سعادتنا جميعا .

وقد علمنا الاسلام ان نعتقد ان عيسى المسيح من اعظم رسل الله ، وان امه صديقة طاهرة ، وان الله تعالى اراننا معجزة دلتنا على انه قادر ان يخلق ولدا بلا اب ، وان يهبه مريم العذراء . وهذه العقيدة عندنا تساوي عقيدتنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يعتقدها فليس بمسلم . والاسلام يامرنا أن نؤمن بجميع الانبياء والرسل ، من عرفنا منهم ومن لم نعرف ، لان الله بعث في كل امة رسولا ، ولم يهمل امة من امم .

فان قيل : اذا كان هذا هو اعتقاد المسلمين فلماذا نراهم في العصور الاخيرة متأخرين ؟ فالواجب : ان المسلمين حين كانوا متبعين للقرآن وهدى محمد (صلى الله عليه وسلم) متمسكين بسنته ، حاكمين بشريعته ، كانوا اسعد الناس واغناهم واعظمهم رقيا

وحضاره واعزهم ، فلما تركوا اتباع القرآن والرسول ذهبت قوتهم وسعادتهم ، واجتماعهم وتعاونهم ، وانحطوا الى الحالة التى هم فيها .

الاسئلة والاجوبة

1 ـ ما رأى الاسلام فى هذه الحضارة الاوربية ؟ وهل يستطيع المسلم ان يجمع بين التمسك بالاسلام والاخذ بنصيب من الحضاره الاوربية ؟

الجواب : ان الاسلام يرحب بالحضاره الاوربية بمكتشفاتها ومخترعاتها وصناعاتها ، ولا يتنافى معها ابدا ، بل يرغب فيها ويحض عليها ضمن قواعده واصوله وهو فى ذلك رابح غير خاسر .

2 ـ كيف يستطيع العمال فى المعامل والمصانع ان يؤدوا الصلوات الخمس ؟

الجواب : ان الصلاة هى عماد الاسلام ، ولا يمكن ان يقوم الاسلام بلا صلاة ، وليس فيها مشقة ولا تعويق عن العمل ، لان كل صلاة من الصلوات الخمس تتم فى خمس دقائق ، ولايحتاج المصلى ان يتوجه الى معبد ، بل يصلى فى مكان اشغله ، فان الارض كلها مسجد فى نظر الاسلام .

والعمال يمكنهم ان ينقسموا قسمين : جماعه تصلى وجماعة تقوم بالعمل ، ثم تجىء الجماعة التى صلت وتسير دولاب العمل ، وتذهب الجماعة التى لم تعمل فتصلى . على ان اكثر الصلوات شرعت فى اوقات الراحة كالمغرب والعشاء والصبح والظهر ، وقد رخص الاسلام للجماعة والفرد فى حالة الاضطرار ان يجمعوا بين الظهر والعصر ، وان يجمعوا بين المغرب والعشاء فى اول وقت العشاء .

3 ـ قالت سيدة: كيف يستطيع العمال فى معاملهم ان يصوموا رمضان من الفجر الى الغروب ، اذا صاموا يتعطل العمل ؟

الجواب : فقلت لها : قبل ان اجيب عن سؤالك ارجو ان تسمعى قصة اقصها عليك ، كنت فى «برن» بالمانيا سنة 1938 ، وكنت اكل فى (بانسيون) يدعى صاحبه (هر شميت) فلما قرب دخول رمضان قلت له ارجو من فضلك ان تؤخر غذائى من الزوال الى الساعة السادسة بعد الغروب لمدة ثلاثين يوما ، فقال : ولماذا ؟ قلت له : قد اقبل رمضان ، وهو شهر الصيام يصوم فيه المسلمون من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فقال لى : لاتاكل شيئا اصلا ؟ فقلت : لا ، فقال لى : اذن تموت ، فقلت لا أموت ان شاء الله ، فقال لى : : اعلم ان بلادنا باردة يحتاج فيها الانسان الى اكثر مما يحتاج فى بلادكم، فقلت له : اجبنى عن تاخير الغذاء ، فقال لى وزوجته الى جانبه : نستطيع أن نحضر لك غذاءك فى الساعة السادسة كما طلبت الا فى يوم الاحد ، فان الخدام لا يشتغلون ، وزوجتى هى التى تحضر العشاء ، فلا بد ان تنتظر الى الساعة الثامنه ، فقلت : قبلت : وكنت فى ذلك الوقت مصابا بقرحة المعدة وقد اتفق الاطباء على ان المصاب بها يجب أن يأكل فى كل ساعتين او ثلاث ساعات قليلا من الطعام ، فعصيت أمرهم .

وقبل ان ابدا فى الصيام وزنت فى الميزان الذي يسجل الوزن من تلقاء نفسه (اوتوماتيك) وحفظت البطاقة التى فيها مقدار وزنى ، فلما انتهى رمضان وزنت نفسى فالفيتنى قد زاد وزنى اربعة ارطال ، واخذت البطاقتين الى (الهر شميت) وفيها تاريخ الوزن فلما قرأهما تعجب كثيرا وقال لى : ما دام الانسان فى الحياة لا تزال تنكشف له امور كان يجهلها ، والان اجيبك عن سؤالك :

اعلمى ان الانسان مركب من روح وجسم، والسلطان للروح لا للجسم ، والعبادة غذاء الروح ، فاذا قوى الروح اعطى الجسم قوة خارقة للعبادة ، ونحن المسلمين منذ الف واربعمائة سنة نصوم رمضان ، واشغالنا ماضية لم تتعطل ، وعلى سبيل التنزل والافتراض نقول : ان العامل المسلم لا يشتغل فى رمضان الا أربع ساعات بدلا من ثماني ساعات ، فكم يخسر ؟

الجواب : يخسر مائة وعشرين ساعة فى السنة لان العمل عندنا جائز فى جميع الايام لا يجب علينا تركه فى أى يوم من ايام الاسبوع ، وانتم تجبرون على ترك العمل نصف يوم السبت ويوم الاحد بتمامه فتخسرون اثنتى عشرة ساعة فى كل اسبوع ، زيادة على ايام الاعياد الكثيرة ، كعيد الميلاد وعيد الفصح وغيرهما ، فاذا ضربنا اثنتى عشرة ساعة فى اثنين وخمسين عدد الاسابيع السنة يكون الخارج ستمائة واربعا وعشرين ساعة (624) .

فكيف ترين النسبة بين ما يخسر المسلمون بسبب الصيام ، على فرض انهم يخسرون ، وبين ما يخسره المسيحيون ؟ فما اعظم الفرق بين مائة وعشرين ساعة وستمائة واربع وعشرين ساعة ، فتعجب السامعون وابدوا اعجابهم بهذا الجواب المسكت .

وقلت لها : ان اليهود يحرم عليهم ان يشتغلوا يوم السبت هم وخدامهم ودوابهم وسياراتهم وسائر آلاتهم بالقياس على الدولب من مساء يوم الجمعة الى آخر يوم السبت بالاضافة الى اعيادهم الكثيرة ، واذا كانوا مساكين للمسيحيين كيهود اوربا وامريكا يأمرهم تعطيل يومين في كل اسبوع ، فهل تعطلت اشغالهم وتأخرت اعمالهم ؟

وعند ذلك قام رجل وهو الدكتور كيز كوكر GEZ .DR. Keeker وارتجل خطبة طويلة بليغة اطرانى فيها واطرى فصاحتى بالالمانية ، وذلك ما لا اوافقه عليه، لان اللغة التى لاتشتغل فى كل يوم بالتكلم والكتابة والقراءة لابد ان تنقص بنسيان بعض الفاظها ، ويقل انطلاق اللسان بها ، ثم اثنى على ما شاهد الوفد فى المغرب من النشاط والنظافة ، وخصب الارض واعتدال الجو ، وجمال المناظر ، ووداعة السكان ، وذكر بالخصوص وجود الليمون المسمى بالبرتقال بكثرة واستمتاع الوفد به .

وقد اخبر الخطيب فى اول خطبته انه يتكلم باسم الوفد المؤلف من سبعة عشر من جميع انحاء المانيا الاتحادية ، واقترحت على السيد الرئيس ان يطلب من ذلك الخطيب ان يكتب له مضمون خطبته ، لانه مهم جدا .

وبعد انتهاء خطبة الخطيب شكرته على ثنائه وعلى مدحه لوطننا واعجاب الوفد بما شاهده فيه ، واخبرته ان المغاربة يحبون الالمانيين من قديم الزمان ونحن نرجو الله تعالى ان يكون ذلك اليوم الذى توحد فيه المانيا ويجتمع شملها ، ويتم ازدهارها وسعادتها جد قريب ، هذا ويشارك فى هذا الرجاء كل منصف ومحب للحرية والعدالة فى انحاء العالم ، فصفقوا تصفيقا عاليا ، كما صفقوا مثل ذلك عند نهاية كلمتى الاولى ، وعند نهاية الاجوبة ودعتهم وانصرفت .

وهذه ترجمة كلمة الدكتور (كينتس كوكر
GEZ .DR. Keeker

التي القاها بالنيابة عن الوفد الالمانى المرافق له جوابا عن كلمتي :

حضرة المحترم الاستاذ الدكتور الهلالي ، نشكركم كثيرا من صميم قلوبنا على حديثكم الذى شرحتم فيه مبادىء الاسلام ، وبيسم الاصول التى تجمع بين ديننا ودينكم ، وهى الاعتقاد بان الله اله واحد ، يجب علينا الانقياد والتسليم لارادته سبحانه ، والرغبة فى ان نعيش بسلام مع جميع الشعوب متحدين متعاونين على الخير العام ، وقد تاثرنا اشد التاثر حين راينا مئات من الناس يجتمعون فى المساجد لاداء الصلاة فى اوقاتها .

ان اعضاء وفدنا جاءوا من جميع انحاء المانيا الغربية فهم يمثلونها كلها من ميونخ (جنوبا) الى هامبورك (شمالا) ومن فرانكفورت (غربا) الى هانوفر (شرقا) لقد عرفنا بلادكم ، وشاهدنا فيها كثرة اشجار البرتقال واستمتعنا بما اشترينا منه فى الاسواق . ونحن نعرف آثار ثقافة اسلافكم فى برتكال واسبانيا .

ونحن نريد ان نستمتع زيادة على ما شاهدناه بالتجول مدة اسبوع لمشاهدة المغرب الجديد العصرى ولقد راينا المدن القديمة ، والمدن الحديثة والعصرية وقد تاثرنا كثيرا بتطور الصناعة ، والاعمال الفلاحية فى الاراضى الخصيبة والاراضى القليلة الخصب ، وقد دهشنا بما رأيناه من نظافة المزارع والعناية التى يبذلها الفلاحون فى كل مكان .

وقد شاهدنا فى كل مكان ان هذا الشعب المغربى فى وضع يمكنه من السيطرة على مقدراته ، وسيتبوأ المقام الطيب اللائق به فى أسرة الشعوب الاوربية وقد تأثرنا بالخصوص بمشاهدة كثرة الصبيان والشباب فى بلادكم ، وحيثما توجهنا راينا الرغبة فى التعلم والنظام ، ونحن مسرورون بهذا التطور الذى نشاهده فى المغرب الجديد . ونحن على يقين ان شعبكم الفتى سيتقدم كذلك فى المستقبل .

ونعيد شكركم على هذه الفرصة التى اتحتموها لنا للتعرف على شعبكم ، اما انتم ايها الاستاذ المحترم، فانى أثنى اطيب الثناء على اجادتكم للغة الالمانية .

GEZ .DR. Keeker الدكتور كير كوكر

الأمير أبو عبد الله العالم وندواته الأدبية

للأستاذ سعيد أعراب

-2-

الندوة الثانية :

دخلنا عليه فوجدناه المنتزه الجديد ، وقد اشرف على الميدان ، وخيول الحلبة تتسابق فيه افواجا افواجا ..

وبعد ان رحب بنا ، وعاتبنا عتابا لطيفا على ابطائنا ؛ فاعتذرنا له بكثرة اشغالنا ، وطلبنا منه العفو والصفح ؛ قبل عذرنا ، وآنسنا بلطفه واحسانه ، ثم التفت الى الخدم، فقدموا لنا القهوة في اوان حسنة، وأمر كل العبيد ان يقفوا خارج المنتزه، بعيدين عنا، ولم يبق معنا الا الحاجب والمكناسيون ، والعبد الذي يقف على رأسه بسلاحه ، ثم قال لنا : انى أعييت كثيرا في هذه الايام ، ولا يزيل هذا الاعياء ، الا المساجلة في وصف ؛ فهل تساجلون باختياركم في القافية ، وفيما تختارون من وصف ما تريدون ، او انا اختار لكم ، وأبدأ لكم المساجلة في وصف ما اريد ، وعلى القافية التي اريد ؟

فقال له السكتاني : ان اختيارات الملوك ، ملوك الاختيارات ؛ فلا نعرف ما تريد ، وحاشانا من ذلك؛ فقال لـه : اذن نصف هـذه الاوانـي ـ يعنـي الاوانـي التـي اعدت لشـرب القهوة ـ على انهـا اواني خمر ، في روض اريض ، يديرها ساق جميل ، على عادة الشعراء الاقدمين ، وان لم نقتد بهم ـ والحمد لله ـ في فساد المروءة والتهتك ؛ وأنـا وانتم لا نعرف ذلك ـ بحمد الله ، ولكننا نعرف ذلك فيما نقرأه من كتب الادب ؛ ثم اطرق هنيهة وقال :

هذى الكـؤوس مشعشعـات الـراح
فـانهض نـلـب نداءهـا يـا صـاح

ثم قال السكتاني ـ وهو الـذي يليـه ـ حسب ما رتبهم عليه :

ما عـذر من ترك العقـار بروضـة
زهراء بيـن منـادمـات صبـاح

فقال الهلالي :

فالوقت طاب وبلبل الاغصـان قـد
مـلأ الـريـاض بصـوتـه الصـداح

وقال الرسموكي :

والروض أزهر ورده بخـــدود
واليـاسمين بلونـه الوضـاح

وقال الزدوبي :

فـكـأن مبيـض الـزهـور منضـرا
حبب الـرحيـق اعـالـي الاقـداح

وقال السكتاني :

وكـأن محمـر الشقـائـق وجنة
دعكـت بـراحـة ماجـن مـزاح

وقال الهلالي :

وكـأن ذاك الـورد فـي اشـواكـه
شاك تبـدى في اتـم سـلاح

وقال الرسموكي :

وكأن هاتيـك الغصـون وميسهـا
بالرفق ميس من قدود ملاح

وقال الزدوتي :

قم واسقنيها مثل عين الديك تح
سخز لمكارم انفس الشحاح

وقال السكتاني :

من كف اغيد ردفه مترجرج
كالدعص بين تقلبات رياح

وقال الجلالي

ان مد يشفع ما يمد بأعين
ثجل مراض في الجفون صحاح

وقال الرسموكي :

ما الراح الا ما يدير مهفهف
غنج والا فهو دون قراح

وقال الزدوتي :

كل الملذات العذاب توفرت
فانهض ولب الانس عند الراح(1)

ثم اشار الخليفة ان كفى ، ثم قال للمكناسيين : (أمسحر هذا ام انتم لا تبصرون) ؟ هكذا والا فلا؟

قال الحاكي : فقد ـ والله ـ قالنا الجهد ، وليس ذلك من الخليفة ، لانه ـ وان كان نقادة ـ فانه يلاطف بنقده ، وكثيرا ما يستر عورة ، وانما الذي الذي لا نرضى ان ينتقدنا ، هم المكناسيون ، **فالموت الاحمر افضل عندنا من ذلك** ، ولولا خوف اساءة الادب مع الخليفة لمناقشتهم ، قال : ثم دارت علينا كؤوس القهوة ـ والخيل تحت انظارنا من الشراجم تلعب في الميدان ، وطلقات البنادق عند تشارك فيها حتى سألنا الخليفة ذلك ؛ ومدارها على جمع التكسير في قلعة كقلبية ، ومن فعى كحجلى ومثل ذلك ، وعندنا من البديهيات ، نستثقل الحديث عنه في مجالس الانس ، وقد شبعنا منه في كتب النحو .

وبعد تلك المذاكرة ـ القصيرة وكأنها مقدمة لما يريده الخليفه التفت الينا فقال: هل لكم في مساجلة اخرى في خيل الحلبة هذه ، بألوان خيلها ، وسواد ركابها ، وأصوات بنادقها؟ فقلنا على السمع والطاعة، فاطرق الخليفة ـ كأنه يتسمع مطلع المساجلة ؟ (قال السكتاني (1) : فتأتى لي هذا المطلع ، فقلت قد حضر مطلع ـ ياسيدنا ، فقال : قل ، فقلت :

سوابق مولانا بروق لوامع
ذواصب في دجن السحاب رواجع

وقال الهلالي :

صفونا صفوفا كالعقود تماسقت
على صفحات النحر والنحر ناصع

وقال الرسموكي :

اذا ابرقت من جريها الموهض الخطو
ف ترعد ما بين البروق المدافع(1)

وقال الزدوتي

فلا تستطيع العين تثبت عدها
اذا استرسلت في جريها تتدافع

وقال السكتاني :

كأن الرياح الهوج صفن قوائما
لهن فكيف العاصفات اذا زواسع

وقال الهلالي :

خيول لها للالوان شتى كأنها
تلون وشي من قطائف لامع

وقال الرسموكي :

ولكنما الفرسان ما منهم سوى
ابى المسك عاليهم من الباس ساطع

---

(1) وانظر ما بين هذه الابيات من تراطب وتساوق، وكأن بعضها يكمل بعضا ، والبيت الاخير ينم عن حسن الختام : (فكل الملذات العذاب توفرت..) ولم يبق الا الانس بالاحبة، وقد حفتهم السعادة بأجنحتها وسلام على الدنيا وما فيها .

(1) جمله (قال السكتاني) ساقطة في الاصل والمعنى يقتضيها .

وقال الزدوني :

أناسي تبيض العصر بأسمهم اذا
يعز امام الزاحفين المدافع

وقال السكتاني :

قد ابيضت الاحلاق منهم وكم ترى
من ابيض تعلوه الخلال السوالف

وقال الهلالي :

اذا لم يك الانسان ابيض شيمة
أثر فيه بيض الموشيات النواصع

وقال الرسموكي :

بلى ان تكن بيض الخلال فانه
وان كان مسودا لامجد قارع

وقال الزدوني :

كأمثال ابطال البهاليل هؤلاء
، هم شموس في السباق لوامع

وقال السكتاني :

على حدأ قبل ضوامر الصفا
اذا وطئت في جانبيها براثع

وقال الهلالي :

فلولا مران الراكبيها ومرة
بأعضادهم والمحكمات القوامع

وقال الرسموكي :

لما انقدن هذا الانقياد كما ترى
تتسلس في ايديهم وتتابع

وقال الزدوني .

فمن شمته منهم - وان كان قارحا
مسنا - يرى في الظفر انه يافع

وقال السكتاني :

اذا اظهروا في الحلبة - اليوم - ماترى
فكيف تراهم اذ تدور المعامع

وقال الهلالي :

فهل كان هذا اللهو الا عناوننا
لما هو يوم الجد في الحرب واقع

وقال الرسموكي :

فكل مصون بالجنود كهذه
حصين الى الآباد ما هو ضائع

قالوا : وهنا اشار الينا الخليفة : كفى ، كفى .. فقد بالغتم وافتم فوق ما يراد منكم ، فلله در مجالس تعلمتم منها، وآمات ارضعتكم بلبانها ! (فعند الامتحان ، يعز المرء اويهان) .

ثم التفت الى المكناسيين فقال لهم : بالله عليكم، اترون مل هذه السرعة في مثل هذا الوصف القليل، وقد فرغوا فيه ما شاءت لهم قرائحهم ، حتى خفت عليهم انشقات المرائر (1) من كثرة التفكير ! ؟

وهل هناك في المغرب - اليوم - مثل هذه السرعة في الجلسة ؟ فقال له احد المكناسيين : ان هذا حقا لنادر ، وما رأينا قط في مثل هذه السرعة الا فلانا - وسمى رجلا لم نعرفه - ولكن رأينا منه ذلك في القصائد ، لا في المساجلة والمماتنة ، ولا يشك احد في ان السرعة في قصيدة الانسان - وهو يتبع معناها وحده كما يتيسر له - غير عجيبة ، كما هو العجب في السرعة في المساجلة ، والانسان مرتبط في بيته بالبيت الذي قبله ، ثم ليس هو في سعة من الوقت ينتقي فيه ، وهذا على كل حال نعمة من نعم الله وفضله ، (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

ثم قال الخليفة : ان هذا اليوم قد اعطيناه حقه، فنهض قائما ، فقمنا بقيامه ، فاستوقفنا عبد في باب المقنزه ، ثم خرج الحاجب ومال بنا الى مكان استخرج منها هدايا، فمكن لكل واحد منا حلة وصرة دراهم، ثم قال الحاجب : انكم اضياف الخليفة (1) .

(2) يعني بها السادس

(1) فما اجمل هذا التعبير ! وما اصدقه على المعاناة التي يعيشها الشاعر عند التسابق بين فرسان الحلبة في مضمار المساجلة ، حيث تتصاعد انفاسه وتنبح دقات قلبه ، حتى تكاد تنفطر منه الجوانح ؟

اقتراح بعض السياسيين :

قال الحاكي : ثم طرقنا في البيت أحد المكناسيين من بطانة الخليفة فداخلنا بحديثه ـ وهو محدث لبق، حتى جرى ذكر القصائد التي قيلت في الخليفة ، فقال : ينقصها شيء واحد يحبه الخليفة ، وهو انه اليوم ـ كما تعلمون ـ افضل اخوته ، وهو بهذا الأمر بعد السلطان ، ولا بأس ان قلتم قصيدة ـ ان تشيروا الى هذه الجهة ، اشارة ليست بصريحة ـ في كلام مثل هذا .

ولما خرج ، قلت لهم : انني اشير عليكم ان لا تورطوا انفسكم ، واعشوا بمقدار ، فاما الرسموكي فقال : انني قد ذقت ما بين الملوك ـ في ايام سيدي علي ، وولده سيدي محمد ، وأعدائهما ، وقد كدت اهلك يوم خراب (ايليغ) ، فالله يحفظني ان اتداخل في مثل ذلك ، وانما اجعل نفسي كالطير يلتقط ما ينبح من الحب ثم يطير ، وقد صدق في ذلك ، ولم يتورط في قصيدته التي قالها ، بخلاف اصحابه .

ولا نريد ان ندخل في تفاصيل هذه الندوة ، منها بقصيدة الرسموكي التي يقول فيها :

اخي كل وقت النقى والنواحيا
فيا وينتا ما لنواحي وماليا

كفاني الذي بي من غرام مقلقل
ولوعة قلب كان بالوجد لاظيا

فهل في فضل بعد ذلك للذي
يفرغ مني شاخت الجسم ضاويا

فما ديدني الا التململ والبكا
متى ابصرت عيناي برقا يمانيا

اظل نهارا في اختلاء وفكرة
وأسهر طول الليل للنجم راعيا

سهاد ووجد وانتحاب وباليا
نواغل حيرن الطبيب النطاسيا

فلولا أماني التواصل لم أبل
مني ما قضى دهري الذي كان قاضيا

أحباب قلبي والذي بعشقهم مت
اري مثلا بين الاحاديث ساريا

ومن بهم روحي تعاودني متى
أشم بروق وصل منهم كان كافيا

انا لكم كونوا كما شئتم فلا
أميل وان يرم الهوى بي مراميا

فيا طالما عنفت فيكم فلم أعر
صماخا لما كان العنف واعيا

بل ازداد بالتعنيف وجدا ولوعة
فكيف اللظى بالعاصفات هوافيا

ألا ليت شعري هل اعيش لحقبة
اري الوصل ايضا مثل ما كان ضافيا

فاسترجع اللذات خضرا نواضرا
اري لي فيها بالغ العيش دانيا

فيرجع لي عهد سعيد كأنني
أراجع جلاس الخليفة ثانيا

أولئك قوم لاحظتهم سعادة
فلاحظهم من كان شهما منافيا

وأي اعتلاء فوق من كان خير من
تناسله خير الورى عنه راضيا

فيا فرحي ياقوم اذ كنت بينكم
جليسا برضوان الخليفة حاليا

فكم مرتج هذا المقام وغابط
لمن كان فيه طالع النجم سامیا

---

(1) ثم يذكر المؤلف ان الادباء الاربعة ، اقاموا نزهة في احدى الضواحي ، وجرت بينهم مساجلة طويلة في ذم العبيد ، ناقضوا فيها ما قالوه من المساجلة الآنفة الذكر ، ـ صنيع ما فعل ابو الطيب المتنبي مع كافور الاخشيدي ، مما يدل على الروح الشاعرة التي تطفح بها نفوس هؤلاء الادباء ، ولم نوردها لا تدخل في صميم موضوعنا (الامير وندواته الادبية) وان كانت تحوي طرائف وملحا ادبية ، وفوائد جليلة قد لا تجدها في غير هذا الكتاب .

تصاقب مولانا الخليفة سامعا
مجيبا فشكر الله ابيض صافيا

فخرنا به والفخر حظ ومن ينل
كنوزا عظاما يغتدى متسامحا

جلسنا الى العبسي لكنه اذا
تدفق درسا يستحيل البخاريا

كأن احاديث البخاري جميعها
واتحافنا والمشكلات العواصيا

تسطر في عرض الجدار امامه
متى يردها يرسل الطرف راثيا

الى ان يقول :

اليك قصيدا مستجادا منقحا
بروق ترويق الخبير لياليا

نعم انه قد قالها العبد لحظة
ولكن رأى نقدا مدى الحول قاليا(1)

الشعر صعب طويل سلمه
والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعد : فهذه فصول في النقد والادب ، احتفظت لنا بها مخطوطه (نزهة الالباب)، التي نجهل عنها ـ ويا للاسف ـ كل شيء ، حتى اسم مؤلفها، وقاتل الله الاهمال . فكم من تراث ضاع ، وكم من عالم طواه النسيان .

وأرجو ان اكون لفت الانظار الى شعراء افذاذ ، لم نكن نعرف عنهم اي شيء ، وبالاخص اميرنا الاديب النقادة ابا عبد الله العالم ، الذي نحن في حاجة الى دراسة تحليلية ، لآرائه النقدية ، ومؤهلاته الشخصية والادبية ، فالرجل ـ كم يبدو من خلال هذه الندوات التي تطمح بروح شاعرة ، ونقدها دقيق بناء ، له فكر وقاد ، وروية ممتاز في البغة ، وهو الى ذلك ـ يتمتع بصفاء الذهن ، وحدة البادرة ، وحساسية مرهفة في النقد ، ولعل النكبة السياسية التي اطاحت(1) به ، هي التي غطت على كل محاسنه، وسدلت حجابا كثيفا على ادبه وتراثه الاصيل ، ولنا عودة الى الموضوع في فرصة اخرى بحول الله.

من خلاف ، لشقه عصا الطاعة على والده ـ في 15 صفر سنة 1116هـ ـ 1734م ـ كما يقول صاحب الاستقصا ، وفي النشر انه توفي سنة (1118هـ) ، وربما كان اقرب الى الصواب ، لوجود رسائل قريبة من هذا التاريخ نسبت الى ابيه .

---

(1) نعم اضحى الشعراء يخشون نقده ، ويحسبون الف حساب للوقوف امامه ، فالكلمة الشاعرة لها جرسها وموقعها ، وليس النظم شعرا ، ولا الرغام تبرا ، فينبغي ان تبقى للكلمة حرمتها ، وللشعر هيبته :

اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه — زلت به الى الحضيض قدمه
يريد ان يعربه فيعجمه

وانما سمي الشاعر شاعرا ، لانه يشعر بما لا يشعر به غيره ، ولكل ميدان اهله .

وانظر عمدة ابن رشيق 116/1

(1) كانت وفاته بمكناس ـ بعد ان قطعت يده ورجله

وكانت وفاة ابي عبدالله العالم فتنة كبرى بالمغرب، كما يذكر اكنسوس ـ كادت تطيح بكثير من الرؤوس ، لما كان يربطها به من قربى رحم الاذب ولما كانت تكنه له من عطف وتقدير ـ ولكن الله سلم !

انظر الاستقصا 91/7 ـ 92 .

تحريف التاريخ
أهم مظاهره وأساليبه

للدكتور ابراهيم مرحبا

اذا تم تحريف التاريخ قصدا او عفويا فان ظروف الزمان والمكان تكون أيسر وسيلة لذلك . فالحدث الذى يرويه شخص واحد ، والحركة التى يحكى تفاصيلها الطرف المنتصر ، وقيام نظام حكم بالقوة مكان آخر ، وانفصال مجموعة من الناس عن اطار اجتماعى او مذهبى ، وعدم توفر وسائل التحقيق او الاثبات او النفى ، ما عدا الا بعض النماذج من المنزلقات التى تخلقها الظروف وتعين على تشويه الحقيقة . نعم ، ان العقل الانسانى بصورة عامة ، يتميز بأنه .

1 ـ يفكر حتى يصل الى الحقيقة .

2 ـ يتصور الحقيقة عقليا اذا لم يصل اليها .

3 ـ يتخيل بعض الصور والظواهر ويسجلها كحقيقة .

4 ـ يخلق من نسج خياله عن قصد ، احداثا يقدمها كحقيقة او يخلط الواقع بما أنشأه من مرويات لا اصل لها .

ويتميز العالم بأنه فضلا عن كونه يفكر ، فهو يلاحظ ويستخدم كل وسائل النفى او الاثبات التى يمكن أن تصل اليها يده . وهذا تماما وضع المؤرخ أى الذى يدون الاحداث ويبحث ظواهرها وبواطنها ثم يخرج منها بصورة عامة ودقيقة ، فاذا كان الوصول الى الحقيقة التاريخية يتطلب من المؤرخ كل هذا الجهد ، فهو أبعد ما يكون عن الخيال والتصورات السهلة .

وحيث انه لا يوجد فصل نهائى بين العلوم والمعارف ولن يكون كذلك ابدا ، فان الحدث التاريخى صحيحا او ظنيا قد يعثر عليه فى غير مظان التاريخ، اى فى كتاب أدب أو اجتماع او اقتصاد أو غير ذلك من المصادر ، كما أن العكس صحيح بالنسبة للعلوم والفنون الاخرى . ولما كان الذين يحرفون التاريخ هم كالذين يحققونه من حيث انهم يبحثون جميعا عن الوسائل الممكنة للوصول الى الهدف المنشود ، فان الفئة الاولى هى التى تهمنا قبل أن نتعرف على ما يمكن أن تتخذه الفئة الثانية من طرق لعمل تزييفى هادف .

ويعمد أصحاب الفئة الاولى الى التحريف ، أو يساعدون عليه بوسائل مختلفة هذا ايضاح أهمها :

1 ـ الغموض :

1 ـ فى تاريخ الدول والاحداث والانظمة أكثر من مثال للغموض ، فبوادر الانبعاث الاوربى فى العصر الوسيط أصبح تحديد ظروفها الزمانية موضع جدل، فبعد ان كان من المقبول ارجاعها الى القرن الحادى عشر الميلادى ، اى ما يوافق القرن السادس الهجرى وهى الفترة التى بدأت المعارف الاسلامية فيه تأخذ طريقها الى العالم الغربى ، نشأت نظريات حديثة

متضاربة بعضها يرجع بهذا الانبعاث الى القرن العاشر م. وبعضها الى القرن التاسع م.

وبديهي أننا في كل هذه الاحوال بعيدون عن عصر النهضة العلمية الشاملة التي نشأت مباشرة اثر سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين في القرن 15 م وانتقال عدد كبير من مثقفيها الى ايطاليا حيث ساهموا هناك بوفير حظ في هذه النهضة .

ان تقدم مجتمع ما مرهون في كل حين بتطوره في ميادين العلم والتقنية والاقتصاد واثبات الشخصية السياسية ، أي في كل هذه الميادين مجتمعة . وبالقياس الى العرب خلال القرون الوسطى ، والى البيزنطيين في أوج حضارتهم وعزهم لم يحقق الغرب تقدما يذكر فيما بين قيام الاسلام ونهاية القرن الخامس عشر أي لمدة تناهز تسعة قرون . ولكن اذا راعينا بعض الجوانب الحضارية وبعض المجتمعات الغربية فيما قدمته من عطاء جزئي ، فنحن في هذه الحال لا نتحدث عن الغرب ككل ، ولا عن الحضارة كعطاء شامل . وهكذا فقد اظهر النرمنديون مثلا منذ القرن التاسع م. براعة كبيرة في النشاط العسكري البحري ولكنهم متأخرون في ميادين حضارية اخرى . وبرهن سكان انكلترا وحكامها عن تعشقهم المبكر للحكم الديموقراطي ، ولكن التنمية الاجتماعية والاقتصادية ظلت جامدة او بعيدة عن التطور لقرون عديدة قبل القرن الخامس عشر ، حتى ان سكان البلاد كانوا من القلة بحيث لا يمكنهم ضمان حمايتها ولا استغلال ثرواتها بكفاية .

واذا كان القصد من ابعاد الغرب تاريخيا عن المؤثرات الخارجية التي ساعدته على أن يخطو الى الامام سياسيا وحضاريا هو بالذات التنكر لهذه المؤثرات ، فان هذا لا يمكن اعتباره خطأ فحسب، بل هو اسهام في تحريف التاريخ لا يعذر اصحابه بحسن نيتهم. وبالمقابل ، لا يمكن لليابان مثلا ان تتنكر للغرب بجحدها لفضل الحضارة الغربية عليها، ولايمكن للعرب ولا الافارقة أن يتناسوا فضل التقنية الغربية الحديثة في تطور مجتمعاتهم والسير بها نحو غد افضل ، بقطع النظر عن الظلمها السياسية وتخلفها بالقياس الى الغرب .

ليس تقويض يكتنف بدرجة أولى تاريخ الهنود الحمر الذين لهم دور في ماضي القارة الامريكية ولهم معالم من حضارتهم الاصيلة ما تزال قائمة ؟ هل سيعترف لهم في يوم ما بحقهم في أن يشغلوا مكانا عادلا من الدراسات العلمية الهادفة المتجردة ، وأن يتصدر ماضيهم كل عمل تاريخي يدرس المجتمعات الاصيلة في هذه القارة ؟

ولقد كان من عجائب التاريخ العربي ما نسب الى عبد الملك بن مروان وهو المعروف بمبادراته الكبرى في ميدان التعريب وغيره ، من انه عندما انحاز اهل الشام الى عبد الله بن الزبير ، منع عبد الملك الحج الى الكعبة ، وبنى المسجد الاقصى وقبة الصخرة ببيت المقدس ، وانتدب الناس الى الطواف حول الصخرة ونحر اضاحيهم هناك يوم العيد ، وتولى اخوه عبد العزيز الوقوف بعرفة (؟) حيث يقول ابن تغري بردي في الجزء الاول من النجوم الزاهرة (ص 188) بهذا الشأن ما نصه: «.. وصار اخوه عبدالعزيز ابن مروان صاحب مصر يعرف الناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة». فمثل هذا الحدث الخطير من شخصية عظمى كعبد العزيز بن مروان بحاجة الى تحقيق . وراويه ابن تغري وهو عالم تركي قديم لم نذكر مصدره . وقد اثبت في صفحة سابقة (186) أن عبد العزيز بن مروان أقام عرفة بمصر ، وهو اول من فعل ذلك بها . واذا تأكدنا من تصرفات الحجاج بن يوسف حين قذف الكعبة بالمنجنيق من غير ان يحاكمه عبد الملك بن مروان على عمله هذا ، ترجح لنا مدى الغضب الذي كان يثير نفس عبد الملك على المعارضين لحكم الاموي من أهل مكة والحجاز ، وبالتالي وجدنا أن سياق الاحداث لا يسير لصالح عبد الملك ، وبذلك تقوى الحقيقة فيما رواه ابن تغري ، ولكنها لا تثبت بصورة نهائية الا اذا استندنا الى مزيد من الشهادات وحاولنا ان نعود بمختلف الروايات الى اصلها الحقيقي ثم نتعرف على مدى نزاهة المصدر الاصلي ، وليس القصد أن نبرأ عبد الملك ولكن أن يثبت ما له وما عليه . وهذه الدراسة تقف عند هذه الاشارة حتى لا تتحول بدورها الى بحث في حادث تاريخي .

2 ـ الايهام بقدرية الاحداث

اذا كان المؤمنون يتفقون في عامتهم على ان تصريف الاحداث في هذه الدنيا موكول الى القدرة الالهية فان تجريد الانسان من حرية الاختيار والارادة التي خصته بها القدرة الالهية نفسها امر يقع على تلك الطائفة

من المتدينين الذين اختاروا ان يتملصوا من مسؤولياتهم ويدعوا غيرهم من المومنين الى الانسياق معهم في اختيارهم ، ومن عجب ان نظرية قدرية الاحداث التاريخية انما جاءت بها المسيحية فكست هذه الاحداث ثوبا من القصور الانساني كان يحق بادقى بكثير مما حلى به الله بني الانسان من قوة التفكير والاستعداد التلقائي لمواجهة الاخطار ، ومن ثم اتيح للهيمنة البابوية أن تلعب دورا كبيرا في مصائر الشعوب قبل ان تنفصل السلطتان : الزمنية والروحية في العالم المسيحي ، ويقدر ما نبذ التاريخ المسيحي لحقبة متطاولة ، ذلك التفكير الفلسفي الاغريقي الذي يجعل من الانسان أداة كبرى لتحريك الاحداث الانسانية على الرغم من تطفل الآلهة المتعددة على هذا التفكير بقدر ما جردت القوى الانسانية في أعمال مؤرخي الاسلام من ارتباطاتها الوثيقة بالنتائج السلبية للاحداث ، ولكأن الذين سكنوا للمقدور من رجالات التاريخ الاسلامي فيما رووه عن هزيمة العقاب التي دحر فيها الجيش الموحدي بالاندلس ، وعن سقوط صقلية في يد النورمنديين واسترجاع الاسبان للاندلس ، نسوا العديد من ايات القرآن التي تحدد مسؤولية الانسان من حيث هو ، في كل ما يقرره هو نفسه من أعمال : «الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين؟» . «ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها» . «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره» . الى غيرها من الآيات ذات الحكمة العميقة .

وهكذا نرى ان مجرى الاحداث في التاريخ المسيحي اولا ، ثم في التاريخ الاسلامي ثانيا ، فلما يخضع لنقد موضوعي يضع في الاعتبار كل الظروف والملابسات بقدر ما ينظر الى أبعاد الحادث من أعلى ومن أدنى ، أي من حيث الاسباب العميقة والنتائج المرتبطة بالحادث ، فالنظرة الى التاريخ بهذا الاعتبار القدري هي نظرة ازلية لا تعني الفعل الانساني من قريب ولا من بعيد ، وما من شك في أن هناك أشياء كثيرة تسير بعكس الخطة المقررة ، واكثر من دولة اشتراكية أو رأسمالية في العصر الحديث وضعت تخطيطات ثلاثية او خماسية أو غيرها على مدى معين، وجندت لها أكفأ اختصاصيها وخبراتها فطرأت عوائق حالت دون تطبيق التخطيط بالكيفية المرغوبة، والمسلم الذي لا يفهم من الحكمة المتداولة ، الانسان مسير لا مخير ، سوى كون الشخصية الانسانية مفقودة الارادة اما يخطيء فهم هذه الحكمة نفسها من حيث كونها تقتضي أن المرء يسير الى نتائج يجهلها مقدما، بينما حتمية الانسانية موجودة ولكن لا اختيار لصاحبها في مصيرها . ومثلها كمثل من ركب سيارة يقصد أن يصل الى بيته بعد ساعة فاذا الطريق مقفل فلم يصل الا بعد ثلاث ساعات ، ولو كانت حتمية البطء مفهومة من قبل لدى السائق لاتخذ الاحتياط الكافي لحركته وهدفه . ورجل التاريخ لا يمكن بيذا المنطق الموزون أن يغفل عن تشخص الاحداث كما لو عاشها هو فعلا ويحتفظ للفعل الانساني فيها بتلك الطاقة العقلية والارادية التي بها يخطيء الهدف او يصيبه، ما لم تظرأ نتائج لم تكن طاقته الفكرية مع جهدها تتوقعها .

واذا كان المؤرخ يعنى بقيمة الانسان في توجيه الحدث، فهو يعنى من جهة ثانية بنهاية الحدث، ذلك أن لكل حدث نهاية أو هدفا ، والانسان بالطبع هو أداة تحريك الحدث ، بينما بلوغ الهدف كما تعلم ، ليس ضرورة بيد الانسان استمرارا .

فلننظر الى الرسم المبسط التالي :

(السهم هو الانسان في حركته ، والنقطة هي الهدف والنهاية) .

نفس المعنى ، لكن السهم المنحرف هو حركة رجوع لوجوه عراقيل امام الهدف ، وقد رمز الى العراقيل بعلامات اعتراض .

● نفس المعنى السابق لكن السهم هنا يتخطى العراقيل ويصل الى الهدف .

ولكي تجعل موضوع الرسم فهو عبارة عن حركة الحادث الانساني الذي هو تماما مادة المؤرخ ، فهذه الحركة اما أن :

1 ـ تسير نحو هدفها الذي قرره الانسان بفعله الارادي من غير عائق .

2 ـ او تقف حيث تجد عراقيل لم تكن متوقعة أو لم يدخلها التفكير الانساني في حسابه او تجاوزت ارادته .

3 ـ أو تتخطى كل العراقيل حيث وجدت حلولا اضافية او عاجلة لتخطيها وبلوغ المرمى .

فيتبين والحالة هذه ، أن الصنف الثاني تلعب فيه الظروف الفكرية دورا فائقا بالنسبة لوجهة نظر المؤرخ التقليدي الذي يرى حتى في الحالتين الاخريين أن الحادث الانساني قدر له أن يصل الى الهدف . وهذه النظرة الانهزامية الى الاحداث تتعارض بوضوح مع الآية القرآنية الكريمة : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » .

ومهمة المؤرخ في جميع الاحوال ان :

1 ـ يحدد ظروف الحادث التاريخي زمانا ومكانا .
2 ـ يحدد نهاية الحادث بعد أن حدد مقدماته .
3 ـ يمنطق نهاية الحادث وآثاره على أحداث اخرى

وبالطبع ، فان معوقات الوصول الى الهدف ، والتي أشير اليها في الرسم السابق ينبغي ان تكون موضع مناقشة عميقة معززة بالبراهين ، وكل هذا يجمع المؤرخ المتمسك بالدين مع المؤرخ الذي لا يحكم الا العلم والعقل ، حول مائدة واحدة ، بصرف النظر عن تفكير كل منهما داخل هذا الاطار .

3 ـ الكذب والتزوير :

هل من حاجة الى التأكيد أن جزءا كبيرا من مرويات التاريخ ولا سيما ما تقادم عليه العهد او افتقدت الحجج المقنعة لاثباته كحقائق ، انما هو مزيج من الصدق والكذب، ومن الثابت والمزور، اذا لم يكن كذبا فقط، أو زورا فقط ؟ فمن الكذب مثلا، أن نعتبر ديموقراطية الحكم الروماني في أزهى عصوره نموذجا تاريخيا لديموقراطية الشعوب لان الطبقية في هذا الحكم كانت تمنع منها في دول أخرى ، ومن الكذب ايضا ما نسب الى عبد الحميد العثماني من تنازل عن الحقوق الشرعية لسكان فلسطين ، لصالح الآفاقيين من اليهود ، وهذا ما برأته منه شواهد ثابتة، لان الصهيونية كانت تناهض الحكم العثماني الذي لم يكن في الواقع بريئا من المساوىء لا سيما في المشرق الذي خضع لسلطته. ولقد مزجت الدعاية الصهيونية ايضا ، الحقيقة بالبهتان فيما ألصقت به سمعة عبد الحميد هذا من تشويه في سلوكه ، ولم تعمد الدولة التركية الى رد الاعتبار لهذا الرجل الا مؤخرا فكشفت من الحجب عن حقيقته ما كانت الصهيونية بوسائلها الجهنمية تحرص على اخفائه. وانما يهمنا هنا الموقف السياسي في حياة هذا العاهل، أما حياته الداخلية فليست مما يعنينا في حد ذاته .

ومما تفاخر بعض المصادر الغربية ان الفضل يرجع الى الغرب في تحرير الانسان من الرق في العصر الحديث . ولعل هذا صحيح الى حد ما من جهة المبدأ ، أما من حيث الغاية ، فما كان تحرير الزنوج في افريقيا هدفا لذاته ، وانما كان وسيلة لادماجهم في بوتقة المسيحية حتى يكونوا في خدمة الانسان الغربي وأهدافه . وهل من حاجة الى اثبات أن مغامرة ولفنجستون في مجاهل افريقيا انما كانت بالذات لهذه الغاية ؟

وهكذا يتضح أن معظم الايديولوجيات القديمة والحديثة تنطلق ظاهريا من المبادىء النبيلة ، ولكن غاياتها الخفية كثيرا ما تتناقض مع ما ينبثق من مبادىء لانها تؤطر فئات لا تؤمن كلها في صميمها بنفس الافكار ، حتى أن اتباع الايديولوجية أخرى تأطروا فيها من قبل، فتجتمع المتناقضات داخل نفس الجماعة المنطلقة مبدئيا من نفس الاتجاه ، وحينئذ ، فان الديموقراطية الغربية كممارسة لا يمكن قبولها كحقيقة ثابتة تاريخيا الا باعتبارها حالات زمانية ومكانية معينة ، وحتى فقط ، سلوك نسبي راق اذا قيس بأنظمة سياسية في جهات اخرى من العالم، ولكنها بعيدة عن التجرد المطلق الذي تتحلى به الديموقراطية المثالية بل هي تتناقض في مواقفها حسب الظروف ، ولكي يتجنب المؤرخ مزالق التحريف والكذب حتى لا ينساق مع اي فكر لا يحترم الحقيقة ، فليضع أمام عينيه أقرب مثال لتناقض الايديولوجيات فيما بين مبادئها وممارستها . وهذا المثال هو اعتراف أربع دول كبرى بحق اليهود في اقامة دولة وبضمان وجود هذه الدولة بالقوة ، في الوقت الذي قبلت فيه تشريد الشعب الفلسطيني واغتصاب ترابه لصالح مهاجرين من الآفاق، وبديهي أن ممارسة هذه الدول لايديولوجياتها قد اختلفت ولا تزال بحسب الظروف وتبعا لقوة التحدي والضغط الذي يمارسه الطرف الآخر .

ولتزوير النصوص والمعالم والافكار اكثر من شاهد في مدارج التاريخ . فلقد زور أكثر من حديث نبوي، ولنقل هنا «انتحل» أي نسب افتراء الى الرسول عليه السلام ، وكم سمعنا من حديث في فضائل مدن أحدثت بعد اجيال عديدة من وفاة الرسول وفي محاولة التفرقة بين العنصر العربي وغيره ، وفي

الاستهتار بشخصية المرأة وما الى ذلك مما تنقضه الاحاديث الصحيحة فضلا عن آيات القرآن. وحيث ان الاسلام لا ينفصل عن السياسة في شيء وأن الحديث مصدر لتشريعه فقد وجد دعاة التفرقة والعنصرية ضالتهم في نحل الاحاديث التي لا أصل لها ، أو التي لم يقطع بصحتها ، لان الاحاديث النبوية لم تدون في وقتها لاسباب معروفة .

وعمدت دولة الموحدين وهي دولة عظمى في تاريخ البحر المتوسط خلال العصر الوسيط الى طمس معالم الدولة المرابطية في كل من تلمسان ومراكش حتى لا يثبت للمرابطين أثر ولو دنيء يستحق الذكر ، وكانت دعوى التجسيم غطاء لحقيقة تاريخية لا سبيل الى تحريفها ، ذلك ان المرابطين انطلقوا من مذهب ثابت موحد ، مهما كان من عدم تفتحهم على الفكر الفلسفي ولا الفكر الحر. والغريب أن المرابطين وهم أيضا دولة ذات شأن وعطاء سياسي وديني هدموا عشرات المدن والقرى في ثورتهم العارمة على الزناتيين والبرغواطيين فضحوا بالتطور العمراني والاجتماعي في سبيل بناء عقيدة موحدة ، ويجب أن يعترف التاريخ من غير تردد بأن فضل المرابطين على الوحدة المغربية سياسيا وعقائديا لا يزال يؤثر بعمق في اقامة هذه الوحدة على الرغم من وجود افكار حديثة ومذاهب اقتصادية تأخذ بها الاجيال الصاعدة وتختلف غاياتها بناء وهدما ، وهكذا فان الثورة الاصلاحية الموحدية التي بذلت جهدا كبيرا في اقناع الشعب المغربي بجمود الفقهاء الذين استندت اليهم الحركة المرابطية ، وهذا شيء لا سبيل الى انكاره بوجه عام، لا تستطيع أن تقنعنا بكونها حاولت أن تطفو بالشعب المسلم في المغرب الكبير نحو تفتح أكبر ، الا بفضل التنظيم المحكم الذي شمل ميادين عديدة من الاصلاح والذي كان لابن تومرت اكبر نصيب في اقامته، ومن ثم كان الموحدون في غنى عن محاولة اخفاء معالم المرابطين التي كتب لها أن تنكشف تدريجيا خلال القرن الحالي والذي قبله على يد الاثريين .

وبالمقابل ، فنحن نجهل معظم الحقائق عن البرغواطيين وخوارج المغرب ، وليس بين يدينا في جل الحالات الا ما يدين الاولين وما لا يغني شيئا عن الاخيرين ، ولا سبيل الى اعتبار مصادر الادانة في اية حالة كأحكام نهائية ، والانحراف العقائدي الذي اشتهر عن البرغواطيين لا يمنع من كونهم اسهموا في حركة التعمير والنشاط الفكري والاقتصادي .

وكنموذج للتعقل والنزاهة في الحكم التاريخي، وبالتالي في التزام الصدق وتجنب البهتان والافتراء، لا بأس من ايراد المثال التالي لمؤرخ حديث هو الان دولان مؤلف كتاب «التاريخ العالمي» حيث يتحدث عن فيليب الثاني ملك اسبانيا الذي تولى تنصير بقايا الموريسكوس في اسبانيا :

قال دولان : لقد إشتغل (فيليب الثاني) باعمال الدولة باستمرار ، يساعده عدد من الشخصيات التي كانت ثقته فيها محدودة ، وعدة مجالس ، كمجلس قشتالة ، ومجلس أراغون، ومجلس الهند ، ومجلس البلاد الواطئة (هولندا) ، والمجلس الحربي ، الخ.. وكان حذرا عبوسا متعصبا ، حكم كملك مطلق ، وعمل على اقرار وتمتين الوفاق الاسباني وكسر شوكة الزنادقة ونصب نفسه بطلا للكاثوليكية » .

ففي هذا الوصف التاريخي الموجز والمركز تجتمع جملة من الحقائق التي يمثل بعضها ما هو لصالح الموصوف وبعضها الآخر ما ليس كذلك. وهذا هو ما يتعين أن نطبق عليه بموضوعية، الحقيقة التاريخية ، اي الصدق في الاخبار بالمعرفة التاريخية سلبا وايجابا .

4 ـ أسطورية الاحداث :

ربما كان قليل من الناس يعلمون ان أصل العلوم الانسانية كان منطلقه من الاساطير والسحر ، بما في ذلك الطب والفلك والهيئة . وهكذا كان الفلك عند البابليين والعبرانيين ، والطب في مراحله الاولى عند الفراعنة ، فليس غريبا اذا ، أن يكون للادب حظ عظيم من الاساطير والخرافات التي أغنته لغة وخيالا ، كما ان أصل التاريخ أخبار تروى وقصص تحكي وتمتزج بالاوهام والمبالغات ، وقد تتحول اساطير تحتفظ اختلاقا اما بعضا أو كلا ، حتى ان تاريخ الاغريق وعرب الجاهلية وشعوب اخرى اذا جرد من الاساطير لا يبقى الا قليل منه مسايرا للمعلومات الثابتة التي تأكدت بطرق مختلفة : آثار فنية وعمرانية ، نقوش ، معلومات أوردها مفكرون بارزون ، الكتب المقدسة ، لا سيما القرآن .

والشعوب التي تناقلت معارفها بالطرق الشفوية هي شعوب ينقصها الوعي حتى ولو سبقت لها آثار مكتوبة طاعنة . وحضارة متقدمة انهارت . والشعب الواعي هو الذي يبدون معارفه ونشاطه بأثبت الطرق الممكنة ، ولا ريب أن الكتابة أرقى الوسائل للتعبير وتدوين الفكر بالنظر لاستيعاب المعرفة المكتوبة وشموليتها ، غير أن عمليه تدوين الإساطير في بدايتها ما هي الا مرحلة انتقالية نحو النقد واعادة بناء المعرفة من أوثق الطرق، وانما يحتفظ الادب المكتوب وحده باحتضان الاساطير والخرافات كجزء لا يتجزأ من تفكير الشعب وتعبيره في زمن ومكان معين ، بينما يظل التاريخ في مرحلة بدائية طالما جعل من الاساطير مستنده ووثيقته .

على أن الشعوب ذات الخيال الخصب تتميز أكثر من غيرها بتداول الخرافات والاساطير وتظل مأثرة بها بشكل أو بآخر ، ولا تتحول نحو الفكر والعمل العقلي الا ببطء وتحت ضغط الظروف ، ومهما يكن من أمر ، فان التشبث بالخرافات والاساطير حيث يتعين النقد والتمحيص واستخدام العقل والاستقراء انما هو ضرب من التخلف الفكري وانعدام الوعي العلمي .

ولقد استند التاريخ العربي في مرحلة غير قصيرة من الزمن ، الى أساطير الجن والشياطين، ولا سيما ما يتعلق بالعصر الجاهلي ، حتى ان الازرقي في «أخبار مكة» روى اشياء غريبة عن بعض الحيوانات التي تطوف بالكعبة (ج 2، ص 15) وأمثال ذلك مما لا يفيد في شيء قدسية المكان . وحقا لقد تحدثت الكتب السماوية عن قصص الجن وأعمال الشياطين، وبالتالي عن كائنات غير انسانية ، لكن الصورة التي قدمت بها هذه القصص تختلف في مضمونها عن الاساطير الشعبية الطافحة بالاهوال . والقصص السماوية يدخل بحث موضوعها الآن في جملة من العلوم الموازية لعلم النفس وهي علوم تتناول الروحانيات وليس هذا مجال مناقشتها .

وفتح المجال التعبدي للديانات بابا واسعا للاساطير والكرامات المتناهية في الغرابة لدى طبقات من الرعبان والاحبار والفقراء من كل نحلة ودين ، حتى لقد أعطيت لكثير من الأحداث السياسية والطبيعية تفسيرات ذات صلة بهذه الكرامات والخوارق ، واذا كان ثمة ظواهر غير عادية في حياة عدد من الاتقياء والمتدينين فان غياب الوعي لدى الطبقات الشعبية يجعلها تؤمن بكل ما يروى وتقبله حقائق مسلمة ، ولحسن الحظ ، فان الاحداث البارزة في التاريخ قلما تؤثر فيها الاساطير بنفس العمق الذي تؤثر به في الاحداث العادية .

وعلى الرغم من أن أي دين سماوي لا بد فيه من درجة من الايمان الغيبي بجملة من شعائره وشرائعه فان هذا لا يسمح بحشوه بالاساطير والتأويلات الخرافية . فهل ثبت تاريخيا مثلا ، أن آدم عليه السلام مر بقبة الصخرة فوطئت قدمه المكان فاذا أثر هذه القدم الى اليوم ؟ وقيل ان اثر القدم لابراهيم الخليل ، كما قيل غير ذلك، وهل البزائم العسكرية والفتوحات الحربية تتم ارضاء لرغبة ولي أو راهب وما اكثر الكرامات التي تروى في هذا الباب ؟ وهل مفاجأة جان دارك للملائكة في ثورتها ضد البريطانيين مما يدخل بحق في نطاق الاحداث التاريخية ؟

ان استسلام المؤرخ للاساطير مهما كان من درجة ايمانه الديني لا يساعد في الواقع الا على تحريف الحقائق وتغطيتها أحيانا بالزيف من حيث لا يشعر ، وهو على اي حال مطالب بالتحري والمأتي في استقرائه واستنتاجه . وبالمقابل ، وكما سبقت الاشارة الى ذلك ، فان للعديد من الاساطير اصلا من الحقيقة . ومهمة المؤرخ أن يتولى تمييز الحقيقة من غيرها ، وهذا ليس بالهين اذا انعدمت مقاييس التحقيق ولم تتوفر الشواهد ، ولذلك لا يسع المؤرخ في كثير من الاحيان الا ان يفترض ويقدر الاحتمالات ، ولكن هذا باب لا يولج الا عند العجز واليأس ، وللظواهر غير العادية تظاهر في العصر الحديث عالجها العلم أو وقف بدوره عاجزا عن تفسيرها ، فما كان من الظواهر مشابها لمثيله في الماضي ، فالاشكال يرتفع بالقياس ، وما لم يوجد له نظير الآن ، فان على المؤرخ أن يتحرى الحقيقة قبل أن يسقط في الخرافات .

5 ـ عدم الموازنة بين دور الأفراد ودور الجماعات

هل للفرد دور ما في صنع التاريخ ؟ ان الجواب بالايجاب ترفضه النظرية المادية للتاريخ بصفة عامة، لان الجماعة هي التي تحرك الاحداث المرتبطة بالجماعة نفسها في مفهوم هذه النظرية ، غير انه لا يمكن انكار الدور الكبير الذي يقوم به أفراد هم عادة أقلية متناهية في المجتمع في توجيه الاحداث

الجماعية . واذا جرد الافراد من هذا الصنف من قيمهم الممتازة في التفكير والتدبير والخلق والابداع وبالتالي من التأثير على الجماعة ، فلا بد والحالة هذه ، أن نحذف من التاريخ أسماء وأعمال أمثال قادة معروفين كحانيبعل وخالد بن الوليد وماو تسي تونغ ، وعباقرة الفكر البارزين كأرسطو والفارابي ومونتيسكو. وبنفس الطريقة يجب أن نحذف من لائحة العظماء بهم كلا من ماركس ولينين وصن يات صن. كذلك فسيكون من التناقض ان لا تكون مسؤولية عدد من الافراد محددة في غير الجرائم والاخطاء كما هو الشأن في نيرون وهتلر والحجاج ابن يوسف ، وأن لا يكون الافراد المتفوقين تفكيرا وشخصية فضل ما في تقدم المجتمعات وتطويرها.

من يدفع الفرد الذكي الى الخلق والابداع، والعمل لصالح الجماعة ؟ هو من جهة ، ذكاؤه وخبراته الخاصة ، ومن جهة ثانية ، ظروف الجماعة التي يتعامل معها ويعمل من أجلها. فالجماعة دافع لا ريب فيه، وهي دافع سلبي وايجابي ، بمعنى أن ظروفها السيئة تحمل قلة ما من أفرادها على العمل لانقاذها او تطويرها نحو مركز أفضل ، ويتميز من بين الافراد في النهاية واحد بنبوغ يفوق نبوغ زملائه او تساعده الظروف على السيطرة والامساك بزمام القيادة .

وكذلك تعمل الجماعة التي بلغت درجة كبيرة من الوعي على أن تخلق الظروف الملائمة لرعاية العبقريات والذكاءات الفردية التي لن تلبث أن تقوم في النهاية باعمال جلى لصالح الجماعة ، وقد تكتفي الجماعة بان تعطي قلتها لافراد معينين، من نبلاء نفسها فيبرهن هؤلاء الافراد عن حنكة قد تبلغ حدا كبيرا من الايجابية .

ومن الواضح أن الفرد يحتاج الى الجماعة بالدرجة الاولى ، لكن الجماعة لا يمكن أن تسير بغير قادة ولو جماعية يكون لافراد معينين فيها دور خاص يفوق دور الاخرين . وهكذا فالتفاعل بين الفرد والجماعة عملية لا بد منها لخلق مجتمع متماسك، والا انعزل كل منهما عن الآخر فتفقد الجماعة كفاءة الفرد ويفقد هذا سند الجماعة .

لكن مؤرخي العصور الماضية قلما احسنوا التمييز بين طموح الافراد وطموح الجماعات ولا بين مردود هؤلاء ومردود اولئك ، وانساق مؤرخو الغرب على سبيل المثال في أخبار تافهة أو ثانوية عن القادة : أشياء ترتبط بسلوكهم الشخصي وحياتهم الداخلية ومظاهر من الحياة العامة تعني قلة ولا تعني الغلبية الجماهير ، وغذى الادب أعمال هؤلاء المؤرخين بكل شاذة وفاذة عن الجوانب الخاصة من حياة هؤلاء القادة . وبينهم من قاموا بعمل كبير في نشر المعرفة وتنشيط الحركة الاقتصادية وخدمة الحضارة، ولكن المجتمع العربي الاسلامي وتطلعاته ومدى استجابته واستفادته من التدابير التي تتخذ على الصعيد العام لم ينل عناية تذكر من أعمال المؤرخين، وحتى أعمال القادة المصلحين في هذا المجال وهم قلة ، لا تنال من الاهتمام الا كلمات او جملا تضيع في ثنايا الاحداث السياسية والحروب والمواجهات، ومن أجل ذلك نتطلع الى معرفة ما كان يجري ولو ببعض التفصيل في الاسواق العربية من نشاط وما يتخذ من تدابير تنظيمية في البوادي والمدن، وكيف كانت تحل مشكلات السكنى في المراكز الحضرية وحتى أنواع المساكن الشعبية ، الى غير ذلك مما نعرف عنه اكثر بكثير في نطاق الحضارة المصرية وحتى عند الرومان وأمم أخرى ، فننتهي الى فراغ مخيف في كل هذه المجالات التي تجاوزت قطاق الحروب والفتوحات والانتصارات والهزائم . فالتاريخ العربي والحالة هذه ، متخلف الى حد يدعو الى الاستغراب ، بالقياس الى التقدم العربي في الفلسفة وفي تدوين اللغة والطب ومعارف أخرى ، ويجب أن نستثني مقدمة ابن خلدون من الحساب ، فهي العمل العربي الوحيد الذي تمكن حتى فترة التاريخ المعاصر من دراسة النفسية العربية في اطارها الاجتماعي على الرغم من أن القسم الاكبر من المحيط العربي الذي تناولته المقدمة ينحصر في اطار المغرب الكبير والقبائل الهلالية التي هاجرت اليه .

نعم، ان التاريخ الاسلامي وليس فحسب، التاريخ العربي، ظل أمد اطويلا تطبعه الروح الاوليغارشية التي انبثقت في هذا المجتمع الكبير من الروح القبلية اصلا ، فقبل آلاف من السنين كان العرب قبائل وأسرا ، ولبثوا مجتمعا متماسكا بالمعنى السليم . وجاء الاسلام فلم تمح به الروح القبلية، ولم يختف عداء الاسر البورجوازية فيما بينها، ولا محل هنا لاعادة ما حدث من نزاع قتال بين القيسية واليمنية في كل من الشام والاندلس ، ولا بين أسرة عبد الله بن الزبير وأسرة بني أمية ، ولا بين

هذه وبين العلويين ، ولا بين هؤلاء وبين العباسيين، وكذلك نجد الاسر تلعب دورها داخل المدن وفي البوادي ، تتصارع على السلطة وينتصر كل منها لمذهب يحتمي به ويذود عنه . وهكذا فان فسيفساء المذاهب التي عرفتها الجماهير الاسلامية تعكس في عامتها والى حد كبير التمزق القبلي والانقسام الاجتماعي في صفوفها . فخوارج المغرب الكبير هم في أغلبيتهم الساحقة من زناتة، ومعظم خوارج جزيرة العرب من شرقيها حيث حرم السكان من امتيازات القبائل الاخرى ولا سيما قريش التي تنعم بالحظوة المادية والمعنوية ، والفرس يدخلون الى السلطة من بابها الواسع في العصر العباسي فتدخل معهم مذاهب تساير تحررهم أو ميولهم الكسروية كالاعتزال والتشيع في صوره المتطرفة فضلا عن أشكاله المعتدلة . والامثلة أكثر من أن تحصر.

ولما ألفت كتب التاريخ الاولى كانت أخبار قبائل، أخبار باعلة، مثالب باعلة، اخبار قريش، أخبار بني كلاب الخ..

ولا يزال للتفكير القبلي والتأثير الاسروي دور ملحوظ حتى الآن فيما يصدر من بعض كتب التاريخ في البلاد العربية ، فهناك العديد من تواريخ المدن وتواريخ عدد من القبائل كتبت في جملتها بطريقة الجمع والتدوين والاخبار ، وقليل منها يأتي بدراسة مصممة ومفصلة للجوانب الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وقد يكتب بعضها بدافع العطف وتوفر الوثائق وليس بدافع الكراهية للمجتمع أو الاطار الجغرافي الذي ينتمي اليه هذا الصنف من المؤرخين .

وعندما كتب ابن خلدون كتابه في التاريخ عالج العرب والبربر قبائل لانه لم يكن يسعه ان يتملص من حقيقة وتجربة مشهودة . لقد كانت بيعات هؤلاء وأولئك الى الملوك توجه باسم القبائل ، أي ان لكل قبيلة شخصيتها الاجتماعية والسياسية والجغرافية ولذلك لن نندهش اذا علمنا أن حكم المرابطين مثلا انتهى الى الجزائر العاصمة شرقا بينما هناك منطقة توكورت البعيدة جدا في شرقي الجزائر تبعث ببيعتها اليهم ، وكذلك عندما يحكم الحفصيون منطقة ليبيا فهناك مراكز كثيرة بها لا تعترف بحكمهم وتشيث باستقلالها . وفي كل المثالين يتعلق الامر بقبائل عربية وبربرية .

فالتاريخ العربي قد اهتم ببعض المجتمعات الصغرى التي ليس لها شخصية متميزة عن باقي المجتمع أي دور خاص في المجالات القومية الاسلامية ، ومع ذلك، فهذا الاهتمام محدود الجوانب: ان الصراعات التي لا تنتهي هي طابعه الاساسي، ثم تفتقد بعد ذلك معظم أسس التاريخ الخاصة بهذه المجتمعات الصغرى .

وبالمقابل ، هناك حركات ذات أهمية لم يلتفت اليها التاريخ على العموم الا من حيث كونها حركات دموية من غير أن يعالج ظروف ثورتها ولا ان ينظر في أخطاء الذين أدوا الى نشوبها ، أي بالاضافة الى وجود عداوة طرفين ، حاكم ومحكوم ، هناك عداء يناصبه مؤرخون ، الحدث التاريخي نفسه . وكل حركة نضت عن مبدأ أو لغير مبدأ ، فهي تمثل شكلا من أشكال الصراع الطبقي الذي هو حتمي في التاريخ ولن يتوقف قط . وفي الواقع لا يكون الصراع بناء الا اذا انطلق من مبدأين متعارضين أحدهما أصلح من الآخر باعتبار ظروف الزمان والمكان ، أو أحدهما يصبح بكيفية جذرية أخطاء الآخر . أما اذا انتصرت الفوضوية أو الفاشية أو الافكار المتزمتة فان الصراع لا يكون بناء بانتصار الفريق المسيطر من هذا الصنف

وانما يهمنا هنا أن نلاحظ أن المؤرخ الحديث ينبغي أن يحتاط في الحكم على الصراعات الطبقية من كل صنف ، فاذا كان لحركة الزنج مثلا من أبعاد جماهيرية ايجابية ، يحكم أن المؤرخين اتفقوا على أهم الاسباب التي أدت اليها وأنها كانت تهدف الى تحقيق عدالة اجتماعية لصالح هذه الفئة ضمن الجماهير، فان الفاشية التي سيطرت بالقوة على الحكم في ايطاليا واصبح زعيمها وحده بسرعة مصدر السلطان كلها لا يمكن اعتبارها حركة بناءة ، وقد كانت تعد الاطفال الصغار ليكونوا أعداء لمن لا يؤمنون بالفاشية وفتكت بعشرات الزعماء والمناضلين المناهضين .

وكذلك فان ثورة بوحمارة بالمغرب في أوائل القرن العشرين لا يمكن اعتبارها ثورة اصلاح لسبب بسيط ، هو ان قائدها تنازل عن معادن الحديد بالشمال لاسبانيا مقابل أن تمده بالسلاح ، ولذلك واجه المعارضة ثم المقاومة من طرف سكان المنطقة نفسها ، وبمعنى آخر ، فان هذا الصراع الطبقي حتى مع نشأته في ظروف سيئة بالمغرب افتقر الى المبدأ الوطني اللازم لاقناع السكان بشرعيته وقيمته.

وكذلك يختلف الامر كليا بالنسبة لحركة عبد الكريم الريفي التي قامت ضد السيطرة الاستعمارية .حقا ان حركة بوحمارة لم تنجح ، وكذلك حركة عبد الكريم. ولكن هذه أثرت بقوة على مستقبل حركة المقاومة ليس فقط داخل المغرب، بل وخارجه أيضا. وكذلك نرى مرة أخرى أنه لا يمكن الاستهانة بما لعدد من الافراد من مسؤولية وتاثير قوى في سير أحداث التاريخ سلبا وايجابا حينما يصلون الى مستوى القيادة .

ومن أجل ذلك يتعين على المؤرخ أن يوازن بين دور الجماعة ودور الافراد الذين يتولون قيادتها بأية صفة فيعطي لكل ذي حق حقه، اى يحدد مسؤولياته ومظاهر نشاطه وابداعه او تهاونه وعجزه .

والآن وقد حددنا جملة من مظاهر واساليب تحريف التاريخ وهي كثيرة ، يحسن الانتقال في الدراسة الآتية الى منهجية التاريخ كمساهمة في علاج البحث التاريخي لا من الوجهة الشكلية ولكن من الوجهة الموضوعية .

ابراهيم حركات

التربية الثانية

الاسلام والنصر

اللواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

سألني صحفي قبل ايام : «هل تعاني مشاكل من تصرفات اولادك ؟ فاجبته : « مشاكل ! ولماذا اعاني المشاكل منهم ؟

واستغرب الصحفي من جوابي ، وسرد علي ما يعانيه الابوان من تصرفات اولادهم ، وقص علي امثلة من تمرد النشء الجديد على ابويهم ، ثم ذكر ان السيطرة على المراهقين والمراهقات بخاصة والشباب والشابات بعامة صعبة جدا ، وان الوالدين فقدا السيطرة على ذريتهما من الجيل الجديد !

ولم اكن بحاجة الى سرد تلك الامثلة وسماع تلك القصص وضرب تلك الامثال ، لانني اعرف ما يعرف واسمع ما يسمع وادى ما يرى . ولكني اختلفت معه في شيء واحد ، فقد صب اللوم كله على الاولاد ، وزعم ان الابوين لا يستطيعان ان يفعلا شيئا لاستعادة سيطرتهما على اولادهما. اما انا فصببت اللوم كله على الابوين، وذكرت له كيف يستطيع الابوان فرض سيطرتهما على اولادهما بسهولة ويسر ولمصلحة الاولاد بالدرجة الاولى ومصلحة الاسرة بالدرجة الثانية

لم اصب اللوم كله على الابوين عبثا ، فقد درست حالات كثيرة عن علاقة الاولاد بالابوين ، فوجدت ان الوالدين يجنيان غرس ايديهما ، فلو احسنا لاحسنا اولادهما ، ولكنهما اساءا التربية او قصرا فيها او اهملاها اعتمادا على غيرهما من الناس او المدارس، فكانت النتيجة وبالا عليهما وعلى اولادهما على حد سواء .

وساتحدث هنا عن تجاربي العملية في تربية الاطفال وتوجيه الشباب ، مستمدا هذه التجارب من تربيتي الاولى حين كنت طفلا ثم ترعرعت فاصبحت شابا ، ومن اسلوب تربية اولادي ضمن نطاق اسرتي ، ومن توجيه الشباب في الجيش حين كنت اعمل فيه .

تلك ثلاثة مصادر لتجاربي العملية في التربية : الاولى متعلما من الذين سهروا الليالي الطوال على تربيتي في البيت والمدرسة والكلية ، والتي كان من ثمراتها ان اصبح كما يعرف الناس متمسكا بديني ، مدافعا عن عقيدتي ، محبا للعلم ، مقدرا للعلماء ، مطيعا لوالدي الى ابعد الحدود .

والثانية معلما في مجالين : مجال عائلتي الصغيرة التي هي اسرتي ، ومجال عائلتي الكبيرة ، التي هي الجيش ، وكان من ثمراتها تربية اطفالي ليطيعوا نتيجة للاقتناع لا للقسر وللثقة لا للخوف .

والثالثة معلما ايضا في الجيش ، لان من جملة واجبات الضباط القاء المحاضرات الثقافية والتهذيبية والعسكرية ، وتربية الجنود وضباط الصف تربية سليمة ليكونوا عناصر مفيدة في الجيش وفي الحياة المدنية على حد سواء .

وكم اتمنى ان يقرا هذا المقال كل عربي من المحيط الى الخليج، وكل مسلم من المحيط الى المحيط،ويتدبر معانيه،ليعمل به مستفيدا من تجاربي العملية وخبرتي الطويلة اذا اقتنع بها اقتناعا كاملا ، فاذا لم يقتنع فيسرني ان يبدي رايه لاستفيد ويستفيد غيري من تجاربه . المهم ان نجد الطريق السوي فنسلكه جميعا لننقذ اطفالنا وشبابنا من الضياع ، اذ لست متفائلا ولا اظن غيري من الذين يحرصون على حاضر الشعب العربي والامة الاسلامية ومستقبلها متفائلا، وهو يرى ابناءنا وبناتنا يبتعدون بسرعة مذهلة عن تعاليم الدين الحنيف والمثل العليا ، وينحدرون بسرعة خاطفة الى مهاوي الانحلال والتفسخ ، حتى اصبح التماسك العائلي مهددا بالزوال ، واصبح الرباط

بين افراد العائلة رباطا مصلحيا والمفروض ان يكون رباط مودة ورحمة ورحم .

ومن الصدف ان أشاهد ندوة في الاذاعة المرئية طالب فيها قسم من النساء بحقوقهن ، وزعمن انهن مظلومات بالنسبة للرجال ، وانهن يردن المساواة الكاملة بالرجل . وكنت قبل ان اشاهد هذه الندوة اعتقد ان المساواة التي تطالب بها النساء تقتصر على حقوق التعلم وتسنم المناصب الحكومية وممارسة الاعمال الحرة والمهن التي يمارسها الرجال ، ولكنني بعد مشاهدة هذه الندوة فهمت معنى المساواة، فقد قالت احدى المشاركات في الندوة : «لماذا يسمح لاخي بالخروج من الدار في وقت ولاية جهة دون رقيب او حساب ولا يسمح لي ؟ ثم قالت : « لماذا لايحاسب اخي حين يمكث حتى الفزسع الاخير من الليل خارج الدار واحاسب انا ؟ ما هو الفرق بيني وبين اخي حتى احاسب ولا يحاسب » ؟ !

حينذاك فقط فهمت معنى المساواة على حقيقتها ، وفهمت معنى شعار : حرية المرأة ، التي دابن وداب قسم من اشباه الرجال على ترديده بمناسبة وبدون مناسبة .

وهكذا تكون المساواة، وهكذا تكون الحرية،والا فلا!

ان محاسبة الابوين للاولاد على تصرفاتهم الخاطئة ضروري للغاية ، والابوان اللذان لا يحاسبان الذكور على تصرفاتهم الشاذة يفسحان المجال للاناث بالمطالبة بمثل هذه المساواة وهذه الحرية .

وليس من مصلحة الذكور والاناث السهر خارج الدار الى وقت متأخر من الليل في اماكن مشبوهة او مع رفاق السوء ، فلا بد من وضع الامور في نصابها، والافالابوان مقصران في صميم واجباتهما الابوية .

— 2 —

واذا كانت التربية السليمة التي تؤدي الى « بناء الرجال والنساء ، ضرورية لكي مجتمع في كل زمان ومكان فان هذه التربية السليمة اصبحت قضية حياة او موت بالنسبة للعرب والمسلمين في هذا الوقت بالذات، لان اشاعة التحلل الخلقي والفساد والترف والابتعاد عن تعاليم الدين الحنيف لايخدم احدا كما يخدم اسرائيل واعداء العرب والمسلمين ، اذ ان الموت جنسيا او الموت جيبيا لا يمكن ان يقاتل كما يقاتل الرجال .

فكيف نربي الاطفال ، وكيف نوجه الشباب ؟

وأبادر الى ابراز اهمية « المثال الشخصي »

في التربية والتوجية ، فاذا كان المربي او الموجه مستقيما : يطبق ما يامر به غيره على نفسه اولا ، ويلتزم بما يقوله التزاما صارما ، ويفعل ما يقوله ، فانه ينجح في تربيته وتوجيهه نجاحا باهرا ، ويطيع اطفاله في البيت وتلامذته في المدرسة وطلابه في الجامعة بطابعه المتميز ، ويكون قدوة حسنة لهم يقتدون به ويقتفون آثاره ويسيرون على هديه ، ويكون مثلا اعلى لهم في حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربي اوالموجه ، يبني الرجال والنساء ويفيد دينه وامته ووطنه ، وترفع على اكتافه صروح الحاضر والمستقبل على هدى وبصيرة .

اما اذا كان المربي او الموجه منحرفا ، لا يطبق ما يامر به غيره على نفسه اولا ، ولايلتزم بما يقوله التزاما كاملا ، ويقول ما لايفعل ، فانه يخفق في تربيته وتوجيهه اخفاقا تاما ، ويطيع اطفاله في البيت وتلامذته في المدرسة وطلابه في الجامعة بطابعه المنحرف ، ويكون قدوة سيئة لهم ، يقتدون به في النفاق ، ويقتفون آثاره في التلون ، ويسيرون على نهجه في التذبذب ، ويكون مثلا ادنى لهم في حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربي او الموجه ، يحطم الرجال والنساء ، ويضر بدينه وامته ووطنه ، وتنهار على يديه اعمدة الحاضر والمستقبل ، وتحل به وبامثاله الكارثة على المصلحة العليا للبلاد .

ان واحدا من المربين او الموجهين ، يعمل بما يقول ، اكثر نفعا واعظم تأثيرا في الاطفال والشباب من آلاف المربين او الموجهين الذين يقولون مالا يفعلون ، ولو كانوا من ابلغ الناس خطابة وبيانا اذ ان الكلام الذي لا يصبح عملا في نفس صاحبه يبقى كلاما ولا يصبح عملا في نفوس الآخرين .

وشتان بين الاقوال والاعمال .

— 3 —

وابادر ايضا الى ابراز اهمية تطبيق تعاليم الدين الحنيف في التربية والتوجيه ، وان يكون المربي او الموجه متمسكا بهذه التعاليم ، ليكون قدوة حسنة لاطفاله وتلاميذه وطلابه ومرؤوسيه وموظفيه وفلاحيه وعماله ، كل حسب واجبه ونطاق عمله : رب اسرة ،

اومعلما او مدرسا او استاذا او ضابطا او رئيسا في دائرة حكومية او مزرعة او مصنع — الخ —

ان الدين الاسلامي بالاضافة الى تعاليمه في العبادات ، منهج للحياة وطريق للعمل الصالح وسبيل الى الخير ، يتضمن تعاليم مفصلة تتصل بالعلاقات الفردية والجماعية ، والمعاملات بين الناس ، وهي تعاليم اخلاقية سامية ، فهو يامر بالعفة والحياء والامانة والصدق والاستقامة،والكرم والسخاء والصبر والشجاعة والاقدام والتقوى ، والقناعة والاجتهاد في العمل والاتقان فيه ، والطهارة والنظافة والعدل ، والاحسان والمروءة والعفو ، والرحمة والشفقة وايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدين المعاملة ، وصدق عليه افضل الصلاة والسلام : (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

هذا الدين العظيم ، يامر بالادب والرقة ، والتودد في معاملة الناس ، والتوسط في ازالة الخلافات بين الافراد والجماعات، والطاعة لاولي الامر ما اطاعوا الله ، واحترام الوالدين ، وينهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس والنفاق ، والتولي يوم الزحف والفحشاء والمنكر ، والبغي ، وشرب الخمر ولعب الميسر ، واكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله — الخ —

ولو مضيت في تعداد ما امر به الاسلام من مكارم الاخلاق وما نهى عنه من الرذائل ، لطال بي السرد ولخرجت عن صلب الموضوع .

فان كان الابوان يطبقان عليه التعاليم الاخلاقية الرائعة ، فانهما بدون شك يهيئان المناخ المناسب لتربية اطفالهما تربية سليمة صالحة موفقة .

وما يقال عن الابوين ، يقال عن المعلم والمدرس والاستاذ والضابط والمسئولين في الدوائر الحكومية والمصانع والمزارع والنوادي والمساجد والمصالح الخاصة والعامة .

اما اذا كان الابوان يواد ، وتعاليم الدين الحنيف بواد آخر ، وكان المسؤولون عن توجيه الشباب والناس عامة كذلك ، فانهم لايؤدون واجباتهم كما ينبغي في التربية والتوجيه ،لان فاقد الشيء لايعطيه ، وواقعنا المرير خير دليل على ما اقول .

وصدق امام المربين وسيد الموجهين رسول الرحمة ونبي الامة عليه افضل الصلاة والسلام : « من خاف على عمله وعقبى عقبه ، فليتق الله » .

ع

ان الآباء والامهات الذين يريدون ان يفرضوا سيطرتهم على اولادهم بعد ان شبوا عن الطوق ، دون ان يكلفوا انفسهم عناء تربيتهم تربية صالحة منذ ايام الطفولة يخفقون في فرض سيطرتهم كل الاخفاق ، كما نلمس ونسمع ونشاهد اليوم ، حيث اصبحت السيطرة التامة بيد الاولاد على الابوين لا بيد الابوين على الاولاد ، مما ادى الى تصدع بناء الاسرة وحلول الكوارث الاخلاقية ، وارخاء العنان للاولاد طوعا او كرها .

ان ولد اليوم هو رجل المستقبل ، فيجب ان يكون الهدف من تربيته هو بناء المثل العليا في نفسه لتكون طبيعة فيه ، حتى يتسنى له عندما يحين الوقت المناسب ان يؤثر في الآخرين الى ما فيه الخير .

وهناك امر يجب الا نتغاضى عنه ، وهو ان غرس اسس المثل العليا في الطفل ، يجب ان يتم في البيت وان التربية الاساسية يجب ان تبدأ هناك . هذه التربية هي التي تؤثر في الطفل وتوجهه طيلة حياته ، اما الى الخير واما الى الشر . وعلى اسس التربية السليمة التي تقام في البيت ، سيبني المعلم تربية الولد عندما يلتحق بالمدرسة ، فان لم تكن تلك الاسس قد غرست في البيت من الابوين في الطفل ، فلا يستطيع المعلم او اي شخص آخر ان يفعل شيئا في تنمية التربية السليمة .

وما نسمعه اليوم عن « انحراف الاحداث » و « آثام الاحداث » ، سببه الرئيسي بدون شك هو اهمال الابوين في تربية الطفل .

وتجربتي العملية تحملني على الاعتقاد بأن اسس التربية السليمة يجب ان تغرس في الطفل من اول شعوره بالحياة وابتداء فهمه لما يجري حوله من أعمال : يتساءل عنها تارة ، ويقلدها تارة اخرى . وبصورة عامة ، تبدأ تربية الطفل عندما يصبح في الثالثة من عمره ، فيرى والده يصلي مثلا فيسأله : ماذا تصنع ؟ ! فيقول الوالد : هذه صلاة لله . فيسأل الطفل : ومن هو الله ؟ فيقول الوالد : الذي خلقنا والذي يرزقنا ، والذي يوفقنا في الحياة ...

وبأسلوب بسيط يجري ابيام الطفل عما يتساءل عنه ، وحينذاك سيصغي الطفل بدون متطلبات الصلاة وباى شكل ؛ لكنه بالتدريج تتعلم ما ينبغي ان يفعل في الصلاة ، فيكون من واجب الوالد تشجيعه ماديا ومعنويا . فلا يبلغ السابعة من عمره الا ويكون قد اتقن اقامة الصلاة ؛ تلك الصلاة التي بدا في اقامتها تطبعا وتقليدا ، وبمرور الوقت اصبحت فيه طبعا وعقيده .

وما يقال عن الصلاة ، يقال عن غيرها من اعمال البر والخير .

ان الطفل يجب ان يربى تربية تجعله يميز بين الخطأ والصواب ، ويتحلى بالصدق والاستقامة وحب الخير .

ولعل تعليمه الصلاة ، والصلاة عمود الدين ، بداية مباركة تعلمه بالتدريج كل خصال الفضيلة ، وكل خصائل الخير .

ومن المناسب في ايام الجمع والاعياد ، مرافقة الطفل الى المساجد للصلاة ، حتى يتعود ارتياد المساجد ، وحتى يتشرب بروح المسجد . وسيجد الطفل في ارتياد المساجد نوعا من التسلية في بداية الامر ، حتى اذا كبر اصبح ارتيادها محببا الى نفسه ، يجد فيها راحة وسلوى واطمئنانا وامنا .

وللمسجد فوائد للطفل والشاب ولغيرهما ايضا ، من هذه الفوائد ان يتعرف الطفل او الشاب باصدقاء طيبين اخيار ، يفيدون ولا يضرون ، ويبنون ولا يهدمون .

5

ويسير الطفل الى جانب والده في الطريق ، فيجدان فقيرا او محتاجا يسأل الناس ويطلب المساعدة ، فيعطي الوالد شيئا من المال لولده ، ويأمره ان يقدم المال للفقير او المحتاج ، ويسأل الطفل أباه : لماذا ؟ فيقول : لا بد ان نساعد الفقراء والمحتاجين ، حتى لا يبقى اولادهم بدون طعام ولا ثياب . ثم يذكر الاب لطفله فوائد الصدقة ، وان الله يبارك في اموال المتصدقين ويدفع عنهم الضرر والعوز .

واذا طرق فقير او محتاج باب الدار ، فان الابوين يقدمان للطفل نقودا ليقدمها بدوره الى الفقير او المحتاج ، ويعود الى ابويه فرحا مستبشرا . وبمرور الزمن ، يتعود الطفل مساعدة من يحتاج الى المساعدة من ماله الشخصي ، ويجد راحة نفسية في ذلك .

وعلى المائدة يبدأ تناول الطعام باسم الله ، ويكرر ذلك على مسمع من الطفل ، حتى يتعلم الطفل ما يسمعه ، ويردد ما يردده ابوه وامه .

فاذا طرق الباب ضيف او فقير ، بادر الاب الى الترحيب بالضيف ودعوته الى تناول الطعام ، وتقديم كمية من الطعام الى الفقير .

من ذكريات الطفولة ، التي لا انساها ، ان جدتي لوالدي آثرت ان تبقي جائعة لتقدم طعامها الى ضيف قدم على غير ميعاد .

ومن ذكرياتي عنها انها قدمت طعامها الذي كانت تتناوله الى فقير طرق الباب ، وهي تقول فرحة مستبشرة : «سهمي في الجنة» .

وجاءها مرة فقير ، فلم تجد ما تقدمه له ، فخلعت ثوبا وكسته به ، وحين عادت الى غرفتها لترتدي ثوبا آخر ، كانت مسرورة بعملها سرورا لا يوصف .

وكانت تردد كلما اكملت تناول الطعام : « اللهم اطعمتني ، فاطعم كل فقير» .

تلك ذكريات قليلة مما كانت تفعله ، اثرت في نفسي في حينه ولا تزال تؤثر في نفسي حتى اليوم .

ولكنني لم اكن ادري يومها ، انها كانت تفعل ما تفعل ، بالاضافة الى ما كانت ترجوه من اجر وثواب من الله ، أنها كانت تلقنني دروسا عملية في التربية ، مكتفية بالتطبيق العملي حينا ، ومفسره موضحة بالكلام البسيط بعض ما كان يخفى علي من معان حينذاك .

والواقع ان هذه الجدة الامينة ، آثرت في تربيتي بورعها وتقواها ، عالم يؤثره في كبار العلماء من القدماء في مؤلفاتهم ومن المحدثين في تآسيهم الشخصي بي تلميذا وطالبا وزميلا .

ومرة ثانية ، فان المثال الشخصي له اعظم الاثر في التربية ، لانه عمل يصبح في النفوس عملاء وليس كلاما لا يلبث ان يتلاشى .

— 6 —

واذا كان الابوان هما المثل الشخصي لاولادهما : يقلدهما الطفل حتى يعقل ، فاذا عقل اصبحا اسوة حسنة له ، يقفي آثارهما ، ويسلك مسلوكهما، ويرى ما يفعلانه حسنا في نظره ورأيه، فان المعلم والمدرس في المدرسة ، والاستاذ والمؤلف في الجامعة ، وضابط الصف والضابط في الجيش ، والرئيس المباشر في العمل ، والشيخ في الطرق الصوفية ، هم المثال الشخصي الذي يؤثرون في التلميذ والطالب والجندي والعامل والفلاح والصوفي .. الخ ..

والامة التي تريد ان تربي شبابها تربية مثالية ، عليها ان تعد المعلم والضابط اعدادا مثاليا ، فيهما رأس كل خير ، كما انهما رأس كل بلاء ايضا .

انهما رأس كل خير ، اذا احسنا في اداء واجبهما، وهما رأس كل بلاء اذ اساءا .

وقد كان وراء كل عظيم اب او ام عظيمة او ابوان عظيمان وراءه تربية صالحة ، او كان وراء هذا العظيم معلم عظيم او استاذ عظيم ضابطا كان او مدنيا .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه ، يجد وراء كل خصاله الحميدة قدوة حسنة من اب او ام او معلم او استاذ ، او قريب او صديق .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه ايضا ، يجد وراء كل رذيلة من رذائله قدوة سيئة من ام او اب او معلم او استاذ ، او قريب او صديق .

واذا كان لدى ما انصح به شبابنا اليوم فهو مطالبتهم بالاستقامة وعمل الخير ، والاستفادة من اوقاتهم في العلم والتعلم ، والحرص على المصلحة العامة وايثارها على المصلحة الخاصة .

ان التربية المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ، هي التي تيسر كل هذه الخصال .

المسلم الحق صادق لا يكذب ، تربه لا يلوث ، قوي لا يضعف ، امين لا يخون ، طاهر الذيل لا يزني ، مخلص لا يراوغ ، كريم لا يبخل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة في الارض ، يقول الحق ولو على نفسه ، يسالم ولا يستسلم، ولا تضعف عزيمته الاراجيف والاشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكري، ويقاوم الغزو الحضاري، ولا يقنط ابدا او ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق يقظ اشد اليقظة ، حذر اعظم الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة للقائه ولا يستهين به في السلم او الحرب .

ان التربية الاسلامية تعد المسلم ليكون عنصرا مفيدا في الامة الاسلامية من الناحيتين العسكرية والمدنية ، لذلك حمل المسلمون عندما كانوا مسلمين حقا للعالم حضارة عظيمة وكانوا في الحرب لا يغلبون من قلة ابدا .

7

تلك لمحات مختصرة مما اراه ضروريا لاعادة بناء الرجال والنساء ، لعل فيها فائدة لاخوتي واخواتي من الآباء والامهات ولاولادي وبناتي من الاطفال والشباب .

وألمح من بعيد قسما من القراء يقولون : هذه تربية قديمة ، ونحن بحاجة الى تربية جديدة .

وأفترض حسن النية في هؤلاء المعترضين ، لان تربيتهم في البيت والمدرسة والجامعة لم تكن كما يرام .

هذه التربية المنحرفة في عقر دارها ، والمستوردة حسب مخطط مشبوه ، هي التي ادت الى انحراف الاحداث والشباب ، فاصبحوا يفكرون بانفسهم ولا يفكرون بغيرهم ، ويرون الحياة ، (مادة) بحتة تتركز في البطن والجيب والفرج ، خالية من (الروح) بما فيها من سمو وخير وبركة .

هؤلاء الذين اصبحوا نتيجة لتربيتهم المنحرفة المشبوهة ، يعانون من مركب النقص تجاه التربية الغربية وعقدة مركب العظمة تجاه التربية الاسلامية .

ولهؤلاء وحدهم لا لغيرهم من الذين انعم الله عليهم بالايمان ، سيتركز حديثي عن آراء المشير مونتكومري في التربيه التي سطرها في كتابه الاخير: «السبيل الى القيادة» ، وهو اخر مؤلفاته بعد ان بلغ الثمانين او اكثر .. لعل في آرائه ما يقنعهم بوجهة نظري ووجهة نظر السلف الصالح من علمائنا الابرار.

وليعقد اخي قارئ بين آراء مونتكمري التربوية وآراء الامام الغزالي التربوية في كتابه : «احياء علوم الدين» ، فوجدت آراء الغزالي عليه رضوان الله اكثر وأشمل تفصيلا وأدق بحثا واوضح منهجا ، واقوم اسلوبا واقرب الى الواقع من آراء مونتكمري !

ولكن ما حيلتنا مع الذين اسهوتهم شياطين الغرب، وبهرتهم مدنيته وحضارته ، واستحوذ عليهم الاستعمار الفكري البغيض ؟ ؟ !!

كانت المسيرة الخضراء اعظم شريط حي شاهدته البشرية في القرن العشرين .. أخرجه الملك الحسن الثاني من أعماق التاريخ الاسلامي ، وأروع بحث سوسيولوجي ميداني قام به لابراز خصائص المجتمع المغربي .

وكانت ثورة تحريرية شعبية ، اسلامية الفكر والعقيدة والقيم والشعارات ، اعادت الصحراء الى المغرب وموريطانيا قبل أن يعود متطوعوها الى بيوتهم .

خصائص ظاهرة

الإستمرار

في المجتمع الاسلامي المغربي من خلال المسيرة الخضراء

2

للدكتور ادريس الكتاني

(2)

2 ـ استمرار روح النظام والامتثال لاوامر الخليفة او السلطان :

بالرغم من مظاهر الفتن والاضطرابات الداخلية التي عرفها المغرب في فترات متقطعة من تاريخه ، وخاصة في عصور التخلف الاخيرة ، والتي ترجع في الحقيقة لسوء التنظيم الاداري ، وانتشار الجهل ، وقلة الرجال الاكفاء ، وسوء المواصلات ، وغيرها من العوامل التاريخية العابرة ، فان المجتمع المغربي مع ذلك ظل يحتفظ في اعماقه بقيمة اسلامية اساسية لوجود أية دولة أو أمة ، هي قيمة الطاعة والامتثال لاوامر الخليفة او السلطان الحاكم ، فهذه القيمة ، فضلا عن كونها ضرورية من وجهة نظر علم الاجتماع، لضمان الامن والنظام والاستقرار للمجتمع ، فان الاسلام الح عليها ، بصفة خاصة ، لتساهم بدورها في توحيد القبائل العربية والتحامها ، وتعويدها على تقديس العمل الجماعي ، والشعور بالروح الجماعية، وتجنب كل ما من شانه ان يؤدي لصراع قبلي او طائفي ، يستثير العصبيات الجاهلية ، لنشر الفتنة والخلاف داخل المجتمع الاسلامي الجديد ، وهو المجتمع الذي قام على اساس وحدة الامة الاسلامية، ومحاربة كل عوامل التفرقة والخلاف .

ولدعم هذه القيمة ، وتركيزها في عقيدة وسلوك المجتمع الاسلامي ، جاءت آيات كثيرة منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تاويلا » .

وفي حديث رواه البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى من اميره شيئا فكرهه فيصبر ، فانه ليس احد يفارق

الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية » . فهذا الحديث يبرز اهمية هدف الوحدة في بناء المجتمع الاسلامي ، فالخروج عن الجماعة الاسلامية بدعوى كراهية سلوك في اميرها ، ونشر الفتنة والشقاق في صفوفها ، اشد خطرا على الامة نفسها مما تكرهه من اميرها ، ومع ذلك ، فان قبول هذا المكروه مشروط بما لم يبلغ حد الامر بالمعصية ، فقد روى البخاري عن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية . فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

واذا نحن لاحظنا أثر قيمة الطاعة والامتثال للسلطان الحاكم المسلم في المجتمع المغربي ، وخاصة اذا كان من آل البيت النبوي الشريف ، بعد اربعة عشر قرنا من صدور الامر بها في القرآن والسنة النبوية ، فسنجد انها لا تزال مستمرة ، وذات فعالية كبيرة ، وانها كانت احد العناصر الرئيسية في نجاح المسيرة الخضراء ، وفي تحقيق هدفها السياسي الكبير وهو استرجاع الصحراء .

فلنلاحظ اولا ان جلالة الملك الحسن الثاني لم يصدر قانونا رسميا يجبر بمقتضاه فئات من الشعب ، او عددا معينا منه ، على التطوع في المسيرة الخضراء ، وانما دعا الشعب الى التطوع تلقائيا بواسطة خطاب عام في الاذاعة والتلفزة ، وحدد عدد المتطوعين في 350.000 ، فلبى نداءه ضعف هذا العدد ثلاث مرات في اقل من اسبوعين .

ولعل اخطر موقف لامتحان قيمة الطاعة والامتثال عند الشعب المغربي ، لا يتمثل في تطوع 350.000 مواطن ومواطنة ، وقطع مئات او آلاف الكيلومترات في الشاحنات والقطارات ، ثم الزحف الى الصحراء المحتلة مشيا على الاقدام ، بقدر ما يتمثل في الموقف المعاكس ، وهو امر هذه الجماهير الزاحفة بالتوقف تهائيا عن مواصلة سيرها الى مدينة العيون ، بعد ما قطعت 30 كيلو مترا في قلب الصحراء ، ولم يبق لها الا نحو 50 كيلو مترا لهذه المدينة ، ثم امرها بعد ذلك بالعودة الى بيوتها مقابل وعد سياسي بانها حققت هدفها ! ، انه لامر شاق جدا ان يتقبل الشعب المغربي عامة ، وفرق المتطوعين في مسيرة بهذا الحجم الضخم ، امرا بالرجوع من « نصف الطريق » في ساحة المعركة ، دون انتصار فعلي محقق ، او هزيمة محققة ، ومع ذلك فقد امتثل 350.000 مواطن ومواطنة لامر قائدهم الاعلى ، دون حدوث اضطرابات او فوضى او تمرد ! ، ان هذه الطاعة الفورية السليمة ، التي انقادت لها جماهير المتطوعين لا عن اقتناع باطني ، ورضى نفسي ، ولكن خضوعا للنظام العام ، ولتقاليد وقيم حضارتهم التي لم تكن وقتئذ محل مناقشة . هذه الطاعة لامير المؤمنين اذهلت الاعلام العالمي كله ، ولم يجد لها نظيرا بالنسبة لمنطقه ومقاييسه وحضارته المدنية ، اذهلت 600 صحفي اجنبي جاءوا ليشاهدوا اغرب احداث التاريخ في القرن العشرين .

وفي طرفاية جرى الحوار التالي بين صحفي فرنسي كان يقيم في مخيمات هؤلاء المتطوعين ، والدكتور ابراهيم دسوقي اباظة :

— الصحفي الفرنسي : ارجو ان لا يكون قرار المسيرة من قبيل المغامرة . والا ستكون العواقب خطيرة .

— الدكتور اباظة : لا اعتقد بان هناك مجالا للمغامرات في اجراء سياسي من هذا النوع .. ان كل الخطوات التي اتخذت حتى الآن توحي بوجود حساب سياسي دقيق .

— الصحفي : هل تعتقدون ان اقوى العقول الاليكترونية قادرة على التكهن بما يمكن ان يحدث كفعل ، او كرد فعل ، على مسيرة قوامها 350.000 مواطن ؟ كيف يمكن السيطرة على هذا الحشد الضخم في التقدم او في الانسحاب اذا ما وقع منع من جانب او من آخر ؟ .

— اباظة : انت لا تعرف طبيعة المغاربة ومضمون الظروف السياسية والنفسية التي تكتنف هذه العملية ، انهم يعيشون مشكلة الصحراء ويلمسون ابعادها كل يوم بمشاعرهم .. وهم مقتنعون بان الصحراء لهم ، وليست لغيرهم ، وفوق ذلك فهم قوم تعودوا منذ قرون بعيدة على النظام والانضباط تحت امرة القيادة ، ثم انهم اخيرا مسلحون باخطر سلاح على وجه الارض .. سلاح العقيدة .. الا تعلم انهم يعتبرون قضية تحرير الصحراء قضية جهاد ؟.. وبالتالي فلا حل لها الا النصر او الموت !! .

— الصحفي : (في اندهاش !) ما زلتم رغم كل هذه القرون تتصورون حل القضايا السياسية على هذا النحو ؟! .

— اباظه : نعم .. وهل ترى نحوا آخر في القرن العشرين يمكن ان تحل على اساسه قضية وطنية ؟! .

— الصحفي : حتى الآن لا يوجد حل آخر .. ولكنني لا اعتقد ان هذا هو الحل الامثل ، هناك مخاطر كثيرة يمكن ان تتعرض لها المسيرة ، اولها .. اطلاق النار عليها ، لا من الاسبان وجدهم ، ولكن ايضا من البوليزاريو ، وثانيا .. هلاك عدد كبير من المتطوعين اذا ما قطع التموين عنها باجراء عنيف مباشر .

اباظة : يبدو انك متاثر ببعض الاذاعات في المنطقة .. فهذه المخاطر كلها متوقعة ومحسوبة ، واشار اليها جلالة الملك في خطابه .

— الصحفي : انني اسمع راديو مدريد والجزائر كل ساعة ، ولا اعير وزنا لحرب الاعصاب التي تبثها هذه الاذاعات لاقيم ـ في معنويات المتطوعين في المسيرة .. ولكنني اقدر الامور بصورة موضوعية ، ومن الصعب اقناعي بان اسبانيا والجزائر سيتخليان عن مخططاتهما في الصحراء بسبب هذه المسيرة .

— اباظة : وانا اعتقد ان اجراء المسيرة ، الى جانب اجراءات اخرى ، يمكن ان يشكل اداة ضغط هائلة على السلطات الاستعمارية في المنطقة ، يدفع بها الى قبول المفاوضة والتخلي عن مواقفها المتشددة .

— الصحفي : سنرى غدا قيمة هذه النظريات

— اباظة : اذن الغد بيننا (1) » .

ان هذا الحديث يعطينا صورة عن الفكر الغربي تجاه حدث المسيرة عموما ، وتجاه مشكلة انقياد متطوعي المسيرة للنظام وامتثال اوامر القائد الاعلى وقواد المسيرة ، ولهذا كان يستحيل نجاح مثل هذه المسيرة في دولة غربية ، لمواطنيها ـ كهذا الصحفي ـ منطقهم ومقاييسهم ومشاعرهم الخاصة ، التي تختلف اساسا مع قيم حضارتنا الاسلامية ، وفي طليعتها قيمة الطاعة والامتثال للنظام مهما كانت التضحيات ، اذ لو فكر متطوعو المسيرة تفكير هذا الصحفي ، واقتنعوا مثله بأن المسيرة مجرد مغامرة ، وستسهم بكارثة يذهبون ضحيتها دون فائدة ، لما تطوعوا فيها .

وعلى خلاف التقديرات والتوقعات الاجنبية ، فمما لا شك فيه ان جلالة الملك كان واثقا مائة في المائة ، من تلبية الشعب لندائه ، وامتثال اوامره التي هي في صالح شعبه ، ومع ذلك فقد عبر عن اعتزازه واندهاشه في آن واحد ، للنتائج التي اسفرت عنها المسيرة ، خاصة بالنسبة لقيمة الطاعة والنظام والامتثال ، حيث قال :

« .. فما اعجب تلك الفترة شعبي العزيز ، فيما بين اقل من شهر ، قلنا لك تطوع فتطوعت .

ثم قلنا لك سر فسرت .

ثم قلنا لك اجتز الحدود فجزت الحدود .

ثم قلنا لك قف فوقفت .

ثم قلنا لك ارجع فرجعت .

كلمات خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان ، ناصعة في كتاب التاريخ وسجل المؤرخين ، لقد مضت ستة وانا افكر فيما تنطوي عليه من حكم ودروس . اعتقد شعبي العزيز ان هذه المسيرة سوف تطبع مغربنا لمدة جيلين او ثلاثة (2) » .

3 ـ استمرار روح الصمود والمقاومة للاستعمار :

شجاعة المغرب في الحروب ، وصموده في مقاومة وردع المعتدين والمستعمرين ، شيء معروف في تاريخ المغرب القديم والحديث ، وقد برزت هذه القيمة جلية في معركة استرجاع الصحراء ، وخلال ايام المسيرة الخضراء ، بشكل انهارت امامه كل تخطيطات واحلام الحكومتين الاسبانية والجزائرية ، في اقامة دولة مزيفة صحراوية ، ثمانية عشر مليونا من المغاربة رجالا ونساء واطفالا ، خرجوا للشوارع في جميع المدن المغربية ، يصيحون في عزم واصرار : « الصحراء مغربية » ، وخلال هذه

(1) الدكتور ابراهيم دسوقي اباظة : « وعادت الصحراء » ص 174 .
(2) من خطاب جلالته في يوم عيد المسيرة 6 نوفمبر 1976 .

الايام كانت شوارع وساحات العاصمة الرباط تموج بأكثر من مائة الف متظاهر صباحا ومساء ، وتحاصر السفارة الاسبانية من غير اعتداء عليها ، ولم يبق اقيم من اقاليم المغرب الثلاثين الا خرج سكانه جميعا لوداع عشرات الآلاف من متطوعيهم في المسيرة الخضراء ، وداع الخارجين للجهاد وتحرير الاراضي الوطنية المغتصبة ، وتحقيق وحدة البلاد .

وتتمثل شجاعة وصمود 350.000 متطوع ومتطوعة في المسيرة الخضراء ، في انهم لم يتأثروا فقط :

1) بتهديدات الجيش الاسباني في الصحراء، وهو مزود بأحدث الاسلحة المتطورة لحروب الصحراء، وبفوق عدد جنوده سكان الصحراء (75.000 جندي) وقد صرح قائد هذا الجيش بأنه اعطى الامر بضرب كل من يتجاوز حدود الصحراء بمتر واحد .

2) بتهديدات الاذاعات الاسبانية المتواصلة التي كانت تردد وتؤكد كل ما كانت تقوله الاذاعات المتطوعين ، وتحطيم معنوياتهم .

3) بتهديدات الاذاعة الجزائرية المتواصلة التي كانت تردد وتؤكد كل ما كانت تقوله الاذاعات والصحف الاسبانية المعادية ، وتصف المسيرة الخضراء بانها عملية انتحارية سيذهب ضحيتها المتطوعون المسخرون ، وهم لا يعلمون !! ، وستكون اكبر مجزرة عرفها التاريخ !! .

وهذه اعترافات بعض المتطوعين تؤكد ايمانهم وصمودهم بالرغم من هذه التهديدات ، يقول السيد المرابط احد متطوعي الدار البيضاء :

« لقد كنت من بين المتطوعين الذين وهبوا ارواحهم فداء لهذا الوطن ، ورغم التهديدات باطلاق النار .. ورغم التخويف والاساليب التي كان الاسبان يحاولون بها ترهيبنا ، فقد مضينا في طريقنا نحو الصحراء ، ولم نبال بذلك ، رافعين كتاب الله الذي كنا نستمد منه العون (3) » .

ويقول السيد المحجوب من متطوعي قرية آيت بحدو :

« .. ان اللسان يعجز عن وصف تلك اللحظات .. الطائرات الاستطلاعية الاسبانية تحوم فوق رؤوسنا قصد التخويف والرهيب ، والمواطنون سائرون غير عابئين ، بين ايديهم كتاب الله ، والعلم المغربي ، والجميع يردد : « الله اكبر » (4) » .

ويقول السيد محمد السامي من متطوعي مكناس :

« .. كنت على راس فرقة من 60 متطوعا ضمن عشرة آلاف متطوع من مكناس .. ورغم الاخطار التي كانت تحدق بنا .. طائرات استطلاعية وحربية اسبانية تحلق فوق رؤوسنا .. تهديدات اسبانية باطلاق النار على كل من يقترب من الحدود الوهمية .. فقد تحدينا كل ذلك بايمان وقوة (5) » .

4) جلالة الملك الحسن الثاني نفسه لم يغفر بالمتطوعين ، في خطاب دعوته للتطوع في المسيرة حذر باسهاب من احتمال الهجوم على المتطوعين ، وذكر بمواقف المقاومة الوطنية خلال عهد الحماية ، وفي معارك التحرير والاستقلال ، واكد بأن مقاربة اليوم ليسوا اقل من مقاربة الامس، وانهم ايضا قاوموا العدو بدون سلاح ، غير سلاح ايمانهم ، وانتصروا عليه ، وهكذا كان المتطوعون على اتم وعي وادراك بجميع الاخطار المحتملة التي كانت تنتظرهم ، ولكنهم مع ذلك كانوا على اتم استعداد معنوي لتقبلها ومواجهتها .

5) اقدمت مجموعة من المتطوعين على مغامرة يستحيل ان يقوم بها الانسان الغربي ، حيث توجهوا على اقدامهم الى « الحدود العسكرية الملغومة» التي حذر الاسبان من الاقتراب منها ، بعد انسحابهم داخل الصحراء ، للبحث عن هذه الالغام بايديهم وارجلهم ، وازالتها دون خوف او رهبة ، فلم يجدوا لها اثرا ، وتأكدوا من زيف تلك التهديدات .

6) بعد قرار المسيرة ، سللت مجموعة تتكون من 51 متطوعا في جنح الظلام ، ليواصلوا

---

(3) جريدة العلم 5 نونبر 1976 .
(4) نفس المرجع .
(5) جريدة العلم 4 نونبر 1976 .

مسيرتهم الى مدينة العيون ، رغم جميع الاخطار التي كانت تهددهم ، ولم يعلم احد بهم الا بعد ان اعلن الاسبان نبأ القاء القبض عليهم في مدينة العيون ، وظلوا في السجن الى ان دخلت القوات المغربية المدينة ، وتسلمت سلطة ادارتها ، فقامت بتسريحهم

7) ومن بين التهديدات التي واجهها المغرب حكومة وشعبا ومسيرة ، وكان يمكن ان ينعكس ثقلها واثرها على معنويات المتطوعين خاصة ، البرقية التي وجهها الامين العام للامم المتحدة لجلالة الملك طالبا منه ايقاف المسيرة ، وذلك على اثر اجتماع مجلس الامن ، ومعارضة الاتحاد السوفياتي لموقف المغرب ، وهذه البرقية تعني ان المغرب يتحمل مسؤولية ما قد ينتج عن المسيرة من اخطار ، ولم يكن بين الشعب المغربي من لم يتحمل هذه المسؤولية، وفي طليعته المتطوعون انفسهم وعائلاتهم .

وكانت المسيرة تواجه خطرا عربيا اخر لا يمكن ان يخطر على بال أحد في القرن العشرين ، وهو من الاسرار التي افضى بها الجنرال سالازار الحاكم الاسباني للصحراء ، الى الاستاذ احمد ابن سودة مدير الديوان الملكي ، بعد ان عين عاملا على الصحراء، وتسلم السلطة من الجنرال المذكور ، يقول الاستاذ ابن سودة : بعد ان زالت الكلفة بيننا ، سألته عن خواطره عندما علم بالمسيرة الخضراء ، فاجابني الجنرال سالازار بالحرف :

« بصراحة كنت اتلقى انباء تجمعاتكم على مشارف الصحراء ، وآخذ في استعراض ما عندي من مصفحات وآليات فاضحك ساخرا منكم وأقول : ليتفضل المغاربة وسوف اريهم ... ولا تعجب اذا قلت انني اعددت لكم طائرات لترميكم وترمي حشود المسيرة بالحجارة من السماء .. وقد استوحيت هذا من قرآنكم الكريم حيث تقول الآية : « الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » ، ولكني عندما تحركت المسيرة ، ودخلت الصحراء وغرقت انباؤها من خلال المنظار المكبر من بعيد ، عدت فنظرت من جديد الى دباباتي ومصفحاتي ، فبدت لي امام هذا الموج من البشر كعلب الكبريت (6) .

هذه الشهادة من قائد الجيش الاسباني السابق في الصحراء المغربية ، تظهر من جهة ، نوعا من رد الفعل المناسب لقرار المسيرة الخضراء من طرف العسكريين الاسبان ، الذين اعتقدوا انه في مستواها غرابة وتأثيرا وحتى مصدرا ، ومن جهة اخرى ، تظهر بجلاء مدى تاثير المسيرة كقوة سلمية ، مخيفة ومرعبة، لا من حيث حجمها فحسب، ولكن من حيث معنوياتها : شجاعتها ، وصمودها ، وعزمها على ان تصل لمدينة العيون مهما كلفهم ذلك من تضحيات . ولا شك ان الجنرال سالازار كان احد ركاب الطائرات العسكرية التي كانت تمر فوق رؤوس جماهير المسيرة تهديدا وتخويفا ، وكان يراقب عن قرب ردود فعل هذه الجماهير ، فيلاحظ انها لا تتوقف عن المسيرة ، وان احدا لا يخرج عن صفه او موكبه فزعا او فرارا ، حتى لو رماهم بالحجارة او الرصاص ، فهم ماضون الى العيون ، ولا بد ان يصلوا اليها ولو ابيد نصفهم في الطريق ، وهذا ما يفسر تصريحات القادة العسكريين بانهم لن يقبلوا اهانة الجيش الاسباني ، وكانوا يرون في احتلال مئات الالوف من المدنيين المغاربة للصحراء اكبر تحد لقواتهم العسكرية ، التي تقف عاجزة عن مواجهتهم بنفس السلاح . وعندما زار الملك خوان كارلوس مدينة العيون صرح هو الآخر بانه يرفض كل ما يمس بشرف وكرامة الجيش الاسباني ، ولم يكن امام حكومته لارضاء الجيش ، وايقاف الزحف المغربي السلمي ، الا الدخول في مفاوضات مع المغرب ، ليسترجع صحراءه بالاتفاق مع الاسبان ، والمحافظة على كرامة الجيش ، وليس بجعلهم امام الامر الواقع ، وصرح مندوب اسبانيا في الامم المتحدة بان حكومته وافقت على تسليم الصحراء للمغرب وموريطانيا بعد ما فشل مجلس الامن في منع مسيرة الحسن ، وذلك ليبرر عدول حكومته من سياسة انفصال الصحراء ، الى الاعتراف بمغربيتها تحت ضغط المسيرة الخضراء .

« للبحث بقية »

(6) من حديث افضى به الى رجال الصحافة ، جريدة « المسيرة الخضراء » 28 يناير 1977 .

أحمد حسن الزيات

ودوره في الحركة الأدبية المغربية

للأستاذ أحمد زياد

احمد حسن الزيات

اذا صح المثل السائر القائل : ان ذاكرة الشعوب ضعيفة ، فان هذا المثل ربما يكون أكثر صحة في سلوك الشعوب العربية واخلاقها ، فهي من غير شك تعاني من ضعف الذاكرة في جملة ما تعانيه من آفات اخرى ، بل ان هذا الضعف في ذاكرتها هو بكل تاكيد الذي حال بينها وبين اخذ العبر والدرس مما يوالي وما يزال يتوالى عليها من محن ونكبات في ماضيها وحاضرها ثم ان الضعف في الذاكرة ، قد تتجاوز « اصاباته » ، الوقائع والاحداث ، لتمتد الى الجماعات والافراد ، ولئن كان جوهر هذا الموضوع بالذات يعد بحرا لا ساحل له ـ كما قيل ـ فان ما حرك هذه الخاطرة في ذهني هو عينة واحدة ـ وربما تكون صغيرة ـ ومن أصناف الالوان التي تمثل ضعف الذاكرة ، وتمثل هذه العينة أو هذا اللون في شخصية من بين شخصيات عديدة حاك ضعف الذاكرة حولها خيوطا من عناكب النسيان بالطف تعبير وارهف تصوير ، انها شخصية المرحوم الكاتب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات وما اظن ان مثقفا عربيا على طول الساحة العربية بل ومن خارجها لا يعترف بافضلية هذا الرجل وبما اسداه من خدمات جلى للثقافة العربية كيفا وكما ومن من افراد جيل المثقفين في أوائل الثلاثينات والاربعينات ، لم يتلمذ لمدرسة أحمد حسن الزيات في كلية « مجلة الرسالة » وعبر كتبه المفيدة الموضوع منها والمترجم على السواء حتى انه وعلى طول المسافة في تاريخ الصحافة العربية كلما ذكر اسم « الرسالة » كمجلة الا وينصرف لرسالة الزيات ، التي كانت بحق رسالة غمرت باشعاعها الفكري مجموع الرقعة العربية من المحيط الى الخليج ، وآنست بقية المغتربين لعرب فيما وراء البحار .

لقد الف الاستاذ احمد حسن الزيات كتابه « تاريخ الادب العربي » فاتاح لجيل الثلاثينيات والاربعينيات فرصة دراسة هذا الادب والتعرف عليه في غير عسر وبدون تشعب ولا تعقيد .

ولم يكن بدعا ان تتلقاه المدارس الحرة في المغرب خلال تلك الحقبة ولكانه هبة من السماء الى ارضنا في وقت كانت فيه تلك المدارس تعاني من

قلة الامكانيات المادية والمعنوية منها على السواء ، مثلما كانت تعاني من أشباح الحروب الصليبية وكأنه رحمه الله أراد وكما جعل ذلك شعار لمجلة الرسالة" ان يوصل ماضي الامة بحاضرها ويعمل على رسم آفاق مستقبلها .

فاصدر مجلة « الرسالة » التي استطاعت فعلا ان توصل اماضي بالحاضر ، وتكون اداة « للآداب الرفيعة » وسرعان ما التف حولها صفوة من طليعة النهضة الفكرية في تلك العقبة الذين دأب افرادها على اثراء صفحاتها بالدراسات القيمة والمقالات الرصينة الهادفة في مختلف « الآداب والفنون » فكان من بينهم الدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والعالم الباحث صاحب النفس الطويل الاستاذ احمد امين والاستاذ مصطفى صادق الرافعي وغيرهم من الشخصيات التي كان اصحابها مصدقين في عداد عمالقة الفكر ، والمعرفة ، فكان لكل منها اتجاهه الفكري ، واسلوبه التعبيري واختصاصه الدراسي ، وتفتحت مجلة الرسالة على الثقافة العالمية فكانت تترجم من الآداب الاخرى كل ما يمكن ان يوصف بالجودة والابداع من قدم الآداب الاجنبية وحديثها فتولى المرحوم الاستاذ دريني خشبة ترجمة اوديسيا هوميروس بينما اضطلع الاستاذ فليكس فارس بترجمة كتاب الفيلسوف الالماني نيتشة « هكذا قال زرادشت » وخلد الاستاذ فخري ابو السعود دراسة ربما لا يوجد لها نظير الى يومنا هذا في موضوع الادب المقارن بين الادبين العربي والانجليزي ، كما ان مجلة « الرسالة » كانت اول من اكتشف موهبة البحث العلمي ذي السرد الادبي في شخصية الدكتور احمد زكي رئيس مجلة تحرير العربي رحمه الله وذلك من خلال سلسلة مقالاته : « قصة المكروب وكيف كشفه رجاله » .

وتذكر فيما يذكره الذاكرون من روائع الانتاج في رسالة الزيات وصحبه ، اعدادها الممتازة التي كانت تصدر في طليعة كل شهر محرم ، حيث تتبارى الاقلام في تحديد معالم الرسالة المحمدية ونضال صاحبها عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، وتستخرج لها صورا زاهية من بين المواد الخام المعقدة في كتب السير الاخرى وتصوغها في بيان مشرق تكون افتتاحية الاستاذ الزيات عقدا تتلالا احجاره الثمينة في جيد كل عدد من تلك الاعداد .

مجلة الرسالة

وبعد حين من صدور مجلة الرسالة وما حظيت به من « اتساع في الذيوع والانتشار » بادر الاستاذ الزيات الى تعزيزها باختها مجلة « الرواية » التي خصصها لترجمة الآداب الاخرى الى لغة الضاد فجاءت كمثل الرسالة ، عامرة باحسن القصص واروعه في آداب الغرب .

وبذلك فتح الزيات رحمه الله نافذة اوسع للقارىء العربي ليرى من خلالها ما يجري على غير ساحته العربية من الوان الانتاج الفكري الغربي قديمه وحديثه الكلاسكي منه والابداعي — على حد تعبير الاستاذ الزيات — وعلى مدى عشرين سنة تمكنت مجلة « الرسالة » من تعميق الفكر العربي واثرائه وسدت الفراغ الهائل في الوطن العربي وجمعت حولها كتابا وقراء ربطت بينهم روابط متينة على الرغم من شط المزار وتباعد الديار .

كما انها كانت قبل ذلك وبعد ذلك منبع عطاء فكري تميز بخصوبته وبطابعه الاصيل في الآداب والعلوم والفنون .

وبذلك اصبحت مجلدات « الرسالة » تشكل تراثا للفكر العربي بداية من أوائل الثلاثينيات الى أوائل الخمسينات ، وهي فترة اعتبرت بحق فترة متسمة بالحيوية والرصانة مثلما طبعها الانتعاش ثم الازدهار .

ومن من أفراد جيل هذه الحقبة من لا يتذكر وبشيء غير قليل من الانتشاء تلك المعارك الادبية التي جرت في ميدان الرسالة حول تلك القضية التعليمية ، قضية القديم والحديث ، التي ما تزال « الحاسة السادسة » لاستكشاف المتعة الادبية تتذوقها وتتلذذ بل وتستشي بها ، مضمونا وتعبيرا ، الى يومنا هذا وفي زمننا هذا ؟ ؟

حتى اذا احتجبت مجلة « الرسالة » متأثرة بظروف الحرب وعواقبها ، تركت ذلك الفراغ الهائل الذي ما اظن ان مجلة اخرى قد تمكنت من سده رغما من كثرة اسمائها وتعداد اماكن صدورها واختلاف مذاهبها وطرائقها « وموضاتها » كذلك ، وذلك في وقت متي فيه الفكر العربي بآفة اخرى تجلى مفعولها في صراع « الطوائف » المذهبية الذي كلما ظهرت فيه طائفة لعنت اختها .

بينما بقيت آفة العقوق تطارد صاحب الرسالة الاستاذ الزيات حيث لم يجد من الاهتمام او السند ما يساعده على ما كان يامله من القيام بعملية بعث لمجلته فضاعت نصائحه وتوجيهاته واقتراحاته في اجواء مشحونة بالصخب والضجيج .

لما قيل عنه يومئذ من أنه « عملية تحول او تحويل » للثقافة العربية وهي عملية لم تزد على ان حققت لمثولة ذلك العراب الذي روى انه اراد تقليد الحمامة فلم يوفق في تقليدها ولما اراد العودة الى مشيته وجد نفسه انه نسيها وتولى الاستاذ المرحوم الاستاذ أحمد حسن الزيات في أواخر ايامه رئاسة تحرير مجلة « الازهر » وظل يتفرج على ما يجري في الساحة العربية من الشيء ونقيضه في الحقل المثقف الى ان لقي ربه مثلما يلقاه كل ذوي الرسالات الصادقة فرحمه الله وجزاه خيرا على ما قدمه من خدمات جلى للثقافة العربية وآدابها ، وما اردت ان تكون كلمتي هذه كدراسة شخصية ولا لتاتبر « رسالة » تلك مهمة تحتاج الى جهد ووقت و « مزاج » بالاصطلاح المصري ، وانما هي مجرد خواطر عابرة اردت لها أن تكون بطاقة تعريف ، او استمارة لحالة مدنية عسى ان يرى فيها الجيل الحاضر صورة من همة أولئك الرجال الذين وفق المرحوم أحمد الزيات في ان يجمعهم حول مجته ، وما من واحد منهم الا وقد اسهم بفكره في بناء صرح نهضة فكرية شامخة البنيان عز سد فراغها بعد غيابهم .

فرحمة الله على الاستاذ الزيات ، وانها لكلمة وفاء وتقدير في شهر ذكراه ، وذلك بالاصالة عن نفسي وباسم كل من استفاد من رسالة الزيات في هذا البلد وجعل من اقتنائها بابا في ميزانيته الاسبوعية حتى ولو كانت اليد قصيرة لان الزمن يومئذ كان يقاس فيه الناس بما يعرفون لا بما يملكون ، فسبحان مبدل الاحوال .

احمد زياد

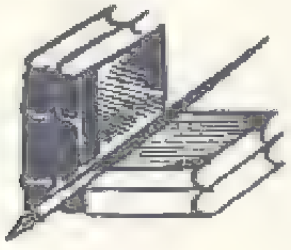

مدخل لدراسة

الصحافة المغربية

بعد سنة 1332 هـ - 1912 م

د. محمد زين العابدين الكتاني

بالرغم من ان المغرب كان من اول الدول العربية التي عرفت الصحافة الوطنية العربية خصوصا بعد الوقوف على خبر صدور جريدة (النفحات الزكية في الاخبار المغربية) سنة (1306 هـ 1889 م) من طرف مغربي ، وربما من طرف حكومة المغرب .. فان الدارس لهذه الصحافة قبل سنة 1956 يجد نفسه امام فترتين كل واحدة تستقل عن الاخرى من جميع الجوانب ، وكل من الفترتين هي :

1 ـ فترة ظهور الصحافة من سنة (1820 م الى 1912 م) .

2 ـ اما الفترة الثانية فهي من سنة (1912 م الى سنة 1956 م) .

ولكل من الفترتين طابع خاص .. وذلك ما استهدف في هذا المدخل الذي حاول ان يعطي صورة تقريبية لكل من الفترتين ..

وهكذا فاذا كان ظهور الصحافة بالمغرب بكل صوره قد ارتكز واقترن في الحقيقة بظهور الصراع الاستعماري الدولي ، والنشاط الدبلوماسي المتحالف ضد المغرب وضد وحدته ، فان هذا النشاط قد تبلور بصورة واضحة بعد عقد مؤتمر اجزيره الخضراء سنة 1906 م .

واذا كان هذا الصراع قد ضاعف الشعور بالوعي الزائد ، مما يؤكد لنا ما تمخض عن هذه الحقبة من ان الشعور بالانزواء الذي اتهم به المغرب لم يكن كذلك اذا ما تصفحنا ردود الفعل الشعبي لهذا الصراع ، ومواجهة الاوساط الشعبية والنيرة للحاكمين الاقطاعيين الذين (خدعوا الامة والسلطان) (1) فان ذلك ما دفع بهؤلاء الاقطاعيين وعملاء السفارات لان يتتبعوا الحركة الوطنية او حركة الانبعاث واليقظة النورية (2) التي كانت تعرف بدقة واقع المغرب ، وواقع الظروف التي يعيشها المغرب في الداخل والخارج حيث كان هؤلاء يومئذ يعملون بكل دقة ،

(1) مجلة (سنان القلم) الصادره بفاس سنة 1907 .

(2) انظر ما ذهب اليه W. LISGERBER في كتابه: Au Seuil du Maroc Moderne p. 183/184

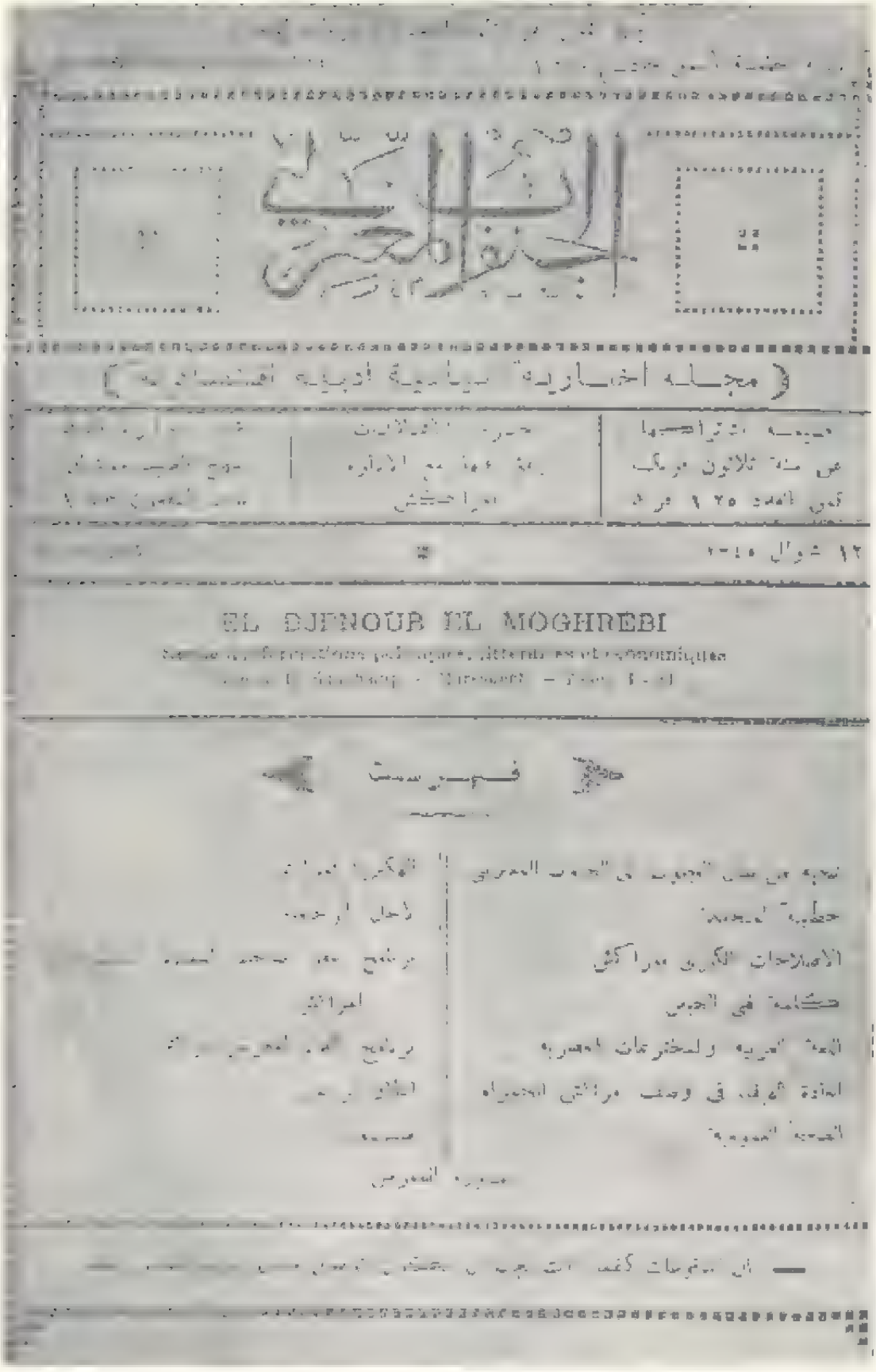

مجلة « الجنوب المغربي » التي أشرف على تحريرها شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم

ويحرصون بكل ما لديهم في الخفاء .. الى ان تدخل الاستعمار الفرنسي بصورة (رسمية) في 30 مارس 1912 م واتبعه التقسيم الى مناطق نفوذ بين كل من اسبانيا وفرنسا ومنطقة دولية وصبح بمقتضى الوضع السياسي الجديد للمغرب عاصمة بالشمال هي تطوان ، وعاصمة بالمنطقة السلطانية هي الرباط ، وعاصمة للمنطقة الدولية هي طنجة ، حيث اصبح الوضع السياسي في المغرب الموزع يسيطر على جميع مظاهر الحياة العامة والخاصة ومن ضمنها الصحافة ، فبادرت السلطات الاستعمارية يومئذ الى نقل جريدة (السعادة) من طنجة الى الرباط (ابريل 1913) بينما نظمت هذه السلطات محاربة شديدة ضد الصحف التي كانت لا زالت تصدر في طنجة وخاصة جريدة (اظهار الحق) في الوقت الذي ضاعفت فيه هذه السلطات حصارها على سائر الجرائد العربية التي كانت ترد الى المغرب من الشرق كمصر وسوريا والجزائر وتونس وغيرهم من الاقطار الاسلامية والعربية والتي كانت تصل بانتظام الى الاسواق ، والى عدد من المشتركين ، ومن طرف بعض الذين كانوا يعيشون خارج المغرب .

وهكذا فلم تتوقف حركة الصحف والنشرات المغربية الوطنية كثيرا ، بل يرجع الفضل في ذلك الى روح المعركة التحريرية التي كانت منتشرة في مختلف نقط المغرب فتجددت حركات **« كفاح سري نيلور اولا في ميدان الصحافة ، وكان الطلبة (3) في فاس وغيرها يصدرون عدة جرائد ومجلات منها (الاصلاح) ونشرات سرية (4) توزع على الذين يرغبون في الاطلاع والاستفادة على الشؤون السياسية والادبية والعلمية ... »** ووجدت هذه الحركة صدى واسعا بين مختلف الطبقات الشعبية والناشئة التي كانت الهدف الاساسي للذين كانوا لا زالوا يحملون مشعل الثورة في جميع البلاد ضد المستعمرين ..

— × —

وأذا كان المغرب قد سجل بكل فخر قاعدة اساسية منذ اول يوم ظهرت فيه الصحافة فان « تمتع جميع هذه الصحف ، الصادرة فيه سواء كانت عربية او اجنبية بحرية كاملة حتى في انتقاد الحكومة المغربية ، وبالتالي اعمال السلك الديبلوماسي الاجنبي (5) » فان تغيير المغرب بعد ذلك في نهاية مارس 1912 وتحويل هذه القاعدة جعله يدخل في وضع بل وفي فترة اقترنت بحجر كامل على الحريات، وبالخصوص حرية القول والاجتماع مما دعى لان يبقى المغرب يعيش مدة تفوق العشر سنوات بجريدة عربية واحدة هي جريدة (السعادة) على ما نعلم — بالاضافة الى قائمة من الصحف الفرنسية الجديدة التي كانت تشرف عليها الشركات الاستعمارية التي اصبحت تحول السوق المغربية نحو اسواقها الغربية. **كجريدة (لا فيجي ماروكان) و (ليكو دي تطوان)** و (**لا بريس ماروكان**) المعتدلة وغيرها ، حيث استمر هذا الوضع هكذا الى ان سجلت سنة 1918 ان الشاعر المرحوم السيد محمد اليمني الناصري احد مؤسسي الجماعة السرية (انصار الحقيقة) قد **« اقتحم دار الحماية مع جماعة من لداته ، وبيدهم طلب بانشاء مجلة مغربية ، غايتهم منها التعبير عما يختلج في صدورهم بأسلوب ظاهره نشر العلم والادب، وباطنه التشهير بالاعمال القبيحة التي تأتيها الحماية (6) »** .

وبعد ذلك ظهرت عوامل جديدة ادت الى ان الصحافة بالمغرب بدات تأخذ طريقها الجديد بعد سنة 1930 مباشرة ، بعد ظهور مجلة : (**الدولة العربية**) بجنيف للامير شكيب ارسلان .. التي لعبت دورا مهما في تجديد الوعي المغربي ..

ومن هذا التحول نرى ان الوضع اصبح بعد سنة 1912 في المجال الصحافي كما يلي :

1 — **جريدة (السعادة)** التي اصبحت ناطقة باسم الاقامة العامة الاستعمارية بالرباط منذ 1913

---

(3) جريدة العلم (10 / 9 / 1962 ص : 8) .

(4) امجلة المجلات) و (أم البنين) و (الدين القيم) و (السيف القاطع) و (القمر) و (الاسلام) كما صدرت بسلا نشرة (الوداد) التي تحولت فيما بعد الى صحيفة (في تقييد خاص يوجد بخزانة الكاتب) .

(5) جريدة (العلم) (ص : 6 — 26 / 3 / 1966)

(6) انظر جريدة (الشعب) (ع : 1112 — ص : 2 و 3 — 11 يونيه 1971) .

وقد لعبت دورا هاما ودقيقا سنتناوله بتفصيل .

2 ـ **الجرائد الفرنسية والاسبانية** التي أسستها التركات الاستعمارية في المنطقتين الخليفية والسلطانية وفي طنجة ، اما الجهات الصحراوية المغربية فلم تشهد ميلاد اى صحيفة باستثناء [illegible] ايفني .

وهذا الوضع لا يعني جهة بعينها ، ولكنه يشمل المغرب الذي كان موزعا بين فرنسا واسبانيا والمنطقة الدولية في حدوده الحقة .

اما العودة الى الصحافة الوطنية فقد بدات مع ظهور الجيل الذي أصبح بحكم تاثير البقيه الباقيه من الرعيل الاول للحركة الاصلاحية الوطنية .. هذا الجيل اليه يرجع الفضل في الثورة الفكرية التي خلقت الهجرة والمغادرة بالروح الوطنية المجردة التي كانت تهدف الى البعث امة قوية ، تربط حلقات المستقبل بامجاد الماضي ، وتبني آفاق المغرب على اسس قوية تستهدف في نفس الوقت بناء المغرب الجديد .

والحقيقة ان المغرب لم يشهد اي نشاط صحافي جدير بالتنويه والاهمية من سنة 1912 م سوى صحيفتي (الترقي) و (اظهار الحق) الطنجاويتين في طبعة جديدة سنة 1913 وجريدة (النظام) التي اصدرها مصري سنة 1924 بطنجة ايضا ، وصحيفة (الاخبار المغربية) (7) التي كان يصرف عليها بالدار البيضاء سنة 1921 اسيد بدر الدين البدراوي وجريدة (اخبار المغرب) (8) بالدارجة سنة 1915 .

كما صدرت جريدة (الجنوب المغربي) بمراكش سنة 1927 ، ونشرة عربية بفاس تحمل اسم : (اخبار تلغرافية) وكانت تهتم ببعض الاخبار الداخلية والخارجية (9) واخبار الحرب العالمية الاولى ، وجلسات المجلس البدي بفاس مما يؤكد ان هذه النشرة ربما كانت صادرة عن هذا المجلس ؛ واكد لي ذلك غير واحد ، في حين كانت تظهر بين الفينة والاخرى مجلة كانت تصدر كل ثلاثة اشهر تحمل اسم (الاتحاد الفلاحي) والتي كانت تصدر في بلدان المغرب العربي باسم (**الاتحاد الفلاحي بشمال افريقيا**) (10) وقد صدر اول عدد عن هذه المجلة بتونس سنة 1929 .

— × —

اما في المنطقة الشمالية فقد كانت تصدر بعض الصحف المماثلة .. فصدرت باسم المنطلسات الاسبانية جريدة (الحق) سنة 1911 باللغة العربية، وصدرت بعدها في سنة 1913 جريدة (الترقي) ثم صدرت بعد ذلك صحيفة (الاصلاح) وهي شبه رسمية سنة 1916 وكان مقرها بتطوان وتحمل شعار : (جريدة سياسية اخبارية علمية ادبية تجارية اسبوعية) وكانت هذه الصحيفة لا تختلف عن جريدة (السعادة) من حيث الهدف ، كذلك كانت تصدر مجلة (الاتحاد) سنة 1927 وكانت هذه المجلة تهتم بمختلف اقاليم المنطقة الخليفية (11) .

— × —

والحقيقة ان الصحافة الوطنية التي ظهرت في هذا الظرف لم تكن تستهدف « **الدعوة الى الاصلاح القضائي والمالي والعسكري،والدستوري والتعليم،،** » فحسب (12) ولكن كانت ترتكز في الحقيقة على استمرار الثورة المغربية بعد حروب التهدئة حيث « **انتشر الصحفيون المراكشيون في فرنسا ينشرون في صحفها فضائح الاستعمار** » وقد اصدروا صحيفة فرنسية في باريس باسم (**المغرب**) (13) وصدرت

---

(7) اصدرها الفرنسي الاشتراكي كاريط بوفي
(8) خاصة بالجنود
(9) شبه نشرة دورية .
(10) مجلة تربية الغنم والاتجار في انتاجها .
(11) جريدة (الاصلاح التطوانية) (ع : 269 / 9 ـ 6 ـ 1928) . (والعدد : 460 / 8 ـ 7 ـ 1932)
(12) كتاب (الصحافة السياسية) لانور الجندي (ص : 27) نفس المصدر (ص : 28) .

في باريس جريدة (**عمل الشعب**) (14) بالفرنسية وظهرت في الشمال مجلة (**السلام**) (15) وجريدة (**الحياة**) (16) وبصدور هذه القائمة بدأ تغير الوضع الصحافي في المغرب فكانت سنة 1930 بداية الدخول في معركة سافرة مع السلطات الاستعمارية وجها لوجه كما صدرت (**مجلة المغرب**) (17) التي انشاها السيد صالح ميسة الموظف الجزائري باحدى الادارات بالرباط ، وانطلق المسؤولون من جريدة (**السعادة**) لاغراء الادباء والشباب الذي أصبحوا يشعرون بمسؤولياتهم للكتابة بهذه الصحيفة وبملحقها (الثبوغ (18) .

ويجب ان نسجل هنا بكل فخر لمنطقة الشمال نشاطها الصحفي حيث نشأت مباشرة بصدور جريدة (الحياة) عدة صحف ومجلات : (الوحدة المغربية ، و (الحرية) و (الريف) ومحاولات اخرى في مجال المجلة مما تعتز به مدرستنا الصحافية حتى الان .

زين العابدين الكتاني

الشاعر السيد محمد اليمني الناصري هل كان أول مغربي حاول اصدار صحيفة بعد 1912 ؟

(13) أول عدد صدر في جويلية 1932 .
(14) سنة 1932 .
(15) أول عدد اكتوبر 1933 .
(16) أول عدد 31 مارس 1935 .
(17) أول عدد صدر في جويلية 1932 .
(18) أول عدد صدر في يوليوز 1939 .

نقد التحليل الماركسي للفلسفة الإسلامية

للأستاذ محمد المرزوقي الناصر

في هذه السنوات الاخيرة نشطت دراسات تحليلية للفلسفة الاسلامية وخاصة الفلسفة المشائية المتأثرة بالتراث اليوناني ، على أساس من المنهج المادي الجدلي ، لتعرية ورد كل الدراسات السالفة ، من حيث انها لم تف بالمطلوب في البحث كاملا ، فقد تركت تلك الدراسات السالفة جانبا مهما واساسيا ، حسب ما يقول التحليل الماركسي ، ألا وهو الاساس الاجتماعي والاقتصادي الذي أثر وطبع الفلسفة الاسلامية بطابعه ، بل والذي كان العامل الاساسي في وجودها ونشوئها وتطورها .

ورغم ان التحليل الماركسي يتناول افكار العصر بالتحليل، تبعا لذلك، ويتناول افكار الفلاسفة انفسهم بالتحليل ، ويبحث عن المؤثرات الداخلية والخارجية، فان المهمة الاساسية تبقى بجانب الاستئناس بكل ما سبق ، هي الوقوف على المؤثرات المادية الاقتصادية الاجتماعية في كل أفكار العصر وأفكار الفلاسفة . وبالتالي توضيح السمات الاساسية لذلك في التحليلات المقدمة مما يجعل افكار العصر وأفكار الفلاسفة ثانوية في التحليل أمام الهدف الاكبر والاشمل . الهدف الذي يكشف لعلاقات الوطيدة، كما يقولون بين الوجود والفكر ، وأسبقية الاول على الثاني ، كما يكشف العلاقات الوطيدة بين الماضي والحاضر .

والتحليل الماركسي يقوم بهذا المجهود الضخم لغاية ايديولوجية اخرى وهي محاولة اثبات جذور الاتجاه المادي او النزعة المادية في تاريخ الفكر الاسلامي ، حتى تكون هناك جذور وأصالة في الاتجاه الماركسي السائد حاليا في العالم العربي . فهم لا يودون أن يوصموا بأصحاب الاتجاه الدخيل. فكلمة الدخيل او المستورد حاليا هي التي جعلت اخوان الصفا يتقوقعون في نظام سري ، وهي التي جعلت الفلاسفة المشائين يندفعون الى التوفيق بين الشريعة والفلسفة وهي التي تجعل الماركسيين اليوم يبحثون عن جذور وأصول مادية في التاريخ الاسلامي .

فما هي منطلقات هذا التحليل ومساراته وسمات منهجيته ؟

منطلقات التحليل الماركسي

للتحليل الماركسي منطلقات متعددة ، منها ما هو موضوعي ومنها ما هو منهجي ، وبينهما خلط عجيب ويصعب حتى الفصل بينهما ، فهذه المنطلقات هي المحور الدائم في توجيه الموضوعات وتسلسلها وحتى في تركيبها المنهجي البحت ، ولكن في اطار مغلف بالموضوع الاصلي الاكبر المطلوب تحليله فعلا .

1 ـ المادة والمادية كحقيقة ثابتة

الماركسة يؤمنون بالمادة ، والمادة فحسب ، ولذا يجعلونها غايتهم الاصلية في البحث، حيث لا ينطلقون

الا من هذا التصور المادي ، فطيب تيزيني جعل فلاسفة الاسلام مراحل في التطور المادي الهرطقي وتصدى لهم ضد التحريفين الغيبيين اللا عقلانيين اللاتاريخيين . وقد اجهد نفسه في كل كتاباته ان يرد كل فلاسفة الاسلام الى هذا المنطلق(1).

ومحمد عمارة جعل كتابه ينطلق من المادة والفكر والعلاقة بينهما ، فهما اشكالات الفلسفة والتفكير الفلسفي في رأيه ، فرد بذلك كل ما كتب ابن رشد يدور حول هذا المحور المادي واسبقيته على الفكر(2).

ومحمد الجابري ، يذهب منحى اكثر تفليما ، فلا يبحث عن المادية والمادة في كتابات الفيلسوف، وانما يرد كل تفكيره وكل الاشكالات الى الروح الحضارية التاريخية الاجتماعية بكل ابعادها . وبذلك كله اصبح فلاسفة الاسلام اشباحا لفترة ، ومجرد ممثلين لها.. فما أتوا به لا يعود الى قوة مداركهم وقوة تعقلهم وتفكيرهم (3) .

وهكذا فنحن امام ثلاثة انواع من الدراسات والتحليلات الماركسية.دراسة ترد كل شيء الى المادة وتبحث عن عناصر هذه المادية وتعبيراتها ومنظوماتها. ودراسة تحاول ان تربط بين الفكر الماركسي والفكر العربي مباشرة لتبيين تشابه القضايا وتشابه التحليل وتشابه النظرة المادية . ودراسة تحاول ان ترد كل شيء الى الواقع الاجتماعي الحضاري بكل ابعاده . ولكنها جميعها تنطلق من استيعاب الفكر الاسلامي وصبغة بالفكر الشيوعي ، او بمعنى كما يقولون : يقرأون التراث قراءة جديدة .

فالكندي عند طيب تيزيني ، كان الممهد غير المباشر للفكر المادي الهرطقي اللاحق الذي طرح مشكلة الوجود من خلال وحدة مادية متماسكة الى حد بعيد(4) ، فالفرابي تجاوز الثنائية بين الاله والعالم وتجاوز مصادرة الخلق من عدم ، عن طريق نظرية الفيض ، حيث عقد رباطا وثيقا بين المادة (العالم المادي) والموجود الاول ليس فقط على اساس علاقة سببية بين كلا الطرفين وانما ايضا على اساس علاقة وجودية(5). ولا يبرز فقط هذا الميل المادي الفلسفي لدى الفرابي في اطار مشكلات الوجود الاساسية الكلية ، بل ايضا في اطار الفهم الاجتماعي التاريخي. ففي آرائه حول نشوء وتطور المجتمع ملامسات عميقة للفكر المادي الاجتماعي والفرابي افسح للفكر المادي الهرطقي طريقا عريضا ايضا من خلال اخذه بفكرة الفيض ضمن زاوية تاريخية جدلية (5) .

وابن سينا في تحديده للملامح الجوهرية للمادة والصورة ، اكد على استقلالية العالم المادي الذاتية من حيث هو عالم موجود ماديا وموضوعيا ، واستطاع الاحاطة بالعالم المادي الموضوعي احاطة فلسفية مادية لقد طرح مسالة الوجود العيني والمنعكس وبذلك توصل الى النقطة المركزية في نظرية المعرفة المادية(6)

اما ابن رشد فقد اصبح فيما بعد قمة الفكر المادي العقلاني ، فقد قدم في اطار نظرية المعرفة متأثرا بآراء رسطو في المعرفة حلا ماديا للعلاقة الفلسفية الاساسية بين الفكر والواقع المادي بين الوجود الفكري (أي الوعي) والوجود المادي (7) وقد كان هذا الطرح الجديد للقضية المادية ، شكلا متطورا من اشكال الفكر المادي الهرطقي المعادي للايديولوجية الغيبية التبريرية(8) .

وان استخدام ابن رشد لغة تعبير دينية في عرضه للمسالة تلك ودفاعه عنها لا يمكن تفسيره ، حسب ما رأينا ، فقط انطلاقا من الواقع الاجتماعي والفكري الذي عاش ضمنه ابن رشد والذي تميز كما سبق وقلنا بالارهاب الفكري الذي مارسه المتعصبون من

---

1) مشروع رؤية جديدة الى الفكر العربي الوسيط طيب تيزيني .
2) المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، محمد عمارة
3) اقلام ـ العدد 1 (السنة 1976) مقال مشروع قراءة جديدة للفرابي محمد عابد الجابري .
4) مشروع رؤية جديدة الى الفكر العربي الوسيط. طيب تيزيني ص 331
5) مشروع رؤية جديدة ص 292 ـ ص 295 ـ ص 300 .
6) مشروع رؤية جديدة ص 317
7) مشروع رؤية جديدة ص 361
8) مشروع رؤية جديدة ص 371

رجال الدين (ومن خلفهم الجماهير الواقعة بين انيابهم ضد الفكر العقلاني المادي اينما وجد ، ومن اي مصدر كـــان) (9) .

وهكذا انتقل تيزيني من فيلسوف الى فيلسوف متبنا ماديته وهرطقته، بل ورادا حتى التعابير الدينية الى الظروف الاجتماعية والارهاب الفكري الذي مارسه المتعصبون من رجال الدين ، وكأن ابن رشد لم يكن من رجال الدين .

تساؤل ضروري

فهل حقا ان هؤلاء الفلاسفة كانوا ماديين هرطقيين؟ وهل ما كانوا يطرحونه من مفهوم المادة والعالم المادي هو نفس المفهوم الذي يجرنا اليه الكاتب جرا بالباس المفاهيم المادية القديمة جلابيب المفاهيم المادية المعاصرة؟

اننا نعلم كما يعلمون ان كل المفاهيم المادية فـي كتب هؤلاء الفلاسفة مستقاة من مصدرين : الفلسفة الاسلامية والقرآن خاصة، والفلسفة اليونانية وأرسطو خاصه .

والكل يعلم ان الفكر اليوناني ينزع الى التفكير الميتافيزيقي وان الفكر الاسلامي ينزع الى التفكير الواقعي ويدعو اليه وحده .

ومن خلال هاتين الحقيقتين نطرح اشكالا آخر، هو أن الفلسفة الماركسية بارتباطها بالواقع تتناقض مع الفكر اليوناني في كل معطياته المثالية، رغم محاولاتها لقراءته قراءة جديدة لتصنيف المادي فيه والمثالي . وموقفها من أرسطو المتأرجح بين المادية والمثاليـة ، والذي حجر الفكر الانساني بمنطقه وعطله كل الفترة الوسيطة كما هو معروف عند كل مفكر ، وعلى هذا الاسـاس فعندما يعتبرون ارسو فيلسوفا طبيعيا ماديا، والقائلين بنظرياته من المشائين المسلمين ماديين متناقضين للمذهب الغيبي الديني النصي ، يكونـون يغالطون مغالطتين :

1 ــ المغالطة الاولـى ان التناقض بيـن الاتجـاه الاسلامي والاتجاه اليوناني حتمي وضروري لاختلافات شتى ، فالجانب الـذي يرفـض التـراث الفلسفـي اليوناني كان اقوى تقدمية من الناحية العلمية، فاوربا مثلا التي رفضت أرسطو والفلسفة اليونانية برمتهـا لتتجه اتجاها تجريبيا علميا كانت متاثرة بالمسلمين والاتجاه الاسلامي التجريبي .

فكيف يعقل ان التيار الاسلامي (المهاجم من طرف الماركسيين اليوم المؤيدين للفلسفة المشائية الاسلامية باعتبارها قفزة عقليه ماديه هرطقية تقدمية) يكون رجعيا محافظا غيبيا لمجرد انه رفض التفكير المادي الهرطقي للفلسفة اليونانيـة ؟ اليـس هـذا الرفض هو عين التقدمية العلميـة ؟ أوليس الاتجـاه المادي في الاسلام فطري وطبيعي هـو الآخر وليـس دخيلا عليه . وبالتالي القول بمفاهيم مادية ليس هو القول بقضايا فلسفية ومفاهيم خاصة. فالمادية كتعامل مع الواقع ليس هناك من يتكرها وليـس هناك مـن عاش في عالم المعقولات وتعامل فقط مـع المعقـولات دون أن يرتبط بالارض ودون ان يتعامل مع الحياة .

2 ــ المغالطة الثانية : ايهام الجميع بأن ارسطـو ماديا والامر عكس هذا حسب المفهوم الماركسي ذاته انه مجرد فيلسوف متأرجح بين الواقعية والمثاليـة ولكنه في اطار تكوينه العقلي وقضاياه التي طرقهـا ليس الا مثاليا وأفلاطونيا في ثوب جديد. فالجديد في أرسطو هو معالجته للقضايا الفلسفية بمنهاج يختلف في تفاصيله عن المناهج السابقة باعتماده على واقعيـة التفكير وعلى المبادىء المنطقية ولكنه مـع ذلك فـي محتواه ظل مهوبا ثابتا لا ينظر الى العالـم الطبيعـي الا من خلال الماهيات .

وبالتالي فنحن نستغرب كيف ينشبث الماركسيون في تحليلاتهم بكلمة المادة والهيولى اليونانية بصفتها ازلية او ابدية ووجودها في الفكر الاسلامي كذلك ؟! كيف يفعلون هذا وهم متأكدون وبـدون شـك ، ان هذه المادة لا متعينة وبالتالـي فهي مـادة موجـودة بالقوة فحسب ، وليست موجودة وجودا فعليـا لان هذا يحتاج الى الصورة مما يجعلها مجرد هيولى، هيولى لا تكون موجودة الا وجود عقلانيا فقط ، وبعيدة كل البعد عن الوجود الواقعي المادي الخارجي للاشياء(10) او كما يقول ابن رشد نفسه : اذا وجدت موجودات

---

9) مشروع رؤية قراءة جديدة ص 373

10) مقال الكندي للدكتورة فوقية حسين محمود،مجلة «المناهل» العدد 7 ــ نوفمبر 76 ص 205 ــ 206

ليست في مادة وجب ان يكون جوهرها علما وعقلا(11) .

كيف يفعل الماركسيون هذا وهم يعلمون قبل غيرهم ان المفاهيم المادية عبر التطور التاريخي تختلف اختلافا جذريا عن بعضها البعض ، اذ كانت في مرحلتها الاولى ساذجة ثم اصبحت ميكانيكية ، ثم اخيرا جدلية ، وهذه الاخيرة في نظرهم هي العلمية وحدها وما عداها خيالية طوبوية مثالية.. الخ..

فكيف تجاوز الماركسة كل هذا ؟! هل اصبحوا عقلانيين مثاليين لم ابها ازمة تفكير وتمرير للامور دون تمحيص لمجرد معارضة التفكير الديني الغيبي لنصي الايماني كما يسمونه ؟!

2 ـ عقدة فصل الدين عن الحياة

ان جميع فلاسفة الاسلام لم يطرحوا قط مادية العلم منفصلة عن الالوهية ، ولم يطرحوا قط الحياة منفصلة عن الدين، ولم يطرحوا قط التصورات الدينية والمفاهيم الدينية من تفكيرهم الفلسفي، بل جعلوها المحور فلم تناقش الا القضايا الاساس وبمنظور اسلامي في الاساس.. الا ان الماركسيين يعانون عقدة فصل الدين عن الحياة ، فهذا من المهمات الاساسية عندهم! فهم كما حاولوا اثبات الصبغة المادية على كل تفكير، عمدوا الى فصل كل تفكير ديني عن الفلاسفة وعن الحياة ، اما اللغة الدينية عند الفلاسفة فجعلوها ليست الا نتاج الظروف الاجتماعية ونتاج القمع والارهاب الفكري ـ كما سبق ـ

هذه الحساسية تجاه الدين تتضح عند الماركسيين لتصبح منطلقا فكريا اساسيا ينطلقون منه ويعتمدونه في تحليلاتهم ويتطاولون به على العقلية الاسلامية ككل وعلى العقيده الاسلامية خاصة .. فهذا الكاتب الماركسي محمد عمارة يرى ان اللقاء بين الاسلام والماركسية قد تم في نقط كثيرة ، تم في البعد الانساني والبرنامج النضالي ، والروابط الملية والنظرة ، ولم يبق الا البعد الميتافيزيقي للدين والجانب الفلسفي الخالص من الفكر المادي وهو المتعلق بتصور الكون والوجود وبالذات المادة والفكر وعلاقة كل منهما بالآخر(12).

ان هذه العملية او هذه المحاولة شاهد على محاولة الماركسة عزل الاسلام عن الحياة لفسح المجال للماركسية في العالم الاسلامي ، انهم يفعلون هذا على اساس مترابط بين تقرير المادية ورفض الدين، فهذا تيزيني يرى أن طرح القضية من هذا المنظور الرشدي شكل من أشكال الفكر المادي العرطقي المعادي للايديولوجية الغيبية التبريرية.(13)

ويرى أن المادية تعني في هذا الاطار الرشدي تطور الفكر الانساني من خلال عملية ذات شقين مرتبطين ببعضهما عضويا هما الانفصال عن التصور الغيبي الديني للعالم ، ومن طرف آخر التأكيد على الوجود المادي للعالم(14).

ويرى ان اللغة الدينية عند ابن رشد لا يمكن تفسيرها فقط انطلاقا من الواقع الاجتماعي والفكري الذي عاش ضمنه ابن رشد والذي يتميز كما سبق وقلنا بالارهاب الفكري الذي مارسه المتعصبون من رجال الدين ومن خلفهم الجماهير الواقعة بين أنيابهم ضد الفكر العقلاني المادي أينما وجد ومن اي مصدر كان..(15)

فماذا يقصد تيزيني بالضبط ؟ هل يقصد ان ابن رشد كان عرطقيا كافرا بالله ولا يؤمن بنظريات الاسلام الغيبية ، ولم يستطع أن يعلن ذلك نظرا للارهاب الفكري ؟! أمر خطير على اي ، وادعاء بعيد كل البعد عن الواقع الحق لاسباب نجمل بعضها هنا :

1 ـ ان تيزيني كتب عن ابن رشد وغيره من فلاسفة الاسلام مبرزا ماديتهم ليجعل للتفكير المادي جذورا في التاريخ الاسلامي ، وترسيخا منه للاتجاه الشيوعي في العالم الاسلامي ، وهذا هدف لا يرتبط

---

11) المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، محمد عمارة ص 55.
12) المادية والمثالية في فلسفه ابن رشد . ص 20
13) مشروع رؤية جديدة . ص 371
14) مشروع رؤية جديدة ص 372
15)مشروع رؤية جديدة ص 373

بدراسة الفلسفة وانما يرتبط بالتحريف والتزوير للقضاء على التيار الاسلامي .

2 ـ ان الكاتب أهمل تمام الاهمال ما في الاسلام من اهتمام بالعالم المادي في المقام الاول قبل اعتنائه بالعالم الغيبي ، وما يراه الكاتب ماديا ما هو الا اهتمام اسلامي بالعالم الموضوعي . وهذه ظاهرة خطيرة ورجعية في التفكير ، لانها تعيد منهجية علماء الكلام في التأويل مرة اخرى في ثياب ماركسية، فكل ما يناسب التيار المادي فهو تقدمي مادي وما خالفها فهو رجعي .

3 ـ ان الكاتب يهمل الدراسات القيمة التي توصل اليها كثير من الدارسين ، ففلاسفة الاسلام رغم تقلهم للفلسفة اليونانية في صلب الفكر اليوناني وتأثرهم بها ، فانهم حوروها تحويرا يتنافى والفلسفة اليونانية لما أقاموه من مذاهب خاصة قائمة على مصطلحات يونانية ذات أبعاد اسلامية محضة ، وان كان الشيوعيون يدعون ان هذا التحوير ليس الا اضافة وزيادة للتقليل من شأن دور التأثير الديني.. وقد قدم على سامي النشار في محاضرة له بكلية الآداب بالرباط نظرية التراجع في الفلسفة الاسلامية ، فبينما كيف أن هؤلاء الفلاسفة المشائيين اخذوا عن اليونان أولا ثم تفاعلوا مع المجتمع الاسلامي بما أخذوا ، ثم تراجعوا فقدموا عطاءهم النهائي الناضج وفي ذلك تراجعوا عن الفكر اليوناني الذي انطلقوا منه.

7 ـ ان هؤلاء الفلاسفة في اغلبيتهم كانوا مهتمين بالعلوم الاسلامية متضلعين فيها ، فقد كان ابن رشد قاضيا في مدينة قرطبة ومن أعرق الاسر الاندلسية وابعدها شأوا في الفقه والسياسة والقضاء (16)وكان كما قيل : يفزع الى فتياه في الطب كما يفزع الى فتياه في الفقه(16).

5 ـ ولفصل القول فيما يذهب اليه تبزيغي في نسبة المادية الى ابن رشد ، ان هذا الاخير لم يقل بأن العالم قديما الا تحفظا ، فاسم الحدوث اولى من اسم القدم عنده يقول :

فان الذي افاد الحدوث الدائم احق باسم الاحداث او الخلق من الذي أفاد الاحداث المنقطع (أي الاحداث في زمان) وعلى هذه الجملة فالعالم محدث لله سبحانه واسم الحدوث به اولى من اسم القدم وانما سمت الحكماء العالم قديما تحفظا من المحدث الذي هو من شيء وفي زمان وبعد عدم ، وهو الموجود الجزئي الذي يحدث من مادة وفي زمان وبعد ان لم يكن موجودا(17) .

ويذهب ماجد فخري تبعا لهذا في كتابه (ابن رشد) أن الخلاف في مسألة القدم والحدوث يكاد يقتصر على الاختلاف في التسمية ، والغزالي انما عمد الى التهويل في تطرقه لامر ذلك الخلاف، فخيل للناظر في هذه المسألة ان مذهب الفلاسفة ومذهب المتكلمين في القدم على طرفي نقيض وما هو كذلك(18).

6 ـ بل نرى الفرابي كذلك يذهب الى القول بحدوث العالم ، وينفي العالم في كتابه الجمع بين رأيي الحكيمين: ومما يظن بارسطاطاليس انه يرى ان العالم قديم ، وبافلاطون يرى ان العالم محدث ، فاقول ان الذي دعا هؤلاء الى هذا الظن القبيح المستنكر بارسطاطاليس الحكيم هو انه اتى في كتاب (طوبيقا) عند الكلام على القياس بمثال سأل فيه : هذا العالم قديم أم ليس بقديم ؟ وزاد ظنهم هذا قوله في كتاب (السماء والعالم) ان الكل ليس بدءا زمانيا ، فظنوا بعد ذلك انه يقول بقدم العالم ، وليس الامر كذلك ، لان الزمان انما هو تاشيء عن حركة الفلك فكيف يمكن أن يشتمل عليه(19).

بل ويذهب الى ابعد من ذلك ، يذهب الى القول بالابداع عن لا شيء مما يخالف القاعدة اليونانية المشهورة يقول : وهناك اى في كتاب (الربوبية) تبين ان الهيولى ابدعها البارى جل ثناؤه لا عن شيء وانها تجسمت عن البارى سبحانه ، وعن ارادته ، ثم ترتبت(19).

---

16) ابن رشد ـ ماجد فخري ص 9
17) ابن رشد ـ ماجد فخري ص 74
18) ابن رشد ـ ماجد فخري ص 68
19) من افلاطون الى ابن سينا ، جميل صليبا ص 55

وقد حاول الجابري أن يرد على هذا التلفيق والتوفيق بأنه توفيق واع ، وأن الفرابي كان يقرأ الحكيمين قراءة ايديولوجيه مكشوفة الدوافع والغايات، حيث كان هناك صراع اجتماعي حضاري في المجال الفكري وأنه حاول الجمع بين آراء معاصريه في الرؤية الدينية والفلسفية والسياسية والاجتماعية.. فالفرابي كان يعلم ويشعر في قرارة نفسه ان كتاب الربوبية منحول يتناقض ما فيه مع ما ورد في كتب ارسطو الاخرى ومع ذلك كله غالب هذا الشعور وطمسه وأصر على اخفاء هذا التناقض بواسطة منافشة تبريرية .. فالامر اذن لا يتعلق قط بقراءة بريئة لارسطو وافلاطون بل بتأويل ايديولوجي ، تأويل هادف ، يحقق رغبة في نفس المؤول ويستجيب لاشكاليته الفكرية العامة . ويجب أن لا نفهم من هذا أن فيلسوفنا كان يخادع نفسه ويخادع الناس، كلا ، انه كان صادقا بينه وبين نفسه ، وصادقا امام معاصريه ومخالفيه ، اذ كانت حالهم جميعا يمثل حاله لانهم كانوا جميعا يعيشون اشكالية واحدة(20).

من النصين يمكن ان نلاحظ :

1 ـ أن الفرابي كان يعلم الرأي القائل بأن ارسطو كان يقول بقدم العالم ، ولكن رد هذا القول ليثبت القول بحدوث العالم اعتمادا على كتاب الربوبية المنحول . ومعنى هذا ان قراءته الايديولوجية لارسطو كما يقول الجابري كانت في صالح المسلمين الذين قالوا بالابداع عن لا شيء .

2 ـ ان هذا الرد كعملية ايديولوجية كان خاضعا للصراع الحضاري والاشكالية الحضارية لمجتمع او بمعنى ان الفرابي كان يعلم الاختلاف ومع ذلك شوه وزور وخادع .. لانهم جميعا كانوا يعيشون اشكالية واحدة ..

3 ـ لو كان الفرابي ماديا كما ذهب تيزيني ويذهب الجابري حيث يجعله المعبر عن القوى التقدمية لكان التأويل لصالح الماديين، ولكن والتأويل جاء لصالح الحدوث فنحن امام أمرين :

4 ـ الفرابي لم يقل بقدم العالم وهو صادق مع نفسه ولم ينسب هذا لارسطو ونفاه عنه ، ونفي القول المعارض استنادا الى نصوص منسوبة لارسطو على انها له :

2 ـ ان الفرابي قال ما قال وهو يعلم انه يخادع نظرا لقراءته الايديولوجية ، اتهام خطير ، واستسماح مبالغ فيه ، ولكنه اقل بكثير مما نسب الى الجميع اذ كانت حالهم جميعا بمثل حاله ، لانهم يعيشون اشكالية واحدة». فعلا ان هذه الجملة تبرير لمعرفة الفرابي بالخلط والتشويه ولكنه تبرير يحمل الجميع الخداع والتشويه ..

واذا تساءلنا لما ينجشم الكاتب هذا القدم في الفكر الاسلامي والامة الاسلامية ؟ ! لكان الجواب انها نبعية المنهجية في التحليل الماركسي الذي فترض القوى الحديدة التي تطمح الى تحقيق الوحدة . فقد كان هناك تياران سائدان في هذا المجال هما تيار النقل وتيار العقل ، التيار الاول تلتف حوله القوى القديمة الاقطاعية وشبه الاقطاعية وغيرهما من القوى المتخلفة ماديا وفكريا في البادية والحضرة ، واما التيار الثاني فلقد كان يعبر من خلال المعتزلة اولا ثم من خلال الفلاسفة ثانيا ، عن القوى الجديدة، تلك قوى التقدم والاندفاع ، وبما أنه لم يكن من الممكن قط رفض الدين بكيفية جذرية نظرا لتوازن القوى بين التيارين ، فان الحل الوحيد الذي تقبله الظروف والمعطيات الخاصة بالمجتمع الاسلامي آنذاك هو تأويله ـ اي الدين ـ بالشكل الذي يخدم التقدم ويحقق سيطرة العقل»(21).

ولا شك أنك تستغرب معنى استعمال كلمة (تأويله ـ اي الدين) لانك كما سبق علمت أن الفرابي اول رأيي الحكيمين وردهما الى الاصل الديني اي اول الفلسفة اليونانية تأويلا دينيا عن طريق نظرية الفيض

وبالتالي تستغرب كيف يجعل كل تيار النقل تيار الاقطاعية والقوة المتخلفة ولا يستعمل العقل ؟! أسسنا في صميم عقدة فصل الدين عن الحياة ، التقدم والعقل ؟! وان لم يكن الامر هكذا فما معنى ان نجد مثل هذه التقريرات :

---

20) اقلام (المغربية) العدد الاول 1976 ـ ص 19 مقال مشروع قراءة جديدة
21) اقلام ، مقال مشروع قراءة جديدة ، ص 41

« انه جسد (الكندي) ذلك الميل المبكر لطرحه لمشكلات الوجود بشكل يختلف بل متناقض مع الطرح النصي الايماني؟!(22) .

او مثل : كان (ما فعله الكندي) ولا شك خطوة على طريق اضعاف الاتجاه النصي اللاعقلاني آنذاك(23)

او مثل : وظل الكندي يتحرك على ارضية غيبية بالرغم من محاولته اكتساب العلمية اطارا معلنا ورياضيا » (23) .

ما معنى هذه المصطلحات ، النصي الايماني ، والنصي اللاعقلاني والارضية الغيبية ان لم تكن عقدة فصل الدين عن الحياة ولو باصطناع هذه المصطلحات التي توهم القارىء هذا الفصل ، ففي اي وقت كانت العقيدة الاسلامية لا تقوم على النظر العقلي ؟! ان استغباء القارىء سيستمر دائما في هذا التحليل الماركسي من خلال الهجوم على النصيين اللاعقلانيين ، وكأن النص لا يقدم قضية عقلانية.. ان هذه الهجمات لا يستفيد منها بتاتا هؤلاء الفلاسفة ، انها هجمات المقصود فيها القارىء نفسه ، ليستقر في نفسه ان هناك ارضية دينية غيبية وارضية علمانية عقلانية.. تكريسا للعقدة الاساسية : فصل الدين عن الدولة ، وفصل الدين عن العلم ، وفصل الدين عن الحياة . تلك العقدة العاملة على تجريد الدين من كل امكاناته الواقعية الحياتية حتى يصبح مجرد تصور اعتقادي لا يتعلق الا بالغيبيات .

3 ـ الانحياز الايديولوجي في التحليل :

ان التحليل الماركسي يحاول كما رأينا الصاق المادية بفلاسفة الاسلام وبالتالي يجعلهم معاندين ومتصلبين ضد الاتجاه الاسلامي .. وما دام رفض الدين والمادية متلازمين على الصعيد الفكري فهما متساوقان كذلك على الصعيد المنهجي ، ولا علية ولا سببية لهذا التساوق غير المنطق الثالث في التحليل الماركسي ، اي اخضاع منهجية البحث والموضوع معا لقالب ايديولوجي منسق ومسبق ، وهذا ما يمكن تسميته بالتحيز الايديولوجي في التحليل .

لتوضيح الامر علينا ان نعود الى منهجية التحليل الماركسي نفسه لنتبين أهم سماتها فيها عمليا. وفي هذا لا نعود الى المنظومة الماركسية في اصلها بل نعود الى المنطلقات والمرتكزات المستعملة في التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية ، التي يمكن اجمالها فيما يلي :

1 ـ منهجية الرد والارجاع

تنطلق المنهجية الماركسية من ان النظرة الكلية مرتبطة بالواقع الاجتماعي العام ، يقول الجابري : ان هذه النظرة الكلية التي تتناول كل جانب من جوانب تراثنا في اطار الكل الذي ينتمي اليه والتي تربط هذا الجزء ـ في اطار الكل ـ بالواقع الاجتماعي العام الذي يؤسسه ، هي وحدها الكفيلة بامدادنا بصورة عن تراثنا تحتفظ له بخصوصيته وأصالته وبمكانته في الصيرورة الانسانية العامة»(24) .

ثم فالعملية الاساسية في المنهجية الماركسية هي ربط الجزء في اطار الكل ، اي ربطه بالواقع الاجتماعي العام ، وهذا الربط في حقيقته ليس الا قلبا وعكسا للقضايا من اطارها الفكري الى اطارها الواقعي الاجتماعي ، يقول الجابري متحدثا عن رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي : ان هذا الرئيس الفيلسوف الذي سيكون قمة الدولة ـ ستكون مهمته انشاء اراء وتشريعات تتكلف النخبة المثقفة الموزعة حسب نظام هرمي بتطبيقها على جميع المجالات ، وعلى كل المستويات ، ان هذا البناء الهرمي الاجتماعي يبدو وكأنه مستوحى من البناء الهرمي الكوني الذي اسسته نظرية الفيض ، ولكن الحقيقة هي العكس : فمشروع التنظيم الاجتماعي في المدينة الفاضلة هو الذي اوحى بالنظام الهرمي على الصعيد الميتافيزيقي وتلك ظاهرة من ظواهر القلب الايديولوجي المعروفة»(25) .

وقد يقول ماركسي ان هذا العكس وهذا القلب الايديولوجي يقوم به الفكر الميتافيزيقي حيث لا يرد الامور الى اوضاعها الاجتماعية ، وهذا بطبيعة الحال

---

22) مشروع رؤية جديدة لتيزيني ص 282
23)مشروع رؤية جديدة لتيزيني ص 269
24) مشروع قراءة جديدة ـ مجلة اقلام ـ العدد 1 ـ مارس 1976 ص : 12
25) مشروع قراءة جديدة ـ مجلة اقلام ـ العدد 1 ـ مارس 1976 ص 14

لا يهمنا ، ان الذي يهم ان هناك عكسا وقلبا يعكس ويقلب من جديد ليرد ويرجع الامر الى نصابه وحقيقته .

اما الامثلة على هذا الرد والاجتماع فلا تعد ولا تحصى في التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية نقف منها على رد مسالة التوفيق بين الدين والفلسفة الى الصراع بين تيارين ، تيار النقل النصي اللاعقلاني ، وتيار العقل التقدمي ، هذا الصراع الذي يرجع بدوره الى الصراع الاجتماعي الحضاري بين الفئة الاقطاعية والفئة الارستقراطية التجارية. يقول الجابري في ذلك: من هنا تلك المحاولات التوفيقية بين الدين والفلسفة المحاولات التي كانت تستهدف البحث عن الجسر الذي يصل القوى القديمة بالقوى الجديدة تلك ، حتى يتأتى تلافي الاخطار التي تهدد كلا منهما(26) .

ونقف كذلك على الارجاعية التي تنسحب على الدراسات الاسلامية الحديثة حيث ترد الى الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية السياسية. يقول تيزيني: الاتجاه السلفي الحديث يعبر عن العلاقات الاقطاعية القديمة المتخلفة والمتبلدة اما الاتجاه التجديدي فهو تعبير أعلنته العلاقات الاجتماعية الرأسمالية الجديدة ضد العلاقات الاقطاعية ، غير ان هذا النضال قد تم ضمن تواطؤ تاريخي ، بين الطبقتين الاقطاعية المضمحلة والبورجوازية العاجزة(27) .

اننا نرى هنا الاحكام عامة وصارمة ولكن اذا تساءلنا ولما يخرج تيزيني من هذا التواطؤ التاريخي المادي التاريخيين ؟! فهل هم يعيشون خارج هذا الاطار الاقطاعي البورجوازي ؟! وان كانوا خارجين عنه فما هو اطارهم الاجتماعي الاقتصادي التاريخي ؟! لا شك ان تيزيني سيجيب أن المسالة هنا هي مسالة وعي بهذا التواطؤ ورفض له ، وبهذا يقع تيزيني في موقف ايديولوجي عقائدي (ديني) محض لا يستند على أساس اجتماعي اقتصادي خاص به ، وانما يستند الى تفسير خاص لوضع اجتماعي خاص ، له تفسيراته الخاصة ، او بمعنى آخر أن الوضع الاجتماعي واحد، ولكن تفسيره يختلف ويتعدد ، وعنا تطرح اشكالية اخرى اذا كان التفسير المادي التاريخي مجرد تفسير من بين التفسيرات الممكنة ، فما هو الدليل الذي يقوم عليه ، والذي يقدمونه على صواب العملية الارجاعية الردية في هذه المنهجية ؟!

منهجية التمرير :

هنا تبرز خاصية وسمة اخرى في المنهجية الماركسية ، فالتحليل الماركسي لا يقدم اية حجة ولا أي تبرير غير عملية الرد والارجاع ذاتها كمسلمة علمية ، وما هي كذلك، يقول الجابري: اننا لا نحتاج هنا لمناقشة مثل هذه الافتراضات خصوصا ونحن نحاول قراءة الفرابي على ضوء معطيات عصره ومشاكل مجتمعه ، فلنقرر اذن منذ البداية ان الفرابي كان في تحليله للمدن المضادة للمدينة الفاضلة ينتقد المجتمع الذي كان يعيش فيه(28).

فالمسالة كما نرى تقرير منذ البداية تقرير تنطلق منه التمريرات لمشكلات ضخمة على أساس القراءة الجديدة ، في ضوء معطيات العصر ومشاكل المجتمع، أي ارجاع ورد كل المعطيات اليها، والنماذج والقضايا التمريرية لا تحصى هي الاخرى ، ومن القضايا التمريرية عند محمد عمارة(29) : (ان الشقة التي تتسع بسرعة) كما يقول بين المادية والمثالية، يطويها طيا مع الفكر الديني ، (وهو معدود ضمن انواع الفكر المثالي) ليطرح سؤالا : (هل من الممكن ان يكون ماديا وفي الوقت ذاته مؤمنا) ثم يجيب بان (الاجابة جاءت بالايجاب) . وهذه ، هي نفس اللعبة او الخدعة التي اشار اليها الجابري واتهم بها الفرابي ليعطي فيما بعد لنفسه الحق في ممارستها(30). فالفرابي كان على علم ووعي بالفوارق العميقة بين افلاطون وارسطو ومع ذلك وفق ، هو في ذلك لا يخدع نفسه ولا يخدع

26) مشروع قراءة جديدة ـ اقلام ـ 1 ـ ص 42
27) مشروع قراءة جديدة ، تيزيني ص 128
28) مشروع قراءة جديدة ـ اقلام ص 44
29 ـ 31) المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ص وص 22
30) طرح القضية في العدد الاول من اقلام في مقال مشروع قراءة جديدة للفرابي ص 19 ثم تبناها في العدد الثالث من اقلام في مقال التاريخ والفلسفة ص 28. مفادها ان المادية التاريخية سنة الله في الكون.

فراءه بحجة أن العصر والظروف تتطلب هذا التركيب وهذا التوفيق .

ومن القضايا الشهيرة كذلك ، أن عمارة وجد تناقضات وتعارضا في أفكار الفيلسوف ابن رشد ـ كما يقول ـ فتقبلها على علاتها ، ولم يحاول ردها الى الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية ، بل ردها الى ان للشرع ظاهرا وتأويلا ، فالظاهر للعامة والتأويل للعلماء فابن رشد مرة يكتب للعامة ومرة يكتب للعلماء ، ومن هناك كان التناقض والتعارض.(31) ومنها انه : ينفي ان يكون العالم قد خلق في زمان أي أن يكون قد تقدم خلقه زمان كما ينفي ان يكون قد خلق من مادة. وهذه نظريته للخاصة ، ونظريةيقول فيها أن العالم وقع خلقه اياه في زمان وأنه خلق من شيء وأن هذه للجمهور(31).

فما ذهب اليه عمارة يخالف ويناقض ما ذهب اليه تيزيني من ان ابن رشد قال بقدم العالم وبالخلق من شيء للخاصة ، فهذا ماخوذ عن الفلسفة اليونانية التي يرفضها عامة المسلمين النصيين ، وهذه مشكلة في حاجة الى تحقيق دقيق، ولكن عمارة له غرض في عدم التحقيق في الامر وتمويهه حتى يصل الى الاستغناء عن جميع مؤلفات ابن رشد لانها للجمهور والاكتفاء بكتاب تهافت التهافت يقول : فهذا الكتاب هو بغيتنا اذا شئنا التعرف على الموقف الفلسفي لابن رشد من قضايا العلوم الالهية(32) ويصل بنا الى غايته النهائية ، نفس التوفيق ـ اللعبة ـ الخدعة الواعية لان الظروف تتطلبها كما قال الجابري عن الفرابي . فالماركسية في ازمة ، وفي حاجة الى توفيق مع الاتجاه الديني . ولست ادري بالتالي لما لم يدخل تيزيني هذه اللعبة ـ الخدعة الواعية ضمن الواطئ التاريخي ؟! يقول عمارة مبررا ذلك ، حتى يكون حديثنا عن ابداع ابن رشد لتصور فلسفي للكون والله والعلاقة بينهما يمكن ان يحل محل اتفاق بين الفلاسفة الماديين والمفكرين المسلمين(33) وهذا يذكرنا بتمرير اخر قال به تيزيني من قبل وناقشناه فيه، وهو قول ابن رشد بازلية العالم وأبديته ، اي قوله بالمادية ، ولم يتوقف عمارة ـ وكذا تيزيني ـ مليا عند النصوص التي اوردها بنفسه في كتابه ليتبين عمق المشكل ، يقول : ان معنى التكون هو انقلاب الشيء وتغييره مما هو بالقوة الى الفعل ، ولذلك فليس يمكن ان يكون عدم الشيء هو الذي يتحول وجودا ولا هو الشيء الذي يوصف بالكون ، أعني الذي نقول فيه: انه يتكون فيبقى الايكون هاهنا شيء حاصل للصورة(34) .

وواضح هنا أن ابن رشد يلح على الوجود بالقوة الذي ليس بعدم وليس بكون ، وانما هو حالة ثالثة كما يقول عماره نفسه :

ودرجة اخرى غير حالتي العدم والوجود بالفعل وهي حالة الامكان اي الوجود بالقوة(35).

وبهذا يبقى ما قاله ابن رشد نفسه «الا يكون هاهنا شيء حاصل للصورة» بمعنى ان الازلية والابدية ليستا بشيء حاصل للصورة ، أي ليستا بمادة محسوسة لها صورة . انها امكان فقط وجود بالقوة فقط ، وهذا معقول ومقبول ومتطابق مع ما ذهب اليه من أن الخلق مستمر بنفس القانون والطريقة، وبالتالي فهذا يتمشى مع النصوص التي سبق ان اشرنا اليها سابقا كعدم ذكر الحدوث للمنحفظ فقط وهو اولى من لفظ القدم، أو كما قال عمارة نفسه في نص آخر ان الوجود عند ابن رشد : وجود بالقوة تكون فيه الذات في حالة الامكان وهذا هو العدم ووجود بالفعل يحدث للوجود بالقوة بواسطة الفاعل وهذا هو معنى الايجاد والفعل والخلق والاحداث اذ «الممكن هو المعدوم الذي يتهيأ أن يوجد وألا يوجد»(36)

اذن فتمرير المفهوم المادي في صلب الفكر الاسلامي امر صعب للغاية ، وشائك ، يفضح نفسه بنفسه ، ولكن لما كل هذا العناء ؟ ان الماركسيين في تحليلاتهم هذه يريدون ايهام الجمهور العام والقارىء خاصة ، ان المذهب المادي الذي ينادون به له جذور

---

32) المادية او المثالية ، ص 28
33) المادية او المثالية ص 47
34) المادية او المثالية ص 66
35) المادية او المثالية ص 65 ـ 66
36) المادية او المثالية ص 69

في التاريخ الاسلامي والمجتمع الاسلامي ، وأنه ليس غريبا عن البيئة الاسلامية ، وهذه دعوى فيها من الخداع والكذب على النفس ، وعلى الناس ، الشيء الكثير ، وهي بالتالي تبرير فارغ من مضمونه ، لان المسلمين لم ينكروا يوما وجود اختيارات الملحدة في العالم الاسلامي، كما انهم لا يتكرون العلاقة بين الفكر والواقع الاجتماعي وما بينهما من تاثر وتاثير غير انعكاسي بالضرورة ، هذا امر لا يناقشونه ، ان الذي يرفضه المسلمون هو أن يكونوا ماركسيين في مقولات تفكيرهم ، ان الذي يريدونه هو ان يكونوا ذيلا لايديولوجية يهودية ، وبتخطيط يهودي ، فهم المروجون له والساهرون على تنفيذه ، وبالتالي فهم يرفضون التوفيق (اللعبة ـ الخدعة) ، وينطلقون من الاستيعاب والاحتواء لان الامر اكثر دقة . انه الصراع بين الاسلام والجاهلية .

منهجية الاضفاء والتعميم :

هذا الوضوح وهذه المواجهة تفقدان مباشرة الى سمة اخرى في المنهجية الماركسية وهي الاضفائية والتعميم التي تبرز بشكل أو آخر التجيز الايديولوجي الذي يسعى حثيثا وراء مبرراته . ان الاضفاءات والتعميمات في حقيقة الامر لا تكشف بالمرة هوية الموضوع المدروس ، وانما تكشف هوية الدارس ، فاضفاء مصطلحات الاتجاه الماركسي على الاحداث والشخصيات والافكار التاريخية لا يهمهم بتاتا، فنحن عندما نقف امام تعبيرات كتعبيرات اهل السنة المحافظين المتزمتين ، او الاتجاه السلفي النصي الغيبي اللاعقلاني واللاتاريخي ، او الذين يمثلون التفكر الغيبي التبريري المثالي ، او نجد بالنسبة للمعتزلة الحركة العقلانية التقدمية الثورية ، او نجد مفاهيم اليمين واليسار والتقدمي والرجعي ، او نجد مفاهيم الطبقات الاجتماعية والعلاقات الطبقية وعلاقات الانتاج والاقطاعية والبورجوازية والرأسمالية ، والى غير ذلك من الاطلاقات والارسالات التي اطلقوها وارسلوها ، نجدها لا تحدد لنا بتاتا هوية الشخص او الحدث او الفكر الانتمائية قط ، ولكننا نجدها تحدد لنا هوية الدارس فحسب .

هذه الاضفائية التعميمية للفكر الماركسي على التاريخ الاسلامي والمجتمع الاسلامي ، شعر بها ماركسي آخر ، ولغاية في نفسه ـ يمكن ان تكون التوفيق ـ أقر بها واعترف ، ويمكن على مضض ، او تجاوزا للموقف المسدود الذي وقعت فيه الماركسية بعد هزيمة 67 . ولا تقول مخادعة لان الموقف والظروف الخاصة بالماركسية في العالم الاسلامي تختلف عن بقية ... الجنس عن الجنس المنهجي ، بل المهم تطبيقه على الواقع المشخص والتقيد بمعطيات هذا الواقع المشخص ، والسلسلة التي استخلصها ماركس من تاريخ اوربا وانطلاق من المرحلة الرأسمالية لا تنطبق على التاريخ الاسلامي فلم يعرف هذا التاريخ عصر عبودية كما عرفته اليونان والرومان ، ولا عصر اقطاع بنفس الشكل الذي عرفته اوربا ولا النظام الرأسمالي بنفس الشكل الذي عرفته به أوربا ، اما الاسلوب الاسيوي للانتاج فلم يعرفه التاريخ العربي ولا التاريخ الاسلامي اذا صح الفصل بينهما . اذن هناك خصوصية ، هناك نوع من التطور خاص يجب الكشف عن قوانينه(37) .

هذا النص يرينا كيف أن التحليل الماركسي يقفي ويعمم السلسلة الماركسية ، ويرينا كيف ان الماركسيين انفسهم يرون أن هذا التطبيق لم يعرفه العالم الاسلامي(38) .

ان هذا التطبيق للسلسلة الماركسية تلاقي صعوبات وتقع في تناقضات ، فهي تنفي المرحلة العبودية في التاريخ الاسلامي ، وتقرر الاقطاع والبورجوازية وحتى الرأسمالية في اطار اجتماعي واحد عرف دفعة واحدة ان المسالة مجرد اضفاء وتعميم وتعويم كل انواع المراحل في السلسلة الماركسية وكان العصور الاسلامية تمثل وحدة اجتماعية اقتصادية دامت اربعة عشر قرنا دون تغيير يذكر او كأنها تمثل العصور الحديثة في كل تطوراتها الاجتماعية الاقتصادية.

أليس مجمل هذا ان العالم الاسلامي لا يخضع للتحليل المادي التاريخي ؟ وبالتالي هل هناك قانون اجتماعي اقتصادي يمكن أن نسميه بالمادية التاريخية؟ ان المسالة مجرد اضفاء وتعميم وتعويم

---

37) مشروع قراءة جديدة ـ اقلام ـ 1 ـ مارس ص 26

38) ماركسية القرن العشرين روجيه جارودي ، وكذا محاضرة له نشرت في مجلة الطليعة المصرية سنة 70.

المقولات والشعارات، فالامر يتطلب الكشف عن قوانين خصوصية للمجتمع الاسلامي تتسع لكل خصوصيات المجتمع الاسلامي ، وهذا معناه رفض الماركسية والمنهج الماركسي والانحياز الايديولوجي الماركسي .

هذه النتيجة التي توصلنا اليها تدفعنا الى تساؤل آخر عن سمة اخرى من سمات الاضفاء والتعميم في المنهج الماركسي : ان هذه المنهجية لا تحدد الا الاطار غير المباشر في الاحداث والوقائع والافكار ، الاطار ذو التاثيرات البعيدة التي يشترك فيها كل المعاصرين لتلك الظروف. وهذا نشعر به تماما عندما نجد انفسنا قد انتقلنا من البحث الفكري الى بحوث تاريخية اجتماعية لا صلة لها بالموضوع الا في الاطار غير المباشر او في تلك الردية الارجاعية القائمة على التمرير للقضايا دون التمحيص والتدقيق او في تلك الاضافات والتعميمات التي تفجر الانحياز الايديولوجي دون مراعاة للتناقضات الواقعية اثناء تطبيق هذه الاضفائية التعميمية .

منهجية الاحتواء والتوفيق :

لا شك ان القارىء يتساءل لما كل هذا ؟! هل للتحليل الماركسي من غاية في منهجيته هذه ؟

اننا نلاحظ من خلال السمات الاساسية لهذه المنهجية انها حاولت احتواء الفلسفة الاسلامية ماديا أولا وماركسيا ثانيا ، واستعملوا في ذلك التوفيق كسلاح جديد !

لا نقول انهم لن ينجحوا ، وانما نقول فقط ان عمليتهم الاحتوائية التوفيقية هذه مفضوحة جدا ، وان فاضحها هو زمان انطلاقتها ، فهي لم تظهر قبل سنة 67 وبعدها الا نادرا ، ولكن بعد سنة 1970 اصبح الامر واضحا والخط بينا ، أن الاتجاه اليساري في العالم العربي انهار فعليا بهزيمة 1967 ، فجرد لماركسيون اقلامهم للهجوم على الدين مباشرة كسبب رئيسي في الهزيمة لتغطية عجزهم وانهزامهم، ففجروا قنابلهم الواحدة تلو الاخرى آنذاك ، ابتداء بالانقلابية الايديولوجية لسديم اليسار ، ونقد الفكر الديني خلال العظم ، والايديولوجية العربية المعاصرة للعروي ، ولكن مرت الايام ، وابرزت الحقيقة ان تلك التهجمات لم تكن الا لطمس حقيقة الانهزام وان الطريق مسدود، شعروا بالحيرة من امرهم واستدعوا خبيرين في لاتجاهات الايديولوجية الماركسية ما كسيم رودنسون اليهودي وروجيه جارودي المسيحي ، ليحاضرا ، بل ليفتحا الطريق المسدود ، ومن يومها اى من سنة 1970 حين حاضرا في مصر بدعوة من الاتحاد الاشتراكي ، ونشطت الاقلام في مشروع القراءات الجديدة بمعنى الاحتواء والتوفيق ، ونحن نكرر القول بان هذا الطريق مسدود هو الاخر لكونه مفضوح بالخبيرين اليهودي والمسيحي ، ولا تقول الصهيوني والصليبي تحفظا .

أبو الفضل عياض السبتي

من خلال مشيخته الأدبية

للأستاذ عبد الله الراضي

من الجلي ان الناس تختلف درجاتهم ومقاماتهم باختلاف المواهب التي يتوفرون عليها والاستعدادات المطبوعة بطابع النشأة الاولى والتكوين الفطري للنوع البشري ـ (لولا مواهب في بعض الانام لما تفاوت الناس في الاقدار والقيم) ـ طموح وعمل كنقطتين اساسيتين يتكيف بهما الفرد اليقظ جاعلا نصب عينيه حياة شخصيات انصفها التاريخ في سجله الامين فكانت نبراسا للاهتداء والاقتداء حفزت وفي قوة نفوسا كبارا سمت للالتحاق بالصفوف والعمل جاهدة لبلوغ الهدف الذي لم يكن وما كان وقفا على طائفة دون طائفة بل كان طيعا وفي خدمة كل من تهون عليه ذاته في سبيل النبل والكرامة وفي تضحية متلاحقة بكل ما يحب ويهوى من ملاذ ورغائب لا تقوم على بقاء .

نعم اذا ما جال الفكر منصفحا وفاحصا بعض فترات التاريخ وجدها ملاى برجالات ورجالات خلقوا وما خلقوا الا ليكونوا نماذج حية ، وامثلة واعية لاجيال واجيال كلها اماني وآمال لتلقى وعلى اخر من الجمر ما انتجوا كمنهاج يضيء الطريق لجهود جديدة تعمل وفي خلق وابتكار يخطوان نحو الواقع المتجدد والمتطور عبر التاريخ وفي شتى مرافق الحياة علما وفنا ـ فهذا القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي نجده طافحا بالاعلام والمفكرين وعلى اختلاف هواياتهم واتجاهاتهم واستعداداتهم الثقافية ، فعقب تدرجاتهم الطبيعية في التنشؤ والاخذ بدءا ونهاية نرى البعض وفي تهم تلقائي غير مقتنع بما افاده من شيوخ بلده فقد يكون في نظره استنفد ما لديهم من فنون ومعارف لا تفتأ تنمي طاقته العرفانية ملبحث عن آخرين توفروا على علوم وروايات تسمو بعلمه الى الاوج الذي يطمح اليه كصادق في الطلب يسعى وفي جهد لتحقيق المطامح واغتنال الفرص للقاءات تفسح له مجالات اوسع نطاقا وابعد مدى للتطلع على ما قد يكون غاب عن اساتيذه الاول من علوم لها فعاليتها في تلقيح افكاره وشحذ آرائه وايضا اضافة ما لم يكن درج في مدرسته الاولى .

عوامل لها ابعادها في تاصيل المعرفة وتمتين القواعد التي لا تعتم تذيب كل ما يمكن ان يساورها من شكوك او يعتور معالمها من شذوذ .

هذا واكثر ما نجده يتجلى وبصورة جد واضحة في ابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي الغرناطي ـ ولا ادل على هذه الظاهرة النبيلة مما اثبته في فهرسته الخطية(1) فقد ضمنها مائة شيخ ذوي كفاءات في مختلف المعارف والثقافات فقها وحديثا وقراءة وادبا ـ كابي عبدالله محمد بن عيسى التميمي يقول فيه مترجمنا السبتي : لازمته كثيرا للمناظرة في المدونة والموطا وسماع المصنفات واجازني جميع رواياته وترى هذا السلوك من ابي الفضل يجري مع عدة شيوخ وفيما يهدف لنوعية تلك المصنفات، والذي

اريد ان اطرقه في مشيخته وفي لمسات خفيفة عادفة هي الناحية الادبية وما كان له فيها من يد طولى وضاءة في كتابة والشفا بتعريف حقوق المصطفى، رغم طاقته الثرية في باقي العلوم .

فقد درس على ابي عبدالله بن حمدين الثعلبي اجل رجال الاندلس وزعيمها وجاهة ونباهة والنظر الصحيح في الادب نثرا ونظما قال : جالسته كثيرا وأخذت عنه بعض رسائله ، وورود على الامام ابي حامد الغزالي كما سمعت منه رسالته لابن الشماخ من هذا روايته عن يحيى بن يحيى الليثي المصمودي عن مالك بن انس رحمه الله قال: بلغني ان لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال يابني : جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة ، كما يحيي الارض الميتة بوابل السماء .

وصية لها فعاليتها في البعث والتكوين الناشئين عن الاتصال والمثافنة في احتكاك صادق مع رجال الثقافة الحق .

ونجده ياخذ عن الاديب الراوية ابي عبد الله بن سليمان النغزي عرف بابن اخت غانم ـ كتاب الكامل لابي العباس المبرد في منزله بقرطبة ، قال : ودرسته بسبتة سنة 493هـ على الاديب صاحب الشرطة ابي بكر الجزيري ، وسمعت منه كثيرا على شيخنا ابي علي التاهرتي ـ كتاب (اصلاح المنطق) ليعقوب بن السكيت ، وكتاب الالفاظ له سماعا ومناولة لما قاته منه .

وفي ثنايا هذه المشيخة تتفجر طاقة اخذ المترجم عياض ، وفهمه الفياض ، ومن ثروة الادب العربي ودراسة ما كتب فيه وعنه من امهات ـ ككتاب الزاهر لابي بكر الانباري ، والامالي لابي علي القالي البغدادي والتعرف على جميع تاليفه سندا واجازة .

وكتاب الحماسة لابي الفتوح ثابت الجرجاني ، وكتاب مختصر العين (1) لابي بكر بن الحسين الزبيدي الاشبيلي وهو وبما كان له من ولوع لغوي نجده يتلمذ للشيخ ابي علي بن طريف النحوي التاهرتي ت : 501هـ فيدرس عليه النحو والادب وجمل ابي القاسم الزجاجي ، والواضح للزبيدي والكافي لابي جعفر النحاس ، وكثيرا من كتاب (المقتضب) للمبرد ،وآداب الكاتب (2) لابن قتيبة الذي شرحه ابن السيد البطليوسي وسماه : (الاقتضاب في شرح ادب الكتاب) والايضاح للفارسي ، وكتاب الفصيح لثعلب ، وقرأ عليه اكثر كتاب الامالي للقالي ، كما سمع منه الكثير من كامل المبرد .

ومن بين رجالات اساتذته خلف بن فرتون امام النحاة والآداب قال : جالسته كثيرا وذاكرته وتلقيت منه فوائد جمة ، وكان ينشد لابي وهب الزاهد القرطبي الابيات التالية :

انا في حالة كما قد تراهـــا
ان تأملت اسعد الناس حـــالا
ليس لي كسوة أخاف عليهـــا
من مفيض ولم تر لي مـــالا
اضع الساعد اليمين وســـادي
وعتي ما انا وضعت الشمـــالا
قد تنعمت حقبة بأمـــــور
ثم دبرتها فكانت خيـــالا

ومن اعيان الاشياخ الذين ثافنهم وتلقى عنهم مادة الادب الرفيع الاستاذ عبد الواحد بن يوسف البغدادي الفهري ت : 527هـ والذي يكفي ان تحدث عنه ابو بكر عبد المجيد بن عبدون اليابري الوزير الكاتب مما تتنور من بين سطوره مدى الاختيار الذي كان يترسم خطاه باحثا وبالحاح عن رجال المادة المبرزين في علوم العرب ودراويتها وماينبثق عن ذلك من آيات ومفاهيم لها مقاصدها الهادفة التي لا تبيث تعرف قاصدها بمزايا اللغة وما تحتضنه مبانيها من اسرار دقيقة نثرا وشعرا وضوحا وغرابة يقول ابو الفضل عن ذي الوزارتين ابن عبدون (3) : لقيته بسبتة في انصرافه . وأقسم لي انه ما قصد سبتة الا للقالي والاجتماع بي ، ثم سالني عن اشياء في نفسه وجرت

---

1 ـ ترجم نصه وعلق حواشيه وقدم له الاستاذان علال الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي .
2 ـ احد الكتب الاربعة المعتمدة في الادب فيكون باقي كتب الادباء فروعا عنها كما لابن خلدون.
3 ـ ترجمه صاحب فوات الوفيات ج 2 ص 19 .

بيننا مذاكرات الشندي اثناءها رائيته لتى وفى بها ملوك بنى الافطس عارضا فيها لمن ابادته الحدثان من ملوك كل زمان مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثـــر
فما البكاء على الاشباح والصـور

الى ان يقول :

وليها اذ قدت عمرا بخارجة
قدت عليا بمن شاءت من البشر

وهو كالسيل الجارف يندفع فى هواية غريبة متقربا اشياخ الادب والاتصال بهم اخذا وروانة ـ كالاستاذ النحوى ابى الحسن التنوخى عرف بابن الاخضر كان اكثر دراسته على ابى الحجاج الاعلم 498هـ فحدثنى بشرح الاشعار الستة لابى الحجاج ، واجازنى عنه جميع تآليفه ـ كشرحي الحماسة وشعر حبيب وغيرهما وأنشدنى فى نفس الوقت لبعض شعراء الادب الابيات التالية :

وزاد وضعت الكف فيه تأنســـا
وما بى الا انسة الضيف من اكـــل
وزاد رفعت الكف عنه تكرمـا
اذا ابتدر القوم القليل من الثفـــل
وزاد اكلناه ولم ننتظـــر بـــه
غدا ان بخل المرء من اسوا الفعل

ولست فى حاجة لشرح الابيات فمد لولها منها وفيها .

وما هو مرة اخرى يتلمذ لابى لحسين بن عبدالملك الوزير اللغوى الحافظ الذى كانت الرحلة اليه بعد ابيه فى تقييد كتب الادب والغريب ، ودراسة كتاب سيبويه يقول ابو الفضل : قرأت عليه كتاب ابى عبيد القاسم بن سلام كما اخذت عنه كتاب الغريبين قوله :

بث الصنائع لا تحفل بموقعهـا
فى آمل شكر المعروف او كفـــرا
كالغيث ليس يبالى حيثما انسكبت
فيه الغمائم تربا كـان او حجـــرا

تراه لا ينفك من قيثة لقيثة يجلب الينا شعـرا لـــه ابعاده فى بث الوعى وايقـاظ التفوس لمكـارم الشيم ومحامد الخلق وهو فى ذات اللحظة يسبح فى خضم الآداب الواعية وفى لمة من زعماء الفن يتدارس وياعم فى عمق ما شرد وعز رغبة فى استكناه اسرار اللغة واستبطان مفاهيمها عسى ان يصيب من فقهها ما تسمو به المدارك ويتجلى فيه الادب الرفيع بمعناه الواسع حيث لا يفوته بما يعطاه اليوم من تعاريف تكسوه حلة الشمـول لمرافق الحيـاة ومـا تهدف اليـه فى شتى المجالات الانسانية .

هذا واكثر ما تراه متجليا وبقلم حى وقتما تتصفح بعض آثاره العلميـة والادبية كـالشفاء ، والطبقـات ، والمدارك ، والمشارق والاعلام بحـدود قواعـد الاسلام ، والفهرست خاصة كتاب الشفا الذى كان بحق شفاء للاسلوب والقلوب :

فقالوا اراك تحب الشفـــا
وتخبر فيه عـن المصطفـــى
فقلت لانى عديل الفـــؤا
د وكل عليـل يحـب الشفـــا

وكمثال خفيف يلقى (هوالآخر)اضواء على هذه الظاهرة الرائعة نلمسه ونحن نردد بيتين ارتفع فيهما الى القمة بلاغة وتشبيها يذكرنا على التو بشعر ابن المعتز وقد ساعده محيطه ولكن على مسرح الطبيعة قال :

انظر الى الزرع وخاماتـــه
تحكى وقد ماست امام الريـــاح
كتيبة خضراء مهزومـــة
شقائق النعمـان فيها جـــراح

ولابد ان يسمو اسلوبه قريضـا ونثرا ومـن بين اساتيذ مدرسته خلف بن يوسف بن فرتون النحوى الثقة علما وادبا اذ كان كعبة الادباء بالاندلس والمغرب جميعا . وبعد فلم يكن ولوع ابى الفضل عياض الادبى وتردده على مدارسه وتكرار نصوصه ومصنفاته كالكامل الذى كان يمتزج بنفسه لكثرة ممارسته وعلى جمهرة من اعلام الفكر والادب لم يكن ذلك ليتسيه او يثنى طاقته الثقافية عن باقى العلوم اصولا وفروعا خاصـة علم القراءات وتوجيهاتها والتردد على حلقاته واخذه عن

غيرها استاذ ـ كالمقرى ابى القاسم خلاف المعروف بابن انحاس قال : تاولنى كتاب طبقات القراء لابى عمرو كما كانت اليه الرحلة وعلم القراءات اثناء العقد الثانى بعد الخمسمائة طالما كان هذا النوع من العلوم القرآنية لدى العهود الاولى ذا قيمة رواية ودرايـــة ايمانا من رجال تلك المدارس المشرقـة ان مـن لـم يتصف بالاستاذية قد لا يوثق بثقافته الاسلامية .

وقد يكون هذا العرض المتواضع كذكرى يقظه تلفت الانظار وانظار الشباب الواعى الى مثقفى السلف وعلمائه وادبائه ومدى انكبابهم على الاخذ وفى جهاد متواصل ورهبانية تنسيهم كل ما يمت بصلة الى المادة وتعرفهم فى ذات الوقت قيمة الانسان الحـــق وما يجب عليه كطالب له طموحه الصادق وهيامه بالمعرفة جاعلا نصب عينيه كنموذج حى امثال مترجمنـا ابـى الفضـــل عيـاض .

وتلك الغاية المتوخاة من كتب هذه الكلمات ذات الابعاد المتاحة حيوية طالما بعثت وتبعث من ابنائنا وشبابنا وعيا يهديه الى الحق والى طريق مستقيـــم طريق الذين فنوا ونسوا ذواتهم فى سبيل الارتفاع بارواحهم واضعينها فى بوتقة المعارف وتلـك اللـذة الكبرى التى لا يحسها الا من ذاق طعمها وامتزجـت بمرائره

(من ذاق طعم شراب العلم يدريه
ومن دراه فدا بالروح يشريـــه)

التفتح الأموي

وإثراء الفكر العربي بالاندلس

للأستاذ الحاج أحمد البوعياشي

يبدو ان بيئة خاصة فطرت عليها اقطار الاندلس، يوم كانت اسبانيا المسلمة تحت سيطرة لغة الضاد تستوعب ميادين الحضارة الاسبانية ، التي كونتها حياة الطموح البشري ، والتي ضربت طولا وعرضا الى ما بعد المحيط المتعايش عليه ، وهذا الطموح هو الذي جعل احد اسواق تلك الميادين نافقة ، وهي سوق الادب العربي في المغرب العربي ، الى درجة نبوغ فيه مقامه الرفيع بهمة عشيرة متعافية من ادباء ذلك القطر السليب ، الذي أسهم في هذا التراث العربي الخالد خلود هذه اللغة ، التي استأثرت بها لغة الوحي ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ان حياة فكرية سادت تلك الاقطار في فترات الحكم الاسلامي ، كانت مثارا للاعجاب والتقدير ، فقد طبعت الفكر البشري بطابع الابتكار والاندفاع الى شمولية التعبير بتلك اللغة عن اسرار الحياة كيفما كان ميدانها ، ولولا النكسة السياسية والعسكرية المريرتان ، اللتان احدثتا تلك الجذوة المتوقدة ، فتعثرت في سيرها ، لشهدت تلك الاقطار انقلابا جذريا في صالح الانسانية جمعاء ، ولكن ذلك قضاء الله وقدره .

واذا كنا بصدد دراسة حياة خاصة مستوحاة من التراث الادبي المغربي الذي يستمد قوته من الحكمة المأثورة «الناس على دين ملوكهم» ، فانها تستوحي على هذا الشعب ان ينسجم مع هذه الموهبة الالهية في شخص ملكه الحسن الثاني حفظه الله ، الذي يرعى سائر المرافق بعناية ربانية ، وهي شنشنة موروثة عن الدوحة النبوية التي أسس لها قيادة المكرومات ، فانعكس شعاعها الذي اخترق الآفاق .

وقد استلزم هذا ان نلم الماما ولو عابرا ، عن تفتح اسبانيا المسلمة بعد عزلة عن المشرق العربي منبع ذلك الاشعاع الحضاري الذي سرعان ما توهج في الاندلس ونمى نموا تسابق مع الزمن ، فاحدث ضجة ادبية تركت ، دويا ردد صداه اقطار الاسلام والاستشراق في سائر العصور ، ولا زال الاندلس عو ذلك الفردوس المفقود ، الذي له ذلك الصدى المسترجع .

تفتح عبد الرحمن الثاني الاموي :

ونعني بذلك التفتح عن المشرق ، ذلك الانقلاب الانقلاب الفجائي الذي احدثه الامير الاموي ابرابح المعروف بعبد الرحمان الثاني بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل (176 ــ 238هـ) الذي كسر طوق ذلك الانعزال الذي سلكه اسلافه حيال خصومهم العباسيين ، ولو ان انعزالهم لم يمنعهم من الدعاء لهؤلاء الخلفاء على منابر الجمعة احتراما للمقام الديني في نفوس المسلمين ، ولذا لم يستطع هؤلاء الثلاثة والامراء من بعدهم ان يلقبوا أنفسهم بالخلفاء طيلة تعاقب ثمانية منهم على الامارة الاموية بالاندلس ، بل اكتفوا بلقب «ابناء الخلفاء» رغم احتراس الثلاثة الاولين من هذا التفتح ولو ادبيا فرارا من مكايد اولئك الخصوم في المشرق العربي

وقد انعقبت مبادرة هذا الامير موجة من رحلات المشارقة الى الاندلس ، كان لها حسن الواقع عند المسلمين باسبانيا ، وتعضد الفكر العربي هناك ، ووصل ما كان منقطعا، وبذلك توطدت علاقة الاندلس الادبية بالمشرق العربي ، وتأثرت تلك العلاقة تأثيرا

بليغا ، حتى في عهد العباسيين الذين اضفوا مضجع صقر قريش ، فطار الى حيث يحيى مجد الامويين .

وبدراسة مميزات هذا الامير المتفتح، تتكشف عن خاصيات فريدة ، فالرجل كان مولعا بمطالعة كتب والفنون ، وفوق ذلك كان شغوفا بعلوم الفلك والتنجيم متأثرا بشاعره ابن السمر الذي كان رئيس المنجمين في عهده ، ورغم انه احاط نفسه بعلماء الفلك ، فانه كان ولوعا بكتب الطب والفلسفة ايضا، وهو الذي بعث العالم عباس بن صبيح الى الجزيرة العربية ليبحث عن الكتب المنقولة عن اليونان والفرس .

وكانت يومياته مقسمة على :

(أ) ـ العمران والتخطيط لمدينة قرطبة ، التي ازدهرت في ايامه .

(ب) دراسة السماء لمواقبة الطالع .

(ج) الصيد بالباز في سهول الوادي الكبير .

(د) حضور حفلات الاندية الادبية والموسيقية .

ونظرا لتأثره بالحياة الشرقية ، فانه اعطى لمملكة قرطبة النظام العباسي ، وبذلك كان اهل الاندلس يستقبلون بالترحاب كل من ياتي من بغداد او غيرها من المدن الشرقية ، وقد تبادر التجار لحمل النفائس من هناك الى الاندلس ، ليعرضوها باثمان مغرية .

ولا أدل على تهجير النفائس المستظرفة في عهد الامير من هجرة المغني المشهور ابي الحسن علي ابن نافع (172هـ) المعروف بزرياب ، تلميذ مغني البلاط العباسي اسحاق الموصلي ، وهو يعد بحق من التحف النادرة ، لانه لم ينقل غناء الشرق فحسب الى الاندلس ، بل اضطلع بالمعهد الموسيقي في قرطبة، كما اشاع الحياة الانيقة في المجتمع القرطبي، حتى شملت نصائحه قضايا الطهي وتنويعه ، طبق ما كان عليه الامر ببغداد ، ونظم مائدة الاكل تنظيما رائعا ، وعلم اهل قرطبة فن التجميل حتى بتفريق شعر رؤوسهم بدلا من تركه خصلات موزعة فوضى ، وشمل التنظيم ايضا الملابس حسب فصول السنة الباردة منها والحارة والمعتدلة ، فالباس ابيض من اول يوليو الى نهاية شتنبر ، والحرير في فصل الربيع والثقيلة في فصل الشتاء .

وفضلا عن ذلك ، فقد تمكن الاندلس بفضل هذا التفتح ، ان يسهم في ميدان الثقافة العامة ، والآداب العربية وجعلت تنمو على مدى فترات تعاقب السلطات العربية من الامراء الامويين الى فترة خلفائهم انطلاقا من عهد عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله (300 ـ 350) والى فترة الدولة العامرية القحطانية التي استحوذت باسم الامويين على مراسم الخلافة لما ضعفت ريحهم ايام هشام المؤيد ، حيث بلغ المنصور بن ابي عامر من الجاه والسلطان ما لم يبلغه الامويون انفسهم، اذ اصبحت الدولة والعرش والقصر والخليفة الصبي وصبح ام الخليفة كل ذلك تحت جناحه وطوع يده .

ويبدو ان سلطان الادب قد وصل ذروته في تلك الفترة ، اذ لم يستأسد العامري هذا الا لكونه انحدر عن بيت شريف ، كان مسقط راسه احدى قرى الجزيرة الخضراء، ورد على قرطبة شابا ، فطلب العلم والادب وسمع الحديث ، وبعد ذلك كانت له رعاية على الادب والادباء ، أدى به ذلك الى استوزاره احد نطاحل اللغة والادب وهو ابو العلاء صاعد به الحسن الربعي البغدادي(4) وهو من هو في الظرف والادب وقد يكون حسن الطالع ايضا ، اذ لما تفاءل في قصيدته التي انشاها مادحا المنصور بن ابي عامر التي جاء فيها :

ياحرز كل مخوف وامان كل مشرد ومعز كل مذلل

الى ان قال .

حمد تسلسل بعضه وغرسه
في نعمة اهدى اليك بايل

سمهيته عربية وبعثته
في حبله ليتاح فيه تفاؤلي

فوقع في عده الامير الاسباني غرسية بن شانجة في قبضة المسلمين عندما كان يصطاد فاسر وكان اصغر من النجم كما قيل .

امثلة من النشاط الفكري :

واذ قد اصبحت الاندلس في هذه المرحلة من التطور الذي تولد عن ذلك التفتح الاموي ثم نما نموا مطردا على مدى فترات الحياة الاندلسية الفكرية، فان الثقافة العربية بلغت أوجها، وقطعت مراحل تاريخية

في المجهود العلمي الضخم ، الذي شمل ميادين مختلفة من لغوية ودينية وتشريعية وأدبية . وقد نستعرض بعض تلك المظاهر لادراك هذه القفزة البعيدة الشأو : ففي ميدان القرآن مثلا ، تعطي الاندلس مثلا رائعا بابي عمرو الداني(2) الذي اشتهر بفنون القراءة ورسوم المصاحف وكابي محمد الشاطبي الضرير صاحب المنظومة المعروفة بالشاطبية، ولد عام 538ه (1148م) وتوفي عام 590ه (1194م) وفي التفسير كابن عطية القاضي ، وفي علوم الحديث كابن وضاح ، وقاسم بن اصبغ ، وابن عبد البر القرطبي امام عصره في الحديث ، له مؤلفات اجملها التمهيد على الموطأ في اجزاء عدة توفي عام 483ه (1071م) والقاضي عياض ، وابن سعادة الذي اعتمد المغرب والاندلس نسخته من صحيح البخاري التي كتبها بتاريخ 492ه. وفي فقه اللغة كابن سيده الاعمى المرسي الذي الف كتابه المخصص في ثلاثة عشر مجلدا المتوفى عام 458ه (1066م). وفي القضاء : كالقاضي بن بشير ، وصعصعة بن سلام وابي الوليد ابن رشد الجد قاضي الجماعة بقرطبة وقاضي القضاة ابن عاصم الغرناطي ، وفي الطب كابن رشد الحفيد القرطبي زعيم فلاسفة الاندلس واستاذ حكماء زمانه وكابي مروان عبد المالك الاشبيلي .

أما ميدان الادب العربي ، فان الاندلس حصل على ثراء نستطيع القول بأنه حلق في اجواء بعيدة المنال، سواء بالتاليف او قول الشعر او اشاعة المنتديات الادبية التي تزخر بلطائف ادبية سارت بها الركبان.

وفي التاليف نضرب المثل بالعقد (الفريد) لابي عمرو ابن عبد ربه القرطبي (246 ـ 860م ـ 328) فقد كانت له رياسة وشهرة وجلال بالعلم والادب ، مع ديانة وصيانة ، واتفقت له ايام وولايات للعلم منها نفاق ، فساد بعض الخمول ، واثرى بعد الفقر، واشير اليه بالتفضيل ، وقد غلب عليه الشعر ويشبهون شعر ابن زيدون في الجمع بين روعة الشرقيين وجزالتهم ، وبين رقة الغربيين وسلاستهم» (3) ، وقد وصف ابن عبد ربه كتابه هذا فقال «محليا بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فيي معانيها ، وتوافقها في مذاهبها ، وقرنت فيه غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان بضربا على قاصيته، وبلادنا على انقطاعه حظا من المنظور والمنثور » .

ومن عيون المؤلفات ايضا في ذلك العهد كتاب الامالي لابي علي القالي الذي اتى من العراق ، واستقر بالاندلس ، وكان استاذا للخليفة الحكم الثاني ابن عبد الرحمن الثالث ، ويعتبر هذا الكتاب بحق من المراجع الادبية المهمة .

وكما نشط الاندلسيون في شرح الدواوين الادبية مثل ديوان المتنبي الذي شرحه الاقليلي القرطبي ، وكان شيخ الشنتمري من شنتامرية القريبة من مدينة شلب ، وتعتبر هذه المنطقة بالنسبة للادباء ، منطقة اشتهر سكانها ببلاغتهم ، وحضارتهم ، وحسن تحدثهم بالغة العربية ، وكذلك الشنتمري بهذا الشرح المصقات الشعرية

امثلة ممن اثرى الادب شعريا

اما الشعر فانه ميدان فسيح في الاندلس ، وموضوعاته افسح ، لان الشعراء لم يكونوا يستوحون الطبيعة الاندلسية الخلابة فحسب ، بل قد اشادوا ايضا بعواطف الحب والصداقة ، وافاضوا في المدح والهجاء ، واللذة والالم ، والتفاؤل بالحياة، والتشاؤم منها ، وكانوا يصدرون ويفتجون عن عبقرية خصبة خاصة بهم ، وبيئة كونتها ظروف متميزة مختلفة عن بيئة ادباء الشرق العربي، ومما اخترعه شعر الاندلس، واختص به ، ذلك الاسلوب الشيق ، الذي لا يمل ، الا وهي الموشحات ، التي قيل ان السابقين الى اختراعها ابن عبد ربه، تلك الموشحات التي قال فيها ذحية «انها زبدة الشعر ونخبته ، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي اغربت بها اهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة ، والضيا المشرق»(4) كما اخترعوا الازجال الشعبية .

الثلاثي القرطبي :

ولادة

واذا كان من صنيع الدارسين الذين عكفوا على تتبع الاخبار الادبية للاندلس، وضعوا أغلب النتائج لرائعة في محك الثلاثي الادبي المرح المؤلف من الاديبة المشهورة ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن ، احد الخلفاء الاموريين ، التي استطاعت ان تستقطب الادباء وعلية القوم وتحول انظارهم لكي يحجوا الى بيتها كمنتدى ادبي عامر ، تعرض فيه يوميا قرائح الادباء وروائع الشعر ، والمساجلات الادبية ، وكانت بالنسبة لمؤهلاتها في القمة في كل شيء ، فهي جميلة وساقرة وشاعرة، تساجل الشعراء وتنافس العلماء ، فضلا عن انحدارها من بيت الخلافة،

الامر الذى اهلها دون نساء المجتمع القرطبى ، لان تدرك شهرة عالية نادرة المثال ، واستمرت هذه الشهرة تشع عن الحياة الادبية فى الاندلس ، التى كانت لولادة احد اعمدتها الفقرية فى كل الدراسات التى اثيرت عن الادب العربى هناك .

وقد اجمع المؤرخون عن نظافة ذيلها ، ونقاوة بيتها ، ولم يخدش احد فى مستواها الخلقى والادبى الذى أضفى على الحياة سربالا من الظرافة والمتعة ، وكانت من نساء اهل زمانها واحدة اقرانها حضور شاهد ، وحرارة اوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار العصر ، ولقاؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الادب الى ضياء غرتها ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة أثواب(4) » .

ولكن ومع مرور حوالى 999 حولا ، فان بعض الكتاب العرب(5) سمح لنفسه ان يهدر كرامة هذا الطهر الثمين ، اذ وصفها بانها كانت مصابة بالهيستيريا تحت تأثير الشذوذ الجنسى واستلهم ذا لثمن تخميناته التى أوحت له أن يهرع الى آراء علماء النفس لعله يجد مقيسات حدسية ، وأعرض عن شهادة شهود عيان ليقوض معلما من معالم الادب فى الادب الاندلسى ، ولا يمكن للمرء ان يدرك اى باعث خفيفى لهذا الصنيع .

ابن عبدوس

أما ثانى الثلاثى ، فهو ابن عبدوس غريم ابن زيدون ، الذى اثار حفيظة هذا الاخير ، فكانت السبب لانتزاع محاورات ادبية ، عندما انتهز فرصة ابتعاد هذا الاخير عن قرطبة ابتعادا قسريا ، وغيابه عن ذلك المنتدى الذى كان يغمره بالسحر الحلال الذى ملك على الادبية مشاعرها ، فحاول هذا الغريم أن يحل محلها فى المسامرات الادبية محله ، ولكنه شتان ما بين رجل دلت الرسالة الهزلية التى اقذعه فيها ابن زيدون انه ثقيل الظل لا يستسيغه جليسه لفهاهته وبين رجل خفيف الروح جم الادب واسع الظرافة مستساغ بينهم لدى جلسائه كابن زيدون «اذ كان غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بنى مخزوم ، أحد من خبر الايام خبرا وفاق الانام طرا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان نظما ونثرا ، الى ادب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه(6) وأين هذا من ذلك ، وقد تكون هى التى اوعزت لابن زيدون ان يقذعه فى تلك الرسالة عن لسانها ، التى عدت من روائعه الفنية .

ابن زيدون

اما ثالث الثلاثى فهو الشاعر الذى استقطب الحياة الادبية فى تلك الحقبة من تاريخ الاندلس الادبى التى صنف فيها فى صف البلغاء المستقلين ، الذين ابتكروا ولم يقلدوا ، وتخيروا البواعث فاجادوا ، وبد أقرانه فلم يلحقوا به ولم يكادوا ، ويقى فى حلبة السباق الادبى يصارع شعراء تلك الحقبة التى ضمتهم عواصم ثلاثة لملوك الطوائف الادباء وهى :

(أ) قرطبة
(ب) وبطليوس
(ج) واشبيلية

واما قرطبة التى هى قطب رحى تلك العواصم ، والتى ضمت الشاعرة ولادة وشدت اليها ايضا الشاعر ابن زيدون رغم الابتعاد القسرى على حياته المليئة بمقتضى تحركه النشيط الذى اهله ليكون سفيرا بالتحاكك الادبى اكثر من غيره من ادباء الاندلس ، لدولة بنى جهور لدى جيران عاصمتهم قرطبة تلك السفارات التى اوردته محنا اودت به الى السجن ثم النفى على يد اولئك الذين سره ان يرثوا تركة الامويين فى قرطبة ، وقد تحرك الواشون الذين عجزوا عن أن يلحقوا به ليس فى الميدان الادبى فحسب ، بل وحتى فى الميدان السياسى .

فظاهرة ابن زيدون فى حياته العامة ، ظاهرة عجيبة تستلفت الانظار ، وقد عاش فى احضان عهد قرت عينه زمنا ، ثم قاسى ما قاسى من المحن ، فكان تعاقبه الطبيعة المجردة احيانا ، والاشواق المتأججة احيانا أخرى ، كما عاش تحت كابوس سياسة ملتوية نتيجة الحروب المستعرة التى اوحاها اضطراب احوال غرب الاندلس بين ملوك الطوائف ، الذين بالكثرة الكاثرة ، حتى كاد الاندلس فى وحدته الجغرافية ان يسدهم ، وقد وسعهم تمزيقا اربا اربا ، تسلق كل ناعق على طرف منها ، اشباعا للشهوات الجامحة وحب الاستيثار ، ضاربين بالمصلحة الاسلامية عرض الحائط ، حتى قيل بحق :

مما يزعدني في ارض الاندلس
اسماء معتضد ومعتمد

القاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

في خضم هذه الحياة التي اذكت قريحته ، فشملت حياته السياسية التي خلق فيها نتيجة اخلاق السياسة العامة ، بعد الدولة العامرية ، التي طحنت مدة من الوقت الخلافة الاموية ، ان «خل عرش الخلافة ، وخوى تجمها ، ووهن ركن الامامة وطمس رسمها ، وصار الملك دعوى ، وعادت العافية بلوى ، استشرس البغاث وصحت الاضغاث ، واستأسد الظبي في كناسه ، وثار كل واحد في ناسه»(7) .

واذا كان ابن زيدون اخذ منه السرور مأخذه، لان قرطبة رفضت الخلافة الاموية الثانوية في عهد هشام المعتمد بالله ، وتخيرت وزيره ابا حزم جهور العمري الذي وصفه المؤرخون بالدهاء ، وبعد الغور وحصافة العقل وحسن التدبير والرياسة في الدوائر الاموية ، وبالاخص في عهد الحكم وابن ابي عامر ، ووجد اول الامر في ابن زيدون خير متفهم لمراميه السياسية ، لما عرف عن هذا الاخير من حنكة وادب وسراوة محتد ، وقد كان «وجوه فقهاء قرطبة ، وعيون أدبائها، ورزق في الانشاء قريحة طيعة، وطبعا سليما ، فسمت به كفاءته الادبية الى الوزارة ، حيث ارتفع قدره ، واشتهر أمره فالقى)أي أبا حزم(اليه مقاليد الامور، واعتمد سفيرا بينه وبين ملوك الطوائف المحيطين بجهات قرطبة»(8)

واذا كان ابن حزم من جهته من طبقة الادباء المرموقين ، بل من العلماء الفطاحل ، لان له ادبا ووفاؤا ، وحلما سارت به الامثال ، وعلما نادر المثال(9) وتلقى بذور العلم في قرطبة عن فحول علمائها امثال ابي بكر عباس الهمذاني ، وأبي بكر الاصيلي(10) وأبي يحيى زكريا بن الاشج .

فانه كان من المنطق ان يكون هذا التطابق في المؤهلات تجعله «وافق شن طبقه» وان ابن زيدون بالنسبة لابن حزم كقول القائل :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب
وتغشى منازل الكرما

ولكن ليس هذا ولا ذلك ، كان حائلا دون كدر ابن زيدون ، فقد نشط حاسدوه حتى اغروا صدر ابي حزم عليه وبالاخص ما يتصل بتلك السفرات لدى جيران قرطبة لتسوية المشاكل ، فوجدت الوشايات آذانا صاغية ، وكان من المفروض ان تكون رقة الادب عند هذا الملك الذي يصف الوردة خمائلها عند ما قال في ابيات منها :

الورد احسن ما رأت عيني واذ
كي ما سقى ماء السحاب الجائد

ان يتجاوز هذه الوشايات ، ولا تنقلب تلك الرقة الى وحشية كاسرة تزج باديب بارع يفخر به عهده ، وفوق ذلك صم الآذان حتى عن توسلاته وهو في غياهب السجن ، ولم ينفعه انه كتب تلك التوسلات باسلوب يذيب الجماد ، ويسمع الميت ، اذ قرع كل اوصاف الرحمة والاستعطاف في سلاسة لفظ وبلاغة معنى وعدت من روائعه النثرية .

ولما لم تجده التوسلات ، فانه قرع الحيلة بمثلها وهرب من السجن مختفيا بقرطبة الى ان تشفع له ابو الوليد عند ابيه جهور .

ولكن ومع ذلك ، فان لعنة الحاسدين ظلت تلاحقه حتى في عهد ابي الوليد شفيعه ، فنفاه الى اشبيلية .

على ان بني جهور ظلوا يلاحقونه حتى في منفاه باشبيلية عاصمة بني عباد حيث لقي حظوة وأية حظوة عند ملك لم يكن باقل باعا في الادب والسراوة بل ومقارعة القران ، ذلك هو عباد حيث المعتضد الذي وصفه «بانه ملقح الحرب ، ومنتج الطعن والضرب ، الذي صاد الطير تحت اجنحة العقبان واخذ الفريسة من فم الثعبان»(11) .

ثم حظوة عند ولده المعتمد بن عباد الذي هو اشهر من نار على علم علما وأدبا ونخوة وشهامة وهو الذي قال فيه ابن خاقان «وعليه سيفه المستل ، وحتفه المحتل ، ابنه المعتمد سهام الاعادي ، وحمام الاسد العادي» .

وقد اثارت هذه الحظوة حفيظة بني جهور ، فجعلوا ينشرون له مثالب ويذكرون له في المجامع مساوئ ، قد تكون مفتعلة ، وتعدت اذايتهم الى اقاربه ، الامر الذي أدى بابن زيدون ان يعمد الى الاسلوب السائد

بين الادباء ، وهو طريقة الادب الشعرى الذى كان بمثابة الصحف السيارة ، فسرعان ما تناقلته الالسن، وينشد في المحافل والاندية «الادبية .

وقال في ابيات مطلعها

بنى جهور احرقتموا بجفائكم
فؤادى فما بال الدانج صبق

ويبدو ان هذه القطيعة التى اصبحت فى حقه سنارا حديديا يمنعه من الاتصال بقرطبة مهد مجده الادبى ومسقط رأس صديقه الاديبة ولادة ، فكان من لواعج قلبه ما نفثه فى التشطير الذى كان مطلعه:

أقرطبة الغراء هل فيك مطمع

وفى هذا الصدد فان المحن اذا كانت عقيمة على العموم ، فان محن ابن زيدون خلقت تراثا خالدا الادباء ، واذا كان الصدود غير مستحب لدى المحبين، فان الصدود القسرى الذي فرق بين ابن زيدون وولادة حمدناه واثرناه ، لان ذلك كان بمثابة الزناد فاوقد الحباحب ، ولولا ذلك لما انتزع منه ما انتزع من الشعر والنثر الذى لا زال يحلق به فى اجواء الاجادة والى يوم يبعثون .

فلولا ذلك لما قرانا الابيات الآتية :

بنى وبيتك ما لو شئت لم يضع
سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع

يا بائعا حظه منى ولو بذلت
لى الحياة بحظى منه لم ابع

يكفيك انك ان حملت قلبى ما
لا يستطيع قلوب الناس مستطع

نه احتمل واستطل صبرا وعزاحن
وول اقبل وقل اسمح ، ومر اطع

ولما قرانا الموشح الذى مطلعه :

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك

اما الثلاثى الثانى ، فقد كونته عاصمتان : الاولى تعرف بانها احدى روافد الادب الاندلسى وانا تجرى معه فى حلبة السابق ، هى بطليوس عاصمة بنى المظفر ، الذين «كانت ايامهم بمغرب الاندلس اعياد ومواسيم ، وكانوا ملجأ لاهل الادب ، خلدت فيهم ولهم قصائد ، شادت بمآثرهم ، وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم»(12) ، اوليهم محمد بن عبد الله الملقب بالمظفر هو اديب الملوك بدون منازع ولا مدافع وله تصانيف منها الكتاب المعروف «بالمظفرى» فى خمسين مجلدا(13) .

ابن عبدون :

وقد ضمت احد البلغاء المجيدين وان كان مقلا وهو ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد ابن عبدون الذي ابانت قريحته الطبعة عن قصيدته التى وصفت بالقصيدة الغراء والعقيلة العذراء ، التى ازرت عنى الشعر ، وزادت على السحر ، وفعلت فعل الالباب فعل الخمر ، وجلت عن ان تسامى ، وأنفت عن ان تضاهى ، فقل لها نظير ، وكثر اليها المشير ، وتساوى فى تفضيلها بأقل وجر يرقله من عقيلة خدر قريت بسهولتها حتى اطمعت ، وبعدت حتى عزت فمنعت» .

ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور

ومنها:

فالدهر حرب وان ابدى مسالمة
والبيض والسود مثل البيض والسمر

ولا صوادة بين الرأس تاخذه
يد الضارب وبين الصارم الذكر

ومنها :

بنى المظفر والايام لا تزلت
مراحل والورى منها على سفر

من للاسرة او من للاعنة او
من للاسنة يهديها الى الثغر

من اليراعة او للبراعه او
من للسماحة او للنفع والضرر

او دفع كارثة او دفع ازمة
أو فتح حادثة تعيى عن القدر

ومنهـا :

ويب السماح وويب الباس لو سلما
وحسرة الدين والدنيا علـى عمـر
سقت ثرى الفضل والعباس(14) هامية
تعزى اليهم سماحا لا الـى المطـر

ثـلاثـة مـا رأى العصـر مثلهـم
فضلا ولو عززوا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقـوا
وكل ما طار من نسر ولم يطـر
ثلاثة كـذوات الـدهـر منـا نـاوا
عتى مضى الدهر لم يربع(15) ولم يحر
ومر مـن كـل شـيء فيـه اطيبـه
حتى التمتـع بالاصـال والبكـر

اين الجـلال الـذى غضـت مهابتـه
قلوبنا وعيـون الانجم الـزهـر
اين الاباء الذى ارسوا قواعده
على دعائم مـن عز ومن ظفـر

اين الوفاء الذى اصفوا شرائعه
فلم يرد احد منهم على كـدر

ومنهـا :

من لى ولا من بهم ان اظلمت نوب
ولم يكن ليلها يفضى الى سحـــر

من لى ولا من بهم ان اطبقت محن
ولم يكن وردها يدعو الـى صدر
من لى ولا من بهم ان عطلت سنن
واخفيت السن الآثار والسيـر

المعتمد ابن عباد :

اما العاصمة الثانية فهى اشبيلية التـى تولـدت صغيرة ثم ما فتئت ان ترعرعت واتسعت حتى ضمت قرطبة نفسها كما ضمت عاصمة بنى حمود بالجزيرة الخضراء وعاصمة بنى قرة بروندة وعواصـم مـوروز واركس وولبة ونبلة ، وشلب وشنتمرية وغيرها .

واشتهرت فى ميدان الادب بالمعتمد بن عباد ، كما اشتهرت بالوزير ابن عمار .

الا ان هذين القطبيـن فـى الادب يحتاج اثرهمـا الادبى الى دراسة مستفيضة لا يفى بها هذا البحث.

طنجة الحاج احمد البوعياشى

---

1) وفد على الاندلس عام 380هـ (990م) واصبح شاعر بلاط المنصور العامرى، وتوفى بصقلية سنة 1026م
2) وهو عثمان بن سعيد الدانى ولد بقرطبة عام 371هـ (981م) . ورحل الى المشرق استغرق عامين سمع بالقيروان والقاهرة وسمع من شيوخ المقرئين توفى 444هـ (1053م) وقيل بقرطبة حسبما بيد صاحـب الجذوة .
3) معجم الياقوت ، وينقسم العقد الفريد الى خمسة وعشرين كتابا سمى كل واحـد باسـم جوهرة مـن الجواهر .
4) نقلا عن كتاب «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات واعمات من الاعلام» ص 147 ج بع. المطبعة الملكيـة بالمغرب .
5) وهو الاستاذ عبد الرزاق الهلالى العراقى (نقلا عن العلم الثقافى ـ عدد 262)
6) ابن بسام فى الذخيرة
7) قلائد العقيان للفتح بن خاقان
8) تاريخ الادب العربى
9) عن المطمح لابن خاقان
10) من مدينة اصيلة المغربية كان بالاندلس امـاما فى الحديث والفقه .
11) للفتح ابن خاقان فى قلائد العقيان
12) المعجب فى اخبار المغرب
13) ابن بسام فى الذخيرة
14) هؤلاء هم ابناء محمد بن عبد الله المظفر
15) اى لم ينتقل

أثر المبادئ الإسلامية في تقدم المسلمين

خلال عصور الازدهار

الأستاذ عبد الحليم عويس

أساس عقدي : التوحيد

ليس من شك في انه مهما يكن الخلاف بين المستويات التي تمنحها كل حضارة للخاضعين لها ، فان الاسس الفكرية الجوهرية التي تنبني عليها اية حضارة من الحضارات ، هي التي تعكس مدى ما يمكن أن تمنحه هذه الحضارة للمستظلين بظلها .

ان الاسس الفكرية التي تنبني عليها أية حضارة هي الروح التي تشيع في كل معطيات هذه الحضارة لونا معينا او طريقا محددا ، وهي ـ أيضا ـ العامل المحدد للأهداف الانسانية التي يمكن ان تحققها مسيرة هذه الحضارة ، مهما اختلفت اطوارها .

وفي الحضارة الاسلامية يبدو بجلاء ان الاساس القوي الذي هيمن على روح هذه الحضارة ، ووجه مسيرتها ، هو عقيدة التوحيد ، التي كانت الاساس الفكري الاول ، الذي تلقته القرآن ، وظل الرسول عليه الصلاة والسلام ، يبني دعائمه في مكة ثلاث عشرة سنة ، من جملة سنوات الدعوة النبوية التي لا تزيد على ثلاثة وعشرين عاما !!

لقد تجلت روح عقيدة التوحيد في سائر المظاهر السلوكية والنشاطات الخارجية التي انبثقت عن هؤلاء الذين ربتهم تعاليم الإسلام ، على يد النبي صلى الله عليه وسلم او على يد الخلفاء الراشدين او جيل الصحابة والتابعين .

وفي هذه الفترة التي تمثل القاعدة الزمنية والفكرية الاولى للحضارة الاسلامية ، خلت تلك الفترة من كل مظاهر الشرك والوثنية ، سواء في عالم السلوك او الانتاج الفكري ، او التطبيقي .

وكانت آيات الوحدانية التي نزلت في القرآن الكريم من مثل قول الله في سورة المزمل : «رب المشرق والمغرب ، لااله الا هو فاتخذه وكيلا، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا». ومن مثل قوله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : «قل هو الله احد، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد».

كانت هذه الآيات تجد طريقها الشعوري والسلوكي الحاسم في حياة المسلمين ، فتدفعهم الى التزام منهج بعيد كل البعد عن ان تلحق به اية شائبة من شوائب الشرك او الوثنية، وهذا الالتزام بالعقيدة كان له أثر كبير في تحريرهم من استعباد الانسان لاخيه الانسان، وفي شعورهم القوي بأنفسهم كأحرار ليس لاحد عليهم حق العبودية ، مهما تكن منزلته ، فليس هناك معبود سوى الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا انطلقوا في حروبهم لا يستذلهم الخوف،ولا تستعبدهم هيبة العروش الحاكمة المسيطرة على عالم عصرهم ، انطلقوا وهم يوقنون بأنهم سادة «ابتعثهم الله لاخراج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده» ، كما ذكر ربعي بن رستم امام كسرى .

وفي حياتهم الداخلية سيطرت هذه الروح عليهم ، فكانوا يشعرون بمساواة نفسية حقيقية تربطهم بحكامهم وأولياء أمورهم ، ولم يتحرج رجل او امرأة عن ان يطالب بحقه امام أعلى سلطة ، وأن يخالف هذا السلطة اذا بدا له ان القانون معه ، وان يعلن رأيه المستقل دون خوف او وجل .

مظاهر عملية لعقيدة التوحيد :

وقد عكس المناخ الادبي والفني الثائر الواضح بهذه العقيدة ، فلم يعد هناك شعر يتحدث عن اللات او العزى مثلا ، كما ان شعر هذا العصر عمل على تدعيم العقيدة الاسلامية ونشرها ، واتجه كثير من الشعراء المخضرمين الى التكفير عن ماضيهم الشعري، عن طريق وقفات صادقة مع الدعوة الاسلامية في مراحل كفاحها الاولى ، وقد ابى بعضهم بشدة ان يندمج في التزام منهج ادبي معين ، لان ذلك في اعتقاده لم يعد له مجال بجوار القرآن الكريم الذي يضم كل ما يشبع العقل والعاطفة ، ويغني عن غيره، ولم يكن ذلك الا بتأثير العقيدة المهيمنة على روح ابناء هذه الحضارة ، وهي عقيدة التوحيد الصافي .

وحتى في العصور التالية للفترة الاولى من فترات ازدهار دعائم هذه الحضارة الاسلامية ، يعتبر النتاج الفكري الاسلامي خاليا من مظاهر الوثنية ، سواء في الادب او الفن ، و الفلسفة ، و غيرها من مجالات الابداع العقلي ، التي انتشرت في عصور وامكنة الحضارة الاسلامية ، ولم يقف هذا التأثير عند صبغ هذه الحضارة بصبغة خاصة ، وتنقيتها من شوائب الشرك ، وحسب ، بل ان عقيدة التوحيد كانت دافعا للابداع في كثير من مجالات وجوانب هذه الحضارة .

انها اطلقت طاقات الانسان في كثير من المجالات، بعد ان كانت هذه الطاقات مقيدة ، بأكبال الحاكمين، وقيود الذين لا عمل لهم الا فرض الوصاية على العقل البشري ، وارغامه باعراف وتقاليد انزلوها منزلة القانون الالهي او الوضعي .

كما ان عقيدة التوحيد قد اثرت في مجرى الفكر الانساني كله ، وحولته عن طريق الفكر الاسلامي الى فكر يتسم «بالوحدة في الرسالة ، والوحدة في التشريع ، والوحدة في الاهداف ، والوحدة في البناء الانساني ، والوحدة في وسائل العيش وطرائق التفكير ، حتى ان الباحثين ـ كما يقول مفكر اسلامي كبير(1) ـ قد لحظوا وحدة الاسلوب والذوق في أنواع الفنون المختلفة المتناثرة ، بين بلدان العالم الاسلامي ، وفي البلدان التي آثرت فيها الحضارة الاسلامية ، وهي بلا شك بلدان كثيرة تمثل خلاصة الوجود الانساني في عصورها .

لقد تركت عقيدة التوحيد آثارها الكثيرة على الحضارة الاسلامية ، وعلى الحضارة الانسانية التي مهدت لقيام حضارة اوربا ، وان آثار هذه العقيدة لتتجلى بوضوح اذا استقصينا انواع التجديد التي طرأت وأثرت في الحياة الانسانية والفكر الانساني عندما ولدت هذه الحضارة على يد الرسول الكريم عليه السلام ، وعندما انتشرت روح القرآن في الآفاق الانسانية التي بدأت تظهر بعد ميلاد هذه الحضارة على انقاض الحضارات الانسانية .

اساس انساني : تكريم الانسانية

والمتتبع بعمق للاسس الفكرية التي انطلق فيها العقل الاسلامي سوف يلمس بجانب الاساس العقدي ـ اساسا آخر انسانيا ، نتيجة الشعور بمكانة ممتازة للانسان ، وبانه المؤهل لتسخير الكون والسيادة على مظاهر الطبيعة.

ومن الصعب ان نجد في التراث الاسلامي تحيزا عنصريا يقوم على اساس احتقار اجزاء من الانسان لمجرد لونها او جنسها او لاى اعتبار مادى آخر ، ان الافضلية للقيم وحدها ، سواء انتمى اليها الابيض او الاصفر او الاسود ، فلا شيء غير القيم كاساس للتفاضل ، ومع ذلك فللانسان حقه الايجدى في التكريم ، وله كرامته باعتبار انه آدمي ، كرمه وحمله أمانة الفكر والتكليف وقيادة الارض .

اساس حضاري : العلم

انه ليس من الامور العادية ان يكون استهلال دين سماوي هو ذلك النداء الذي اصبح شعارا ضخما ملء سمع الإنسانية وبصرها، «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم» .

---

1) هو الدكتور مصطفى السباعي في كتابه : من روائع حضارتنا .

لقد استهلت حضارتنا بهذا النداء الخالد : «اقرأ» ولقد تحدد بهذا النداء ان هذا النبي الامي العربي «انما بعث معلما» وانه قد نيط به أن يفتح للانسانية عصرها الجديد الذي ستمخر فيه عباب البحار وأجواء الفضاء .

ان هذا النبي الكريم قد فتح عصر العلم ، لكن الله سبحانه قد اراد ان يكون هذا العلم، باسمه ، ينطلق منه ، ويهدف اليه ، سبحانه ، لا ان يتحول العلم في اذهان بعض الناس الى نهج مخالف للدين ، يقابله ، ويقف على النقيض منه . فالحق ان العلم ابن شرعي للوحي السماوي ، قد استمد جذوره منه ، وعاش في كنفه يوم كان الوحي خالصا من اهواء البشر — قبل الاسلام — ثم لما جاء الاسلام أدنى للعلم مهمته ووجوده من جديد .

ان المسجد الذي بني في المدينة ، كان المدرسة الاولى التي بدأت تخرج فقهاء وعلماء الحضارة الاسلامية الاولى ، وكان الرسول عليه السلام المعلم الاول في هذه المدرسة ، ومع انتصار المسلمين في اول غزوة كبرى خاضوها ضد قافلة الشرك في «بدر» بدأت الحضارة الاسلامية الناشئة تحاول استكمال بعض جوانبها العلمية، وتغرى أسرى بدر ان يفدوا انفسهم ، مقابل ان يعلموا صبيان المسلمين القراءة والكتابة .

ولا مجال للشك في ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفل بكل هذا العدد من النصوص التي تمجد العلماء ، وتحث على العلم ، وتفضله على الجهل، وتجعله وسيلة من وسائل التقرب الى الله سبحانه ، وكأنه عبادة من العبادات .

وتتواكب الاحاديث النبوية مؤكدة ومفصلة ما اجمل القرآن ذكره حول العلم وأهميته ودوره ، وهي تؤكد في النهاية ، ومن مجموعها ، حقيقتين :

الحقيقة الاولى : هي أن العلوم الدينية التي لا تتحقق أمور الدين الا بها فرض عين على كل مسلم ومسلمة يأثم من قصر في طلبها ، ويأثم من بخل بتعليم طالبها .

والحقيقة الثانية : هي ان العلوم الدنيوية او المعاشية الاخرى فرض كفاية ، لا بد للامة الاسلامية من أن تتفوق فيها ، فضلا عن ان تتساوى فيها مع غيرها، واذا لم يقم جزء من الامة الاسلامية بالتفوق في فرع من الفروع ، وتفوق جزء آخر في فرع آخر من فروع المعرفة ، بحيث يحقق مجموع الامة تفوقا متكاملا في سائر الفروع ، بجعل الامة الاسلامية قادرة على الوقوف أمام الدول والامم الكافرة المعاصرة لها ، اذا لم يكن ذلك ، أثمت كل الامة ، وأصبحت عاصية مقصرة في حق ربها ودينها .

ان هذا المعنى الكبير الذي وعاه صناع الحضارة الاسلامية ، قد حفزهم الى طلب العلم طيلة حياتهم من المهد الى اللحد ، باعتباره عبادة ، يتوجهون بها الى الله ، كما يتوجهون بالصلاة طيلة حياتهم كذلك، وعلى امتداد العصور التي كان المسلمون حريصين فيها على الوفاء بأوامر دينهم الوفاء كله ، كان العلم بابا من اوسع الابواب التي اعطاها المسلمون حقها ، حتى اصبحوا — لاكثر من عشرة قرون من الزمان — الامة المتعلمة التي يتوجه اليها ، ممثلة في عواصمها الكبرى طالبوا العلم ، يتعلمون الفلسفة والطب والقانون ، والكيمياء ، واللغة العربية «التي كانت اللغة العالمية الاولى في هذه العصور» وغيرها من فروع العلم .

وكانت العواصم الاسلامية الكبرى ، كقرطبة ، واشبيلية ، في الاندلس ، وبغداد والبصرة والكوفة ، والمدينة، والقاهرة، ودمشق في المشرق ، والقيروان وبجاية وفاس في المغرب العربي .. كانت هذه الحواضر ، بما فيها من اساتذة ، وما تضمه من معاهد وجامعات هي المقصد الوحيد لطالبي العلم — من أبناء الانسانية كلها — في هذه العصور.

ولقد وصل المستوى العلمي في هذه الحواضر درجة عالية ، لدرجة جعلت كاتبا اوربيا «كغوستاف لوبون» يأسف لان العرب هزموا في موقعة بلاط الشهداء، لانهم لو انتصروا في هذه الموقعة لتحقق لاوربا تقدم بناء قيس تقدمها المادي بعدة قرون .

ويعلق كاتب أوربي هو الاستاذ «زوديستون» في مجلة تاريخ الاديان على الحالة العلمية التي تمتع بها العرب في العصور الوسطى ، بقوله : «ان علوم الغرب في ذلك العصر — على قلتها — كانت علوما عربية» . وحيثما جال الانسان ببصره في فرع من فروع المعرفة المختلفة ، وجد للعرب يدا طولى رائدة وايجابية ، ففي الفلسفة كانت مؤلفات ابن باجة وشروحه ، وابن رشد وشروحه ، وابن طفيل صاحب «حي بن يقظان» وابن سينا ، والغزالي ، وغيرهم ، كانت مؤلفاتهم تلك هي مصادر الفلسفة التي تتلمذ عليها الاوربيون .

وفى الرياضيات والطبيعيات لعبت كتب كثير من العلماء المسلمين الدور الريادى بالنسبة لحضارة الاوربيين ، ومن هؤلاء العلماء جابر بن حيان ، مبتدع علم الجبر ، الذى سمى هذا العلم باسمه ، واشتهر «أبو عبيدة مسلم» بعلم الحساب ، وأبو محمد عبد الكريم فى زمن الحاكم بالهندسة ، وكانت مؤلفات الخوارزمى فى الجبر والمقابلة ذات مكانة خاصة لدى الدارسين الاوربيين ، وكما أن ابن الهيثم كان المصدر الذى استقى منه الاوربيون فى العصور الوسطى أبحاثهم فى البصريات ، فان ابن سينا كان المصدر لفروع كثيرة من فروع الطب .

وفى الاداب والفنون لعب المسلمون دورا خطيرا فى تطوير الفن القصصى، وشحذ الخيال ، وخلق نزعات التطلع والاستشراف ، وكان لالف ليلة وليلة ورسالة الغفران للمعرى ، أكبر الاثر فى تحقيق دفعة قوية فى الآداب الاوربية وغيرها من الآداب الانسانية .

وكذلك ترك العرب بصمات قوية فى الفنون ، من زخرفة الى عمارة ، الى موسيقى ، الى غيرها من اعنون المعروفة فى عصرنا .

ولن يتعب باحث منصف ، مسلم او غير مسلم ، من ان يجد الاصابع القوية الاسلامية ، موجودة بجلاء اذا هو تنقب جذور اى علم و فن من العلوم او الفنون المعروفة الآن .

وليس من الانصاف ان يحاول الكثيرون اسدال ستار من النسيان والتجاهل على هذا التاريخ الحضارى فهو البداية الوحيدة لتاريخنا ، وهو الاستجابة القويه لتعاليم الاسلام ، وخير من هذا التجاهل ان نستفيد من هذا التراث ، وأن نضيف اليه ما جاد به العقل الانسانى بعد ذلك، وأن نبدأ من هذا وذاك بناء طابق جديد نستطيع ان نطلق عليه «الحضارة الاسلامية الحديثة» فذلك فضلا عن كونه التكريم الواجب لهذا التراث والاحياء الحقيقى له ، هو ايضا ـ وفى الوقت نفسه ـ الاستجابة الواجبة لديننا الذى بدأ قرآنه بنداء «اقرأ» وهو ايضا درء لاثم التقصير الواقع علينا، وعبادة نتقرب بها الى الله ، ومن سهل طريقا للعلم، سهل الله له به طريقا الى الجنة .

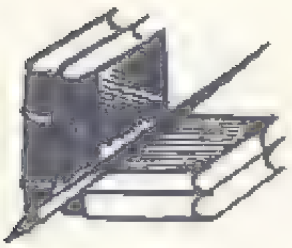

نماذج من أدب الصحراء المغربية وأدبائها

2

للأستاذ شبيهنا حمداتي ماء العينين

لا تمثل هذه المقتطفات كل شعر الشيخ امربيه ربه كغيره من كل من أوردت نماذج من شعرهم لكن الوقت لم يسمح بغير هذا منه .

4) محمد بن ابوة البوحسني لا زال على قيد الحياة من قبيلة اداب الحسن المعروفة بالجنوب بعلمائها وشعرائها وقد قال بعض شعرائها :

انا بنى حسن دلت فصاحتنا
انا الى العرب العرباء ننتسب

ان لم تكن بينات اننا عرب
ففى اللسان بيان اننا عرب

ومحمد هذا من المتضلعين فى علوم الحديث والاداب العربية وهو من اساتذة الشيخ محمد الامام المذكور قبل « ولابن ابوة ديوان شعر من مجلدين » غالبيته فى المدح ، النسيب ، الغزل ، الفخر وفى الوطنيات ، من ذلك قوله سنة 1956 بين يدى جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه .

سرت بسرور الوامق الصبا مهدد
فطاب له ديدانه العدو والعدد

وباتت ترى فى الغرب شرقا بهيقل
مشارفه فى غرب جفنى توقد

فيا لك من ويل سفير له الكرى
وحال سهاد دونه يتهجد

على الناى من سلمى تماطل وصلة
نصيف نشتوا فى المطال وتبعد

ولا بدع فى خلف الغوانى ونايها
فانجازها خلف وموعدها غد

ومنها :

احبابنا هلا ذكرتم عهودنا
ففينا لكم طرف الوداد ومتلد

ومنها :

وفى كل انحاء البسيطة معلن
بانضاح فتح الحق منش ومنشد

وهاتيك اكمام البشائر ضحكا
لان برز الملك الامام المحمد

هو الملجا الكاسى بكل فضيلة
سلالة املاك الملوك محمد

الى ان يقول :

خرجنا بكم من كل موقف حيرة
ومخسفة والارض تشقى وتسعد

الى ان يقول :

وفى كل يوم نستجد روية
بها الحق يعلو والخيانة تبعد

حتى يقـــول :

وبـارك فيكـم والذى تحت حوزكم
وفى من لـه امـر الخلافـة تعهـد

وفى شعبـك السـامى وفى زعمائـه
وفى من اليكـم بالصـفـا يتـودد

رجع استاذنا الى مدينة الصمارة وهى تحت نير حكم الاجنبى بعد ان كانت مركزا لانطلاق فصائل المجاهدين فانشا يقول :

فى حـرة السلـوان حـى دوائـرا
واذكـر هنـاك جهابـذا وجـاذرا

دور عفـت وكفـى بهـا معمـورة
شوقـا فكيف بهـا يبـابـا دائـرا

عمـرت بنـا فى عضرة ونضـارة
مخلت وصـار بهـا القلوب عوامـر

مـا اسارت شقق النوى من حيهـا
الا التذكـر والخيـال والـزائـرا

وقـد امتـدح المرحوم الاستاذ علال الفاسى بقصيدة من أجود شعره عدد فيها بطولات الشعب المغربى مدى التاريخ مطلعها :

املـت امـام بـان عـراك مـلال
من حبـهـا مـا هكـذا الامـلال

ومنهـــا :

بل نحن ظـراف الصبـابة والهوى
نـغـشـاه نعلـم انـه قـتـال

ايـام فى عـز العتـاقـة والهنـا
للـدهـر فى دورانـه اقبـال

لا نحتسى رنق الصدود ولا النـوى
يرتـاح فـيه لبـيـننـا الجمـال

ومن وطنياته قوله فى امير المومنين جلالـة الملك المعظم الحسن الثانى ايد الله ملكه :

لله عـرش فى جـلالتـه أزدهـر
بالحـق والديـن الحنيـف وانبهـر

فيه أزدهى ربـع الشريعة وانـزوت
عنـه المكـاره والمفاسـد والعبـر

ومنهـــا :

قد كنـت جالـب عزهـا ومقيمـه
والدافـع الـوزر الصبـور المنتسر

وقال بين يدى جلالة المغفور له محمد الخامس فى مؤتمـر عقد سنة 1958 من اجل قضية المناطق المغربية المغتصبة :

ربـع تـابـد بعد الخفض غامـره
بالحـزم وانتصبـت فيـه غوامـره

قد ضاق عن اهلـه قـد غادروه ولا
قالـين وانتصبـت فيـه عيـافـره

الى ان يقـــول :

والحمد لله قـد راجـت لـه قيـم
من نجـل يوسف والتـأمت مفاخره

واهتـز خاشعـه واخضر ذابـلـه
جيـدت اجـاد بـه جدت دوائـره

الى أن يقـــول :

فـرع النبـوة شمس الديـن معقله
وطاب فـرع الذى طابت عنـاصره

وله عدة رسائل شعرية منهـا على سبيـل المثال يخاطب الشيخ الامـام :

بـان الاحبـة والمبـد كـرام
حتـى الكـرى فخيـالهـم مصرام

من بعد مـا حبكت حبائك وصلنـا
وامتـد فـيـه ارائـك وخيـام

ولـه وصفيـات كقولـه :

للـه مـا من لطـفـه المقـدور
افضى بنـا فى لبـسـة المـاسور

من كاب خوب الى قبـالـة ايفـن
يـومـا وليـلات على القـرقـور

ومنه بعد ان استعرض مقامه بجـزر كنـارى لتعذر نزولها بايـفـن :

ضفا بها شعثا كفية رنا
فرب اللغى واللون والمسطور

نعم الرقيق لمن بها درهامه
وكذلك فى صنعا ونيسابور

له عدة مديحيات واسلوبه فى الغزل والمدح ادق تعبيرا واسلم من التعقيد الذى يشوبه عند تعرضه لغيرهما وفى الجملة فهو وابن العتيق ، والشيخ الامام من ابرز شعراء الصحراء بعد بن الطلبة وجماعته ومن تلاعب بن آبوة بالعبارات قوله :

من لشيخ محنك امجنوب
جنبته احدى جوار النوب

غادرته محبوب قب ولما
ان تبالى بحبها المحبوب

سلبته لب ذى اساليب عقل
سالب بال سالب مسلوب

وهي قطعة استرسل فيها على هذا المنوال وقد قال ايضا :

باذن الله عن كثب سنلوى
صدور اليعملات الى سنلوى

لدار لا سلو يروق عنها
وتسلى كل ذى حضر وبدوى

بها ما اختير من ادب ودين
وعلم صين من غلط وسهوى

ومن جماع محمدة وحسنى
ويخطو نحوها فى كل خطوى

سموح لا تغيره الدواهى
ولا نزع العفاة بأى دلوى

5) الشيخ محمد المامون بن الشيخ محمد فاضل بن محمد :

اعدلى حديث الشعب من كل جانب
بعيد انطماس الشعب دهر الاجانب

وشنف به الآذان واصدع بأمره
وساقى حميا وصفه كل شارب

وعطر به النادى ومغنى ومسجدا
غدا منكرا من عرب قس وراهب

وحل به اعناق شعب تعطلت
وكم سجلت بالحسن فوق المناكب

عدد فيها ما جره علينا التخاذل والركض وراء الاطماع الشخصية على حساب المصلحة الوطنية حتى اصبحنا عبيدا لاولئك الذين كانوا من جملة اتباعنا يوم كنا نبحث عن السيادة مقدمين راحة الابدان وسلامة الانفاس كثمن لها ثم مجد انتفاضة الامة التى اعادت مجدها التالد ، وهو من الذين شاركوا فى كفاح عبد الكريم الخطابى ، وله عدة قصائد انشدها بتلك المناسبة .

6) فتى بن سيدى امين بن الشيخ محمد المامى :

هذا شاعر له اصل عريق فى العلوم وتعاطيها ميال الى النكتة الشعرية ، وهو من ابناء اقليم وادى الذهب استعمل من النقد ما يقارب الهجو مع سلاسة فى التعبير ولباقة فى تناول الموضوع . من شعره :

ابى الدهر الا ان يكون مروعا
بجلب الذى يخشى الفتى وهو ينظر

اذا ما توفى جانب الروع راعه
من الجانب المامون ما كان يحذر

ومن فخره قوله :

تسائل عن ابى سلمى وعنى
وقد حلى الزمان بنا وتاها

سلى عنا اذا لم تعرفينا
فطيمة او سلى عنا فتاها

انا وابى لباب بنى خبيب
فسيدها ابى وانا فتاها

قيل انه زار احد احياء تيروس ، ومكث عندهم هو وزملاؤه ليلتين فى ضيافة لا تناسب مقامه فانشد فى احد تلك الايام يقول :

مات الغذاء لدينا اهل ذا الافق
والخطب سهل اذا كان العشاء بق

ولست احسبه يبقى وقد ذكرت
عوائده أنه في آخر رمق

وفي الهجاء قال :

أبلغ محمد محمود تحيتنا
وقد يحي الفتى من ليس يعرفه

أن امرءا في ذرى العلياء منزله
ووارث المجد بين الناس يقطفه

مائن تليق به الا مخدرة
في صونه العرض مهما غالب تخلفه

الرأي عندي ان يهدي لزوجته
هدية من طلاق فهي مصرفه

ومن غزله :

تعلقت سعدى لا أحاول ريبة
وان كان بعض الزائرين مريب

منعمة شاب القبول بهاءها
وما كان حسن بالقبول مشوب

الطبقة الثالثة :

1) محمد بداتي هيبة :

كان رحمه الله وطنيا متحمسا متأثرا بشعراء الاندلس ومن وطنياته قوله يحث رفاقه في سجن الجزر الخالدات سنة 1958 على الصبر والتشبث بالمبدأ الوطني الوحدوي مهما بلغ تعذيب المستعمرين .

صبرا صحابي فالنجاح لمن صبر
والحر يعرف في الشدائد والخطر

والسجن ليس بضائر ان كان من
اجل الدفاع عن البلاد لمن نظر

ومقامكم بالخالدات مخلد
مجدا لكم والمجد اسمى مدخر

الى ان يقول :

فالحق الاستقلال لا يعطى رضى
بل انما بالسيف كرها يعتصر

وهي ملحمية اشرت الى مطلعها في باب الملحميات وفي سنة 1947 حاولت اسبانيا تقسيم الصحراء الى مناطق تفوذ كل واحدة اطلقت عليها اسما يلائم طبيعة استقلالها فانشد :

قوله :

أصبو بتلبسي لحسب الوطن
وبه اعتزازي مدى الزمن

لم لا يعز علي والايمـ
ـان في حب الوطن

لا اخرجن عن حبه
او تخرج الروح البدن

ومنها :

فالحر في حريـة الاو
طان يسعى والامن

ومنها :

او يطمئن الحر للاذ
عان لا لا يطمئن

فالقبر اوطا لامرئ
تحت المذلة مستكن

ومنها :

لن اشتري الاعداء خيـ
ـرات البلاد بلا ثمن

والى الاهانة اهلها
باللجم تقاد او الرسن

فستقلن لهم بنو
وطني ظهر المجن

على المغاربة الجحافلة الاسـ
ـود مدى الزمن

وتعيشهم من عزة العـ
ـز المذلة والوهن

والخير من ذاك الفنى
والخوف من ذاك الامن

وفي سنة 1956 زار الملك فيصل بن غازي المغرب وهي اول زيارة يقوم بها ملك من المشرق للمغرب فانشأ بالمناسبة :

ماذا من البشر لاقى كل انسان
بما التقى الملكان العقريان

لقا به الدين مسرور وعينه
قريرة اذ هما للدين عينان

فليفخر الغرب ان اضحى بمطلعه
شروق شمسين سلطان فسلطان

زار بن يوسف تاج الغرب سيدنا
تاج العراق بن غازى فيصل الثان

ولم يزر ملك من مشرق ملكا
فى مغرب قبل هذا هاشميان

وله عدة قصائد قالها مدة اقامته بالسجن كلها حث على مواجهة جهود المستعمر الرامية الى فصل الصحراء عن المغرب بالتحدى والثبات حتى تتم وحدة الوطن مهما كلف ذلك من ثمن والحمد لله الذى لم يخيب للوطنيين آمال الوحدة على يد قائد البلاد نصره الله .

وفى مدحه يقول محمد سداتى :

والله لو عدل الملوك وجاروا
لن يبلغوك ولو حروا اوطار

شىء به خصصت من بين الورى
اذ خص مغربنا بك القهار

الى ان يقول :

وكذلك الصحراء بعد أنفن
بهما العدو الغاشم الجبار

مولاى جرد صارما نقتضى به
من عزمك السامى لنا أوطار

وفى مدح جلالة المرحوم محمد الخامس قال :

فسما ونال مكانة الجوزاء
اليوم مغربنا على الارجاء

بوجود مولانا الامام محمد
الخامس السامى ذرى العلياء

وبعد ان عدد ما قام به مقاومو كل مدينة من مدن المملكة قال فى شأن الصحراء :

فهم الرعايا انتم امراؤهم
والناقذون لهم من الضراء

والناطقون بحكمة وافاده
والصامتون حيا عن العوراء

2) محمد الكبير العلوى

لا يحتاج الى تقديم بل فقط يمكن ان نضيف الى ما يعرفه الجميع عنه بانه استحكمت فى نفسه الوطنية حتى امكن القول بانها هى التى دفعته الى تخصيص جل وقته لايقاظ مشاعر ابناء الجنوب بقصائده التى كانت كالصواعق فى آذان كل الخونة وردا وسلاما عند جميع الوطنيين مثل

قوله :

الارض تبر والسماء زبرجد
والافق نور والطوالع اسعد

عدد فيها مفاخر الامة المغربية وكفاح العرش من اجل سعادة كل المواطنين ورأب ما علق بهياكل الامة من تصدع نتج عن حكم الاجنبى طيلة اقامته ببلادنا .

وكقوله :

هى الليلة الغراء اشرق مولدا
والعد اصداء واعظم مقصدا

اطلت على الدنيا بمطلعة فجرها
ومولودها الميمون فاتضح الهدا

واشرق نور الله فى الارض والسما
يشع ويجتاح الظلام مبددا

وقد شدت العليا باعذب نغمة
سرورا وغنى الدهر بطرب منشدا

وقد تاهت الارض ازدهارا وغبطة
وبثت سماء السؤال باسطة يدا

وهى طويلة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم امتدح فى آخرها جلالة الملك ولفت النظر الى ما تواجهه صحراؤنا آنذاك من خدائع ومؤامرات

ومثل قوله ايضا :

الدهر عن وجه المسرة مسفر
والحب يشرق والبشائر تغمر

ومنها :

ورأيت في الصحراء شعبك موثقا
قد عاث فيه المعتدون وتبروا

3) ماء العينين يحجب

من الذين يكاد يكون جل كلامه نظما وهو من الذين نسجوا القريض في الوحدة مكررا كأنما الخيال الشعري أوحى اليه بنوايا المستعمر قبل اظهارها للمواطنين ، وابان نكبة المغرب بنفي الاسرة المالكة عثر يحجب على صورة لصاحبة السمو الملكي الاميرة الجليلة للا عائشة باحدى الصحف الاسبانية وهي بسجن مدغشقر فانشأ يقول :

ايا عين جودي بالمدامع ذي عبر
يذوب لها الصلد الاصم من الحجر

وتنفطر الاكباد حزنا وتصطلي
شرارة حر يجلب الحزن والكدر

وما ذاك الا ان رأيت صورة
لعائش بنت المليك الابي الاغر

بذالكم المنفى السحيق وان ذا
لمن افظع الاشيا وفي منتهى الخطر

مدغشقر اعني وان كنت واثقا
بان لا يرد الدهر ما شاءه القدر

بسجنك تلقى اسرة علوية
تدور بشهم دورة الشهب بالقمر

محمد المحبوب خامس خمسة
بذا لاسم في سمط الملوك هنا اشتهر

عليهم دما الشعب في كل لحظة
يسيل بساحات المعارك كالمطر

رجاء رجوع الملك للشعب سالما
بانجاله ما يرتجى فيهم انحصر

وما دام لم يأت الجميع مصمما
على عزمه والنصر دائما لمن صبر

ومنها :

وعما قريب سوف تظفر بالمنى
وتعلو اعلى من ضل او خان او غدر

ويأتي امير المومنين بآله
على رغم انف الحاسدين ومن كفر

وله عدة وطنيات اشرت الى بعضها في مكان آخر غير هذا ، منها قوله :

من كجيش التحرير يوم الجلاد
وتعاطي سمر القنا في الجهاد

وهي تربو على مائة بيت عدد فيها كل الاماكن التي هجم فيها جيش التحرير المغربي على المواقع الاسبانية بالصحراء خلال سنوات 57 و 58 و 59.

ولا تخلو مناسبة الا وللقاضي يحجب فيها قصيدة ولم يبق شاعر من ابناء سوس والصحراء الا وله معه مشاعرة لا تعوزه العبارة ولا يوقفه الوزن الشعري .

ومن مدحياته قوله :

الشعب يفرح يومنا برجاله
ونسائه وبناته اطفاله

الى أن يقول :

ملك البلاد وجلالة الحسن الرضى
ثاني السما ملكا يرى من آله

وبعد عام على رجوع ايفني الى الوطن قال قصيدة مطلعها :

على مثل هذا اليوم قبل ومن بعد
يحق على ذا الشعب للخالق الحمد

لقد تم في ذا اليوم عام وايفني
طليق وحر كل ساكنه يشد

يشكر امير المومنين وكيف لا
وللمغرب الاقصى هو الاب والجد

ومن قصائده الوطنية قوله :

الحرب تعلم اننا الابطال
دهرا بنا قد تضرب الامثال

وهي من ملحمياته التي عدد فيها جميع معارك المقاومة الوطنية في مواجهة المد الاستعماري وكذا معارك جيش التحرير من اجل استرجاع الصحراء

وبين هذا وذاك المقاومة الوطنية من اجل رجوع الاسرة المالكة وحصول على استقلالها .

4) الشاعر عبد السلام :

شاعر فطري موهوب متواضع بحفظ تواتر الادب العربي له ضلاعة كبيرة في اللغة العربية - وسرد يمتاز بالسلاسة وقوة التعبير بين عدد الوصف والقصص وتدوين الرحلات يشعره ليس مداحا ولا متغزلا . من وصفياته :

مال الحمام اهده اعياده
لحضور حتى تسور ساعده

صدعت سواجعه قبيل الفجر كي
ما يفرق من الكرى هجعاده

ما ان تبين لمن صفي الفظها
ويروق من سمع الغنا ترداده

وهي تربو على سبعين بيتا ، وله في وصف جبال كتامة في شمال المملكة ، وقد انشأها سنة 47 يتذكر فيها كتاح عبد الكريم الخطابي :

جبال كتامة الشم الطوال
تطول الشامخات ولا تطال

فتكاد تناطح الجوزاء طولا
وما ادريك ما تلك الجبال

معاقل اهلها ولمن يغاهم
يسوء دون غايته عقال

لتشد خط الكفاح لاهلها من
صفوف المجد اسما ما يقال

ومن وصفياته قوله :

دق المصيف عليتا الباب او لجا
مدن الاذاوى الينا وافتح الدرجا

وارفع ملابسنا الا الخفيف كفى
ما قد توارى به من حره المهجا

ومهد القبة الفيحاء وأجن لنا
من مشتهى ثمر البستان ما نضجا

وبركة الميو لا تترك بساحتها
مرءا يغص من مرائنا سمجا

ومن شعره القصصي قوله :

وسيارة جوفاء ، تحمل كلما
تحملها من ثقلها عصب السفر

تسير كما شاء المسافر سرعة
وطورا وما تدري الهضاب من القشر

الى ان يقول :

وما انسقت اذ لم تسر بالسفح يائسة
لتظفرها بعد بالتظفر المثمر

ولم تجد الحواء الجديدة ذرعى
سقاها الدجى عنها بقاصفة الظهر

الى ان يقول :

وراع البيضاء خرمة حسبنا
قمرت بنا من بين حيطانها تجر

واعجب ان ما ترتاده حسن بلدة
لما زينتها قيد باع ولا شعر

وما ربطتها بالربيط روابط
وتأثر في اعصاب الهضاب من الضمر

ومن تذكره لايام الصبا قوله :

ساب المشيب غلالة من شبابي
كنت البسها مع الاحباب

واعللت بالخضاب ولكن
صلع الراس حال دون الخضاب

ومن وطنياته قوله :

الحق يرفع والاباطل تخفض
والحكم حكم الله ما لا يفسخ

انا بنى الصحراء تحت الراية الحمـ
ـراء نحمد ما تشاء وترفض

لا فارق لا حاجز لا حائل
ليحول بين بلادنا ويبعض

وله عدة قصائد في الغزل والرثاء والوصف والمحاورة وتذكر الديار والحنين الى الشباب .

5) الشيخ ماء العينين لا رياس

يمثل قمة الشعر الحديث بالصحراء له عدة قصائد في الوصف ، والحكم ومديح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي قضية الصحراء ، وفلسطين ؛ وفي وصف الاماكن الجميلة بالمملكة ؛ ومن وطنياته قصيدة عدد فيها شمائل الاباء والاجداد ثم استحث فيها همم الوطنيين المغاربة على الوقوف من أجل استرجاع الحقوق الشرعية في صحرائنا ، ومطلعها :

بقي وطني لازلتم منزل الشعرا
علو وأولادكم من الخالق البشرا

نما منكم الا تقي مشرف
يحل مقام العز فضلا أو القبرا

فانتم اباة الضيم بالله شمروا
والرشد فادعوا قومنا وضحوا الامرا

وعار على ابناء مغرب ترتضي
حياة ذليل ذكره دنس العصر

قد استعمر القوط لدنيي بلادنا
ومص لباب الارض واحتكر القشرا

وكم من نساء الحي أيم جيشه
ويتس عرض البكر واختطف العذرا

وهدم بيت الله دون تورع
وقتل من في الدين قد صرف العمرا

بلادكم يرجو الغصوب اندماجها
ليجعلها من أرضه انفا قطرا

وكانت بلادي جنة فساق وصفها
فابد لها نارا لنا طد الجمرا

وبعد استعراض طويل باسلوب بديع اجتمع فيه حسن العبارة مع سلاسة التعبير والسلامة من اود النظم قال :

فان لم تسر أسبان م الساقي الجمرا
ترى من دم الاحرار ساقية حمرا

فانا دعاة السلم ان جنحوا لها
والا فنار الحرب نسعرها سعرا

أيا حسن خير الملوك ومن به
حباتا اله العرش بالنعمة الكبرا

نهاهم رعاياكم وخدام عرشكم
ينادونكم مما الم بهم قيرا

أنقذت من الاعداء حوائر أرضنا
فانقذ من الاعدا مغاربة الصحرا

وخلصهم من غاصب ليس مرعوى
يروم بأقصى جهده القطع والبترا

6) الاستاذ الدرجاوي محمد عبد الرحمن المسلوي :

عفت الديار بتكمية الاحساء
لتعاقب لا صباح ولا مساء

يالست اطراف البلاد تلاطمت
يوما فما ابقت سوى الاشلاء

كي تستريح من الطغاة بفقدنا
ويبعدهم في كفي أرزاء

ولا ينسى في دور الوطنيات ، والادب بصفة عامة الباشا البيضاوي الذي خلد مآثر العرش في مديحيات جميلة وكذلك في ميدان الغزل والنسيب وهو من شعراء الطبقة الثانية .

7) الشاعر الاستاذ ابو بكر امربيه رب : من نماذج وطنياته :

هو الدهر والاعلام اعصرها الغرر
تباهى بعيد الملك سيدنا الاغر

هو الحسن الثاني لكيد عدائنا
وثاني الملوك الغر للشعب منتصر

تهنئكم بالعيد يا خير عاهل
على قمة العلياء ابهى من القمر

وله ايضا قصيدة مطلعها :

هبو من الغفلات للاوطان

تالها سنة 1954 كلها توجيه للمواطنين هنالك ليساهموا مساهمة فعالة في الكفاح من أجل استقلال ووحدة الوطن .

وفى احدى القصائد التى وصف بها منظرا طبيعيا فى احدى واحات الصحراء قال :

فالجو صاف مسفر ببهائه
والروض أزهر ناضر الالوان

اشجاره ملتفة أفياؤه ممتدة محفوفة الاغصان

وفى وصف الطائرة قال :

واذا الحديد تحاورت
آلاته بلغاتها قرب البعيد الاسحق

فكأنها والبيد تسبح تحتها
سهم يراش من الرمية يمرق

ومن نماذج غزله قوله :

ثن اذرف الدموع من الآماق
كذاك اخو الهوى عند التلاق

فلما ان دنوت منعت وصلى
وانى مخلص فى الود باق

ومن الذين خصصوا انتاجهم الشعرى للوحدة الداه محمد الذى يقول :

صحراؤنا اهدى اليك تحية
مشفوعة باليمن والتعظيم

فتضالك العيون جاء لوقته
والله يعطى النصر للمظلوم

فانهارت الاعداء لفاعلنا
وغدت أوامرهم من المعدوم

فالمغرب الاقصى جميعا ارضنا
ولا نرتضى التقسيم للمقسوم

وكفاحنا من اجل وحدته معا
وهزيمة الطاغى الدنى المهزوم

هذا هو طابع شعره وله ديوان خاص بالوطنيات ، يمدح امير المومنين فى شتى المناسبات وما من جريدة صدرت من أجل الصحراء الا ونشرت عدة قصائد للداه الذى تولى مراسلة جميع الصحف الوطنية من قلب مدينة العيون ابتداء من سنة 1954.

ومن نماذج الشباب فى الوحدة قوله :

باسم النضال وباسم الحق والامل
تبدو طلائعنا فى ساحة العمل

شعارنا وحدة بالعزم نأخذها
بالشيخ بالطفل بالانثى وبالرجل

لن ننثنى ابدا عن حق امتنا
فى خوض معركة مثلى بلا كلل

لن نبق شبرا مضا من ارض حوزتنا
ولو حصى رملة فى سالف الازل

ابناء قومى بنات الشعب حذركم
من مكر مغتصب وظل منفصل

وخائف مخلف وحشد مرتزق
وريبب مشتره وتعل منتحل

... الى آخرها ...

وفى المحاورة كان جلها انحصر عندهم فى الغزل ثم المديح المتبادل بين المتحاورين لذلك فقد اوردت متنطفات منها لاظهار اسلوبها لا غير ، من ذلك قول الشيخ محمد الامام وابن العتيق وقد نزلا ضيوفا باليغ وحضرا ندوة ادبائه التى يطلق عليها العلامة المختار السوسى ندوة العجم والعرب قال لهما الاستاذ عبد الله الافرانى :

اهلا اسيدنا الامام والعلم
ماء العين من بهما قد ضاقت الظلم

اقبل والله لى السعد المبين بطلعة محييكما وزالت الغمم

فمرحبا بكما خير الورى كرما
فانتما خير من وفت لهم ذمم

فاجابه ابن العتيق :

جزيت بالخير با من دابه الكرم
لا يعتريك وني عنه ولا سام

فمن ينخ بك عبد الله راحلة
عن قلبه يبعد الايحاش والغمم

دامت بنا وبكم موصولة رحم
وانما رحم الاداب ذى الرحم

ثم اجابه محمد الامام بقوله :

فبوركت عبد الله نجل محمد
كريم السجايا طاب الاصل ماجده

تلقيتنا بشرا فقلكم فيكم
ايا آل عبد الله اكرم قاعده

ابوك الذى عمت مزاياه فى الورى
ولا عجب ان شابه النحل والده

وكتب الشيخ الامام رسالة الى الاستاذ المرحوم سيدى الطاهر الافرانى ذيلها بقصيدة منها :

سرى امامك بالذميل وبالعنق
وشحوب لونك فى هجيرك والعرق

حيى بناخى عند نجل محمد
ذى المكرمات الغر والطبع الارق

فاجابه سيدى الطاهر بقطعة منها :

يا مرحبا بك من امام قد سبق
فى المجد حتى لا يجارى فى طلق

يا ابن الاولى حازوا فخارا وفتحوا
من كنز اسرار المعارف ما انغلق

يا شمس فضل اشرقت مع مطلع العلى
فجلى نورها ظلم الغسق

وفى مدينة تطوان احتفل نادى الوحدة بمقدم امريه ربه ورفقته لما عرجوا فى طريقهم الى الحج على تطوان حسب ما ذكرناه ، فانشد الاديب السيد ابراهيم بن الحاج على الالغى قصيدة امتدح بها محمد المصطفى امر بيه ربه مطلعها :

خطر النسيم مبشرا بالاسعد

ثم قال الشاعر الاستاذ ادريس الجاى قصيدة مطلعها :

نفى عن جفون النوم بعد سهاد

فاجاب السيد ماء العينين بن العتيق بقوله :

الشعر فى يد الخليل بمقود
يلقى وللجاء يجىء طوع اليد

الى آخرها ...

وارتجل فى نفس المجلس الاستاذ عبد الوهاب بن منصور قوله :

ان جيد العلى بكم قد تحلى
وشعاع الصلاح منكم تجلى

وغرام فى الله يجمعنا اليو
ـــوم وحب الاله كالشهد احلى

ايها الزائرون شرفتمونا
مرحبا بالكرام اهلا وسهلا

فاجزنى يابن العتيق اجزنى
انكم فى الشعر اسمى واعلا

فاجابه بن العتيق :

هذه الخمر بل من الخمر احلى
بل هى السحر نفث هاروت يتلى

هى ابياتك التى ملتموها فى
سلك شعر بمنطيع ذو النظم شكلا

رمت فيها اجازتى يابن منصو
ـــور قد كنت للاجازة اهلا

انت فى الشعر والبديع مجاز
قد وجدناك اذ خبرناك فحلا

فقال السيد يحجب بن خطرى :

فى مثل هذا المنتدى كمل المنى
وارى المنى للنفس فى ذا المنتدى

حبى لمن بالمنتدى فى مبتدا
عمرى وآخره يرى كالمبتدى

فقال الشيخ محمد الامام :

جزاكم الله اجمالا واحسانا
اجللتم الصنع شبانا وفتيانا

دلله ما ابصرت عين توادكم
الا رأتكم لعين المجد انسانا

فقال محمد ماء العينين بن الشيخ احمد البيبة :

فابلغوا باوفى ما تطيب به
فخرا من اعظم ترحيبه واطيبه

وليس ذاك الا من سيادتكم
وما من المجد قد ماتوا صفوت به

ومن الذين حازوا قصب السبق في الغزل آب بن عبد الاله :

الجفن يجرى بدمع ليس بالراقى
على مرور عشيات واشراق

والجسم يشكو سقاما من غرامكم
مائن له غيركم في الناس من راق

والعقل حيران من طرف به سحرت
عيني وقلبي بالحاظ وامساق

فانتم اصل ما اشكو من الم
وانتم رقيتي منه وترياقي

قد غص من ظما حلقي بريقه
شوقا كما غص منك الحجل بالساق

ومن نماذج غزل ابن العتيق :

خليلي بي داء الغرام مخيف
وقلبي اذا ما تسعدان خفيف

تعرجا على ريش الجدائل انما
شفا حرفه فوق الخيام منيف

هنالك مغنى ممر مشتى ومربع
لنا ومصيف عنده وخريف

يغازلني بالظلم ظلم غزاله
ويرمحني الحاظه وتسيف

فمعوجا عليه بارك الله فيكما
فان هواه تالد وطريف

وقولا له حياك يا منزل الهوى
مشوق رهين للغرام حليف

الشيخ احمد الهيبة :

ما كنت اول مدفف قد شاقه
زهر الربا وتمايل الاغصان

... الى ان يقول :

ومجالس الفتيات والفتيان في
انس من الانغام والالحان
الخ ...

وله ايضا :

كففت انسجام الدمع فانهل وانهمر
وعاد عقيقا بعد ما كان كالدرر

وابدل من جوى البين والاسى
سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر

وجفن مسى على الفج رفعه
ولا يتأتى فيه ضم وما الكسر

اهم اذا ما شمت برقا يمانيا
وان مست الاغصان في نسيم السحر

وفي الالغيات للعلامة المرحوم المختار السوسي وكذا الجزء الرابع من المعسول لنفس الفقيه عدة محاورات تمت بين شعراء سوس وشعراء الصحراء ، لم نتمكن من استعراضها لضيق الوقت ، وكذلك نماذج من جميل غزل شعراء الصحراء .

والعزم وطيد على نشرها في القريب العاجل ليتم الاطلاع عليها مع جل شعراء تلك الفترة اما الشعراء الحاليون فان المساجلات الشعرية تميزت بكونها خصصت اما لقضية الصحراء المغربية او لفلسطين ، وللاستاذ العلوي محمد الكبير عدة مشاعرات مع زملائه خدمة القضية الوطنية ، وكذلك الاستاذ لارباس ، ومحمد سداتي هيبة وكثير من قصائد شعراء الصحراء المعاصرين خصصت لقضية الامة العربية وقضية الاماكن المقدسة منها قولي :

حوراء تجيش بدمعة هطلاء
اسفا لوقع هزيمة نكراء

هيفاء تنعم بالشبيبة والهنا
لم تستلذ بفائض النعماء

ومنها :

عمرو سلن بجرح يكر مثخنا
وكلب يلهو ميت الاحياء

متعلق بالغرب يطلب مده
اضحى لهم من جملة الخدماء

والعضد للشرق الحقود مؤلها
لينال منه اعانة الحلفاء

ومنهـــا :

ما سجل التاريـخ ابلـد من فتـى
يـرجـو مـؤازرة مـن الاعـداء

ومنهـــا :

قـد هالهـا وضع الزمـان الكريـه
هـام العـروبـة مـهـبـط الالاء

فعلى الشحوب لهـا برغـم شبابها
مـن شـدة الاحـزان والارزاء

الى ان اقـول :

ثـم انشئت والصدر يجهش بالبكا
والدمـع أصـل تعلـة التعسـاء

حتى اقـول :

لا بـد من ضرب الغـزات بشـدة
زحفـا من الصحـراء الى الـزوراء

ومن الخليـج الى المحيـط موحـدا
فى مـوكـب لا يـثـنـى بـبـلاء

وفى نماذج المراسلات حول فلسطين قلت :

يا من تبـوا صدر كل فضيلة وسما
للمحامـد كلـهـا وعـلا السمـا

حاشاك تجهل مـا جرى فى مشـرق
حيث الظلوم محى الهدى وتحكمـا

ذبلت زهور الدين فى حـرم هـوى
تحـت الغـزات العائـين مقسمـا

هل انـت فى كمـد يمـزق صخـرة
ممـا بأرض القدس حـل فاجرمـا

وهي كلها تعبير عن خوالـج النفس ونوازعها ، وما كان يحس به المثقف المغربي بالصحراء من مرارة ازدواجية اقليمه تاخر عن الانضمام الى بقية الوطن مع تنوع الحبائل المرصدة لمستقبله ، وثالث الحرمين واولى القبلتين تتجرع مرارة مؤامرات دولية تقايض فيها كل من مصدر القوتين مع الاخر استهدافا لمصلحته عبر استلاب حقوق الامة العربية .

ولارضنا يبكـى الجميـع نـدامـة
والمعتـدى نهـب البـلاد وقسمـا

وشعائـر الدين الحنيف بكـت لهـا
عيـن الشريعة دمعـة صارت دمـا

وبعد التماس تخصيص الشعر للقضايا الوطنية قلت :

وادفع بـه سيـر الزمـان موجهـا
نحـو العروبة كى يثـوب ويكرمـا

لمن الزمان طوى لهـم مجـد امضى
ومن السفـاهة أن يجـور ويظلمـا

وجهت تلك الرسالة للاستاذ لارباس فانشأ يقـول :

ايـا مشعل العـز المكـرم طالمـا
نفسى تتـوق لتفضحن المجـرمـا

فشعورنـا متبـادل وقلوبنـا
ممـا بأرض الشرق صـارت عليما

لا يجهـل العـربى دهـرا موعـدا
اعطاه بلـفـور علينـا اجتمعـا

الى ان يقـول :

وفحى من الارض العزيـزة اهلهـا
وسقى بكـاس المكـر كـلا علقمـا

ونـراه طبـق مـا يخامـر فكـره
اذ صير القـدس النعيـم جهنمـا

الى ان يقـول :

واذا تـلا عـب عابـث بحقـوقنـا
قـد لا يضر الشمس غيم اظلمـا

ملاحظـة اخـيرة :

ان جل المدائح التى اوردتها قد يتبادر الى الاذهان انها من الشعر الذى يظهر بمظهـر ذاتى ، ولكن عندما نتابع تعداد المواقف الوطنية ، وتوجيه الشعب الى ضرورة تضافر الجهود من اجل استكمال الوحدة باختيار اساليب وجدانية تنفذ الى اعماق كل مواطن لتعبيرها عن احساسه ، تمكنا من الحكم بان

ما علق بتلك المديحيات من ذاتية أصيلة في الاحساس العام الذي وحد التطلع والميول بين الملك والشعب ، لان كسر قيود رقابة المستعمر ما كان للمواطنين الا من طريق التعلق باظهار البيعة لعرش ، والاستمرار في التغني بامجاده ولكونه احدى المقدسات التي لم يستطع المعمر ان يجعلها محل مساومة .

وما حبب لهم العرش والجالس عليه أمير المومنين ابلا فيها هو جلالة الحسن الثاني ايد الله ملكه توج عهد النهضات المغربية عبر التاريخ معجزة المسيرة التي اخرجت الصحراء من فكي اسد فرجعت الى ماضيها التليد وواقعيا الذي لا يمكن ان ننفصل عنه فاصبحنا والحمد لله ننعم بما ينعم به جميع المغاربة من ايادي بيضاء في عهده الزاخر بالمنجزات تشلع بذلك دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين .

حمدانتي ماء العينين

كان من عادة القاضي شريك بن عبد الله النخعي ان يخرج صبيحة كل يوم وقد اكل وشرب ، فما يحتاج بعدها الى طعام او شراب ، ثم ياتي المسجد وهو مجلس حكمه ، فيصلي ركعتين ، ثم اذا استمر في مجلسه اخرج ورقة فنظر فيها ثم يامر بالخصوم فيحضرون .

واراد جماعة من الناس معرفة ما في الورقة ، فعرضوا ذلك على ابنه فاخرجها لهم فاذا فيها :

« يا شريك بن عبد الله ، اذا وقف الخصوم بين يديك ، فاذكر موقفك بين يدي الله واذكر مرورك على الصراط » .

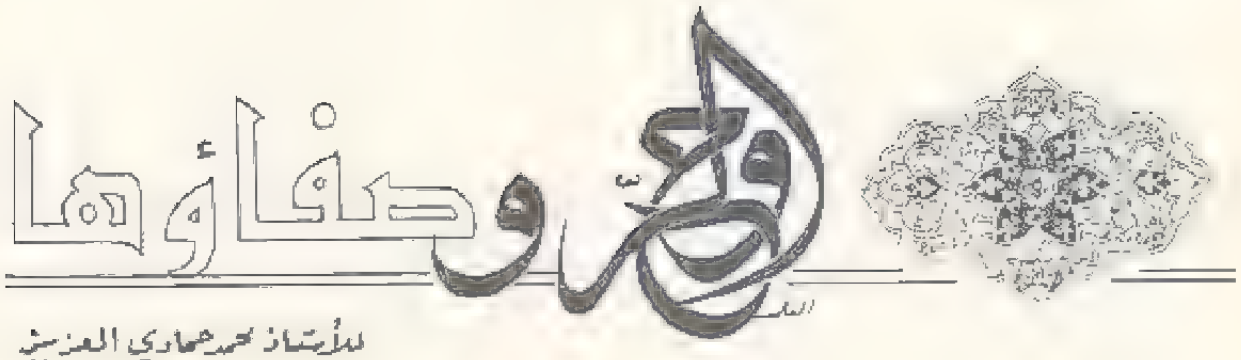

للأستاذ محمد حمادي العزيز

الروح هي الانسان ، وقضاياها وبخاصة مصالرها مهمة جدا بالنسبة لحياتيه في الدنيا وفي الآخرة بعد الموت .

ولهذا يهتم الانسان كثيرا بأمر روحه ، وبخاصة فيما يتعلق باطمئنانها وصفائها .

فكل انسان يحب الراحة والهدوء ، وان كان مفهومه لهما يختلف عن مفاهيم غيره من ابناء الانسان .

ولا راحة ولا هدوء بدون اطمئنان الروح وصفائها!

فالقلق والاضطراب اللذان يعاني منهما الانسان في الواقع الحياتي ليسا شيئا كبيرا وخطيرا بالنسبة لقلق الروح واضطرابها .

ان قلق الروح واضطرابها ليسا فقط على واقع حياتها في هذه الحياة الدنيا ، وانما على مصيرها بعد الموت في الحياة الاخرى .

وقلقها واضطرابها يدفعانها دائما في كل مكان وزمان . الى البحث عن اسباب اطمئنانها وصفائها لتنال الراحة والهدوء في حياتها هذه في دنياها، وفي الاخرى بعد الموت .

وكل انسان يعرف بكل تأكيد ، معاني الراحة ، والهدوء ، والاطمئنان ، والصفاء ، والمصير الحسن.

وهو يعرف كذلك ، دون ادنى شك ، معاني القلق والاضطراب والمصير السيء .

ويلتمسه للمصير الحسن في الحياة الآخرة بعد الموت هناك المقربون وهناك اصحاب اليمين .

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : «فاما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين» (1)

وبالنسبة للمصير السيء فيها فهنالك المكذبين الضالين

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : « فاما «واما ان كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم»(2).

والانسان الرشيد ينشد الراحة الابدية لما فيها من «روح وريحان وجنة نعيم» وسلام وهدوء .

ومنذ القديم جدا تمتع الانسان بالراحة، والهدوء، والاطمئنان ، والصفاء .

---

1) الآيات 89 ، 90 ، 91 من سورة الواقعة .
2) الآيات 92 ، 93 ، 94 من سورة الواقعة .

ومنذ القديم جدا ايضا عانى الامرين من القلق والاضطراب .

ومنذ القديم جدا سلك انسان مهتد رشيد مسالك متنوعة ليضمن لروحه الراحة ، والهدوء ، والاطمئنان والصفاء ، وحسن المصير .

ومنذ القديم جدا لم يال انسان آخر غير مهتد بانقاذ روحه من القلق ، والاضطراب ، وسوء المصير .

والاصل في الروح انها مؤمنة ، وطاهرة ، وصافية ، ومطمئنة لانها تبدأ وجودها في فكر الله الخالق المؤمن الازلي السرمدي ، الطاهر ، الصافي ، المطمئن ، وتتعلق بارادته الربانية وبامره الالهي .

والمفروض انها تستمر في حياتها في هذه الدنيا مؤمنة ، وطاهرة ، وصافية ، ومطمئنة .

ولكن الظروف والاوضاع البيئوية والمجتمعية بما تسود فيها من مؤثرات عقائدية ، وطقوسية ، وتقاليدية ، وسياسية ، وفكرية وغيرها توجه الانسان توجيها خاصا اما الى الايمان ، واما الى اللا ايمان (الكفر ، والالحاد ، والشرك ..)

فاذا توجه الانسان توجيها ايمانيا الى الايمان ، فان الروح تستمر مؤمنة ، وطاهرة ، وصافية ، ومطمئنة ، وتتوصل بعد عمليات تطهير مقصودة غايتها الوصول الى اطهر ، والصفاء ، والاطمئنان حسب سلوك خاص يرتضيه الانسان التواق الى هذه الغاية .

اما اذا توجه الانسان توجيها لا ايمانيا ، الى اللا ايمان ، فان الروح لا تستمر مؤمنة ، وانما تتجه توجيها آخر له مبادئه ومذهبه ومعتقده الذي يتوقف عليه هناؤه المادي في الحياة الدنيا ، وله وجهاته النظرية في الحياة بعد الموت المخالفة تماما لوجهة نظر الايمان بالله .

قد يمكن ان يعود الانسان الذي تم توجيهه منذ ميلاده توجيها لا ايمانيا الى الايمان .

وقد يمكن ايضا ان يكون هذا الانسان مؤمنا ايمانا مكتوما .

وتتنوع قضية طهارة الروح وصفائها واطمئنانها بتنوع الديانات ، والعقائد ، والطقوس ، والفلسفات ، والايديولوجيات ، والظروف والاوضاع البيئوية والمجتمعية ، (واحيانا السياسية) وغيرها من الامور التي تسود في المجتمعات الانسانية .

وما دام الاصل في الروح انها صافية لانها في أصلها مؤمنة صدرت من فكر الله الخالق المؤمن مصدر الايمان والصفاء الازليين السرمديين ، اللانهائيين واللامحدودين ومعيتهما ، فان الرجوع الى الاصل اصل ، كما يقول القول المشهور .

فاذن ، ان كل صفاء للروح يتطلب الايمان بالله الخالق ، والعودة اليه بايمان جازم ، وحب قوي ، وتوبة صادقة ، وانابة وعبادة خالصة بتضرع وخشوع وعمق .

هذا ، باختصار ، هو اصل صفاء الروح وبداية سبيلها اليه .

ولكن سلوك سبيل صفاء الروح امر صعب وشاق لا يستطيعه الا المؤمنون ، المحبون ، التائبون ، المنيبون ، العابدون ، الضارعون ، الخاشعون ، المخلصون .

ومهما تكن في قضية سلوك سبيل صفاء الروح من صعوبة ومشاق ، فان الارادة الصادقة تسهل كل صعب ، وتجتاز كل مشقة !

والايمان الذي هو الشرط الاول والاساسي لصفاء الروح هداية من الله الخالق .

وفي هذا يقول الله تعالى في قرآنه الكريم :

«من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون» (1).

«ومن يهد الله فهو المهتدي» (2).

«انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين» (3) .

---

1) الآية 178 من سورة الاعراف .
2) الآية 97 من سورة الاسراء .
3) الآية 56 من سورة القصص .

«ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » (1) .

وآيات بينات اخرى كثيرة في الهداية موجودة في كثير من سور القرآن الكريم .

واذا كان الايمان هداية من الله الخالق فان صفاء الروح هداية منه سبحانه كذلك .

ومن يهده الله الى الايمان فانما يهديه الى صفاء روحه .

ومن يهتد بهدى الله الى الايمان يهتد ايضا الى صفاء روحه .

ومن يحبب الله الايمان في قلبه يحبب له منه ومعه صفاء روحه كذلك .

هذه بايجاز معاني الآيات البينات السابقة

وعليه ، فما دام الايمان من الله ومن هدايته فان صفاء الروح منه سبحانه ومن هدايته ايضا. والهداية الى الايمان وصفاء الروح فضل من الله واجتباء .

والايمان حب متبادل بين الله الخالق وبين الانسان المخلوق.

وصفاء الروح ايمان قوي جدا، ولذا فهو حب قوي جدا وخالص جدا .

وان كل ما يتعلق بالروح وصفاتها ، بالنسبة للانسان المسلم ، موجود في القرآن الكريم ، وفي حديث رسول الله (ص) ، وفي كتب أئمة العلماء ، والصوفيين الفلاسفة ، والفلاسفة الصوفيين .

ولهذا فان صفاء الروح يتطلب بعد الايمان والحب والارادة المعرفة ، معرفة كل أو جل ما يتعلق به، وتنال كل معرفة، كما هو معلوم، بالقراءة والاجتهاد. والدراسة ، والبحث ، والحديث ، والاستماع ، وبالصبر ، وطول الاناة .

ولقد اصبحت قضية المعرفة الروحية لمن يريد صفاء روحه سهلة في عصرنا هذا نظرا لانتشار المعرفة ، ووفرة الكتب والمجلات والصحف والمنشورات بجميع اللغات . وكثرة المكتبات والخزانات ودور القراءة المبثوثة في كل مكان والتي تهتم ايضا بالدراسات المقارنة بين الاديان والمعتقدات.

وكل كتاب او اثر ثقافي عبارة عن انسان مؤلف وتجربة انسانية ذاتية حية ، وان مات المؤلف ، وخبرة حياتية تتناول موضوعا ما من المواضيع المتعلقة بوجود الانسان وحياته الدنيا والآخرة .

ويسهل على الانسان المؤمن المثقف ان يهتدي ، بهداية الله ، الى اسباب المعرفة الروحية المتعلقة بالروح وصفائها

وسبيل الله هو افضل سبيل لصفاء الروح لانه الصراط المستقيم الذي جاء به القرآن الكريم ، ووضحته سنة رسول الله (ص) وهو صراط واضح، سهل ، ومضمون ، ومأمون العواقب .

وكل انسان مسؤول وحده أمام الله .

والمسؤولية مسؤولية فردية شخصية دائما .

وكل انسان في عصرنا يجب ان يكون مثقفا لسهولة اسباب التثقيف، وتعددها ، وتنوعها، ويجب ان يكون مؤمنا !

والانسان المؤمن المثقف المسؤول امام الله الخالق عن ايمانه ، وعمله ، مسؤول عن صفاء روحه.

ومهما استفاد من تجارب غيره من أئمة العلماء والصوفيين والفلاسفة في كل زمان ومكان فان مصير صفاء روحه يتوقف ، بالدرجة الاولى وقبل كل شيء على حسن ايمانه ، وحسن عمله ، وعلى حسن اجتهاده الشخصي.

ان الدين دين الله، والسبيل سبيل الله، والصراط صراط الله ، وما اي امام كائن من كان الا مرشد ودليل وعاد وداع اليه حسب اجتهاده فقط .

والمعرفة الروحية تتطور وتتسع دائما بقدر العطاءات الفكرية والتجارب الروحية التي تضاف اليها في كل حين .

---

(1) الآية 7 من سورة الحجرات .

وكل انسان في عصرنا طالب يدرس العطاءات الفكرية في العصور الماضية بالاضافة الى استفادته من عطاءات ثقافة عصره .

وان الانسان يحاسب على ايمانه وعلى عمله وانعانه.

ويقدر اتقان الانسان لعمله الى جانب قوة ايمانه، تزكي روحه ، وتتقدم اشواطا كبيرة في سبيل صفائها .

ولصفاء الروح ، حسب هذا ، جانبان :

ـ جانب باطني .

ـ وجانب ظاهري .

ويشمل الجانب الباطني لصفاء الروح المعرفة الروحية من ايمان ، وصلاة ، وعبادات ، وتبتلات، وتوسلات ، ونوايا حسنة ، وتأملات عميقة ، ونجوات يتصل بها الانسان مباشرة بالله خالقه ، بالاضافة الى الدراسات الدينية والصوفية والفلسفية والتجارب الانسانية المتنوعة .

ويشمل الجانب الظاهري لها الاقوال والاعمال .

وتدل الاقوال والاعمال المشروعة والمعقولة والحسنة والطيبة ، على صفاء الروح في جانبها الباطني .

والاقوال والاعمال المشروعة والمعقولة والحسنة والطيبة ، تصدر عن النوايا الحسنة والطيبة ، كما أن الاقوال والاعمال السيئة والخبيثة لا تصدر الا عن نوايا سيئة خبيثة .

ويتعلق الصفاء الكامل للروح على صفاء جانبيها الباطني والظاهري معا .

ودين الله ، وسبيله ، وصراطه يبين اسباب صفاء الروح بجانبيها .

ولقد اوصانا الله الخالق باتباع دينه ، وسبيله ، وصراطه فقال في القرآن الكريم :

«وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»(1).

«قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين»(2) «وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم»(3).

ووصايا الله سبحانه وتعالى أوامر واجبة الطاعة والتنفيذ .

وخير ما يحفظه الانسان المؤمن المسلم لصفاء روحه هو كتاب الله القرآن الكريم وبعده حديث رسوله سيدنا محمد (ص)

والقرآن الكريم كلام الله الخالق ووحيه ، وهو دستوره الالهي لدينه وسبيله وصراطه المستقيم .

والايمان والصفاء من الله .

والروح من أمر الله .

واذن ، فسبيل الانسان الى صفاء روحه واضح ، وما عليه الا ان يسلكه .

وعندما يموت الانسان يتلاشى كل ما يحفظه ويبقى ما حفظه من القرآن الكريم !

وعليه ، فما دام الامر هكذا فليحفظ ما يبقى بعد الموت وينفعه يوم البعث والحساب والجزاء .

والانسان المؤمن المسلم العابد الله بالاحسان ، والمتبع دينه اتباعا صادقا ، خالصا مخلصا ، والتقي الوفي في معاملاته مع غيره من ابناء الانسان، والامين في نصحه لهم يكون قد قطع اشواطا طويلة في سبيله الى صفاء روحه .

ويتطلب صفاء الروح بالنسبة للانسان المؤمن المسلم مراعاة الحلال في حياته وعيشه .

وقد امرنا الله الخالق باتباع الحلال واجتناب الحرام .

---

1) الآية 153 من سورة الانعام .
2) الآية 161 من سورة الانعام .
3) الآية 73 من سورة المؤمنون .

وبين لنا في القرآن الكريم ما هو حلال وما هو حرام .

وأول حلال في حياة الانسان هو الزواج الديني الشرعي لينجب اولادا حلالا .

ولعل اكبر ذنب ـ او جرم ـ يمكن ان يرتكبه انسان هو ان يلد انسانا خارج الزواج الديني الشرعي ، ويكون سببا في وجود روح وجودا غير شرعي ، انه بهذا العمل يرتكب ذنبا ـ او جرما ـ سباعيا : ضد نفسه ، وضد المرأة التي شاركته فيه . وضد الولد الذي ينجبه ، وضد اسرته ، وضد أسرة المرأة التي شاركته ، وضد مجتمعه ، وقبل كل هذا ضد ارادة الله الخالق !

وهو ذنب ـ او جرم ـ كبير جدا .

وان الارواح الثلاث لن تنسى ابدا هذا الذنب الكبير في هذه الحياة الدنيا ولا في الحياة الآخرة .

وذنب ـ او جرم ـ الزنا كذنب ـ او جرم القتل ، وقد نهى الله سبحانه عن ارتكابهما فقال في القرآن الكريم :

«ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق»(1)

« والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا(2) .

ويتأمل هاتين الآيتين تأملا واعيا عميقا تتضح لنا حقيقة مروعة هي ان مجيء روح الى الدنيا مجيئا غير ديني وشرعي يعتبر كالقتل لانها ستتعالم دائما في الدنيا وفي الآخرة رغم براءتها عندما تعي هذه الحقيقة !

وماذا يمكن ان يقوله الرجل الذي كان السبب في مجيئها هذا ؟

وماذا يمكن ان تقوله المرأة التي شاركته في هذا ؟

وربما يكون الاجهاض اخف الشرور لتلافي هذا المجيء المخالف للدين والشريعة !

ويقول الرسول سيدنا محمد (ص) في حديثه الشريف : «اذا بليتم فاستتروا» .

وما دام الانسان لا يستطيع ضبط غرائزه فمن واجبه التستر باستعمال موانع الحمل قبل الوصول الى الاجهاض لتلافي مجيء روح ، او انسان ، مجيئا غير ديني وغير شرعي للشقاء المعنوي والمادي في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وجزاء القتل العمد جهنم نص القرآن الكريم :

«ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها»(3)

فكيف بالاتيان بروح الى الحياة الدنيا اتيانا مخالفا للدين والشريعة ومضادا لارادة الله الخالق ؟

وعليه ، فصفاء الروح يتطلب بعد الايمان بالله المجيء الى الحياة مجيئا دينيا شرعيا (الهيا) .

ودين الله امرنا بالزواج لتجيء كل روح الى الحياة مجيئا دينيا شرعيا حلالا !

فلنتأمل الآن هذا بصفاء ذهن تأملا عميقا ولنتساءل:

ـ ماذا يعني ؟

والجواب هو :

ـ انه يعني ان الروح التي تبدأ في فكر الله الخالق بدء الهيا يجب ان تجيء الى الحياة مجيئا الهيا دينيا شرعيا !

وان مجيئها الى الحياة مجيئا غير الهي (غير ديني وغير شرعي) يؤكد حرية الانسان في اختياره اعماله ومسؤوليته عنها !

---

1) الآيتان 32 ، 33 من سورة الاسراء .
2) الآيتان 68 ، 69 من سورة الفرقان .
(3) الآيـة 93 من سور النساء .

ولنتمعن في قول الله عز وجل في القرآن الكريم :

«ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين»(2) .

اما المؤمنون المتقون العابدون فجزاؤهم التمتع بنعيم الجنة .

ومن يهديه الله الخالق الى الايمان فانما يهديه الى دينه والى شريعته التي بين فيها الحلال والحرام وسائر القضايا الاخرى المتعلقة بوجوده وحياته من عبادات ومعاملات وسلوك واخلاق وغيرها .

واذن ، فاتباع دين الله وشريعته ضرورى جدا لصفاء الروح !

فاذا كان الايمان الجازم بالله والحب القوى له ، مع ما يتبعهما من عبادات وتأملات وتوسلات ودعاءات يؤديان واجبهما في صفاء الروح في جانبها الباطني فان اتباع دين الله وشريعته والالتزام بالحلال وترك الحرام يؤدى الى صفائها في جانبها الظاهرى .

وهذا التكامل بين صفاء الروح بجانبيها الباطنى والظاهري ضرورى جدا لصفائها الكامل .

* * *

ولنقم ، بعد هذا ، بجولتين وجيزتين في القرآن الكريم نستطلع فيهما صفاء الروح كما اراده الله الخالق .

الجولة الاولى في سورة « المؤمنون » في الآيات الآتية : (1)

«قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» .

والجولة الثانية في سورة « الفرقان » في الآيات الآتية : (2)

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ، اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما» .

يصف الله سبحانه وتعالى في الآيات المذكورة من سورة «المؤمنون» عباده المؤمنين الذين يكون جزاؤهم الفردوس وصفا اليها آمرا .

ومن دخل الفردوس فقد فاز وأفلح ونجا !

وهذه غاية صفاء الروح .

ويصف لنا سبحانه وتعالى ايضا في الآيات المذكورة من سورة «الفرقان» عباده المؤمنين وصفا ربانيا آمرا وحكيما ويذكر ان جزاءهم هو الغرفة اى الجنة والفردوس .

ومن دخل الغرفة(اى الجنة والفردوس) فقد نجا وأفلح وفاز .

---

2) الايتان 12 ، 13 من سورة السجدة .
1) الآيات من 1 ــ 11 من سورة «المؤمنون» .
2) الآيات من 63 ــ 76 من سورة «الفرقان»

وهذه غاية صفاء الروح .

وفي سور القرآن الكريم آيات عديدة بدأ أوصاف عباد الله المؤمنين الذين جزاؤهم الجنة ، وفيها امر باجتناب محرمات كثيرة كالخمر والخنزير وغيرهما ، ووصايا خاصة بالاخلاق والمعاملات والمعاشرة وغيرهما مما تتطلبه الحياة الاجتماعية الانسانية .

لقد بين لنا الله الخالق سبحانه وتعالى في هذه الآيات البينات من سورتي « المؤمنون » و « الفرقان » معالم سبيل صفاء الروح .

وكل آية من هذه الآيات البينات تستحق التمعن والتامل لما فيها من اوامر ووصايا الهية حكيمة .

ومن هذه الآيات البينات وغيرها استقى ائمة العلماء والصوفيون الكبار معرفتهم الروحية .

ان هذه الآيات البينات هي معين صفاء الروح ، وهي معين التصوف ايضا عند المؤمن المسلم .

انها تجمع صفاء الروح بجانبيه الباطني والظاهري .

وسبيل صفاء الروح ، كما نراه الآن ، واضح وسهل ، ولكن سلوكه هو الامر الشاق والصعب لان النفس الانسانية تنزع نزوعا يكاد يكون دائما الى الشهوات والمتع الممنوعة وتستصعب العبادات والقيام بواجبات الطاعة الالهية المفروضة .

وهنا يجد الانسان المؤمن المسلم ذاته وجها لوجه امام جهاد النفس .

ولا بد ان يمر صفاء الروح بجهاد النفس مرورا ما منه مفر ، وهذا هو الامر الشاق والصعب بالنسبة لسلوك سبيله الواضح السهل .

ولقد عرائمة العلماء والصوفيون الكبار بجهاد النفس ولكل منهم فيه تجربته الشخصية الخاصة الجديرة بالدراسة والاهتمام .

* * *

ـ فما هو جهاد النفس ؟

ـ جهاد النفس ، باختصار ، هو ترويض النفس ، ومنعها من الاستمرار في الغي ، واتباع الشهوات المحرمة ، واقتراف الآثام والذنوب ، وقطعها عن هواها الضار بصفاتها(1) .

وما يهتم الانسان المؤمن المسلم به في هذا الجهاد النفسي هو محاربة الغرائز السفلى والأئمة للنفس الامارة بالسوء(2) (او اللاشعور) بواسطة الوعيين الباطني (الايمان بالله وحبه) والظاهري (الالتزام باتباع دينه وشريعته وقوانين المجتمع) للنفس اللوامة(3) (الشعور) لتتطهر ، وتتزكى ، وتصفو لتصبح نفسا مطمئنة(4) (الانا الاعلى) .

ان الجهاد النفسي ، كما نراه ، هو جهاد ذاتي ، باطني وظاهري ، يقوم به الانسان المسلم بوعي «شعوره» ضد الغرائز السفلى والأئمة في «لاشعوره» ليرتفع بنفسه الى مستواها اللائق بها «كانا اعلى» مسؤول وناضج .

ولقد طلب صفاء الروح (او النفس) من كثير من كبار الصوفيين معاملة النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) معاملة حازمة (قاسية احيانا) لردعها ردعا تاما ، وكبحها كبحا كليا ، فتم لهم ما ارادوا ، ووصلوا الى غايتهم ، وفازوا .

ولكل منهم تجربته الذاتية الخاصة به ، وآراؤه ، واجتهاده ، ومذهبه .

---

1) يقول الامام البوصيري في برديته المشهورة :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

2) الآية 18 من سورة يوسف : « قال بل سولت لكم انفسكم امرا ، والآية 53 منها : «وما ابرئ نفسي ، ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ، ان ربي لغفور رحيم» .

3) الآية 2 من سورة القيامة : «ولا اقسم بالنفس اللوامة» .

4) الآيتان 27 ، 28 من سورة الفجر : «يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية» .

ومهما تعددت التجارب الذاتية ، وتنوعت الآراء ، والاجتهادات والمذاهب فان الغاية واحدة دائما هي الوصول الى صفاء الروح الفوز برضاء الله وحبه !

ولم تتجه قسوتهم في الجهاد النفسي ضد الروح في درجاتها الراقية العليا وانما اتجهت الى الغرائز السفلى والآثمة في «النفس الامارة بالسوء» لتطهيرها وتصفيتها منها للارتفاع الى المكان الجدير بها كروح من امر الله الخالق .

ان الغرائز السفلى والآثمة في « النفس الامارة بالسوء» هي التي يعاقب عليها الله الخالق يوم البعث والحساب والجزاء ، وهي التي تنزل بالروح من الدرجات العليا الى الدركات السفلى .

وفي هذا الجهاد النفسي يجد الانسان المؤمن المسلم ذاته وجها لوجه امام باطنه واعماقه ، وأمام اعمق عمق في باطنه واعماقه هو نفسه الامارة بالسوء (لا شعوره) ... ولا بد ان يردع فيها الغرائز السفلى والآثمة ويكبحها ليضمن صفاء روحه .

ـ فكيف يبدأ هذا الجهاد النفسي ؟

ـ انه يبدأ بداية باطنة بارادة عازمة على تصفية الغرائز السفلى والآثمة للنفس الامارة بالسوء (لاشعوره) ... ولا بد ان يردع فيها الغرائز السفلى تكامليا باطنيا ظاهريا بتقوية الايمان بالله وحبه ، وباتباع اوامر دينه وشريعته للوصول الى الاستقامة الدينية والاخلاقية والفكرية التامة باطنيا واخلاقيا .

ان الباطن لا يستقيم امره بدون ظاهر .

والظاهر لا يستقيم امره هو الآخر بدون باطن .

انهما شيئان متكاملان ، فلا بد ـ اذن ـ في عمليات الجهاد النفسي من تكامل تصفية الجانبين الباطني والظاهري معا لصفاء الروح .

وليس الظاهر الا انعكاسا للباطن .

ولهذا كانت الارادة العازمة في الباطن ضرورية جدا لتصفية الجانبين الباطني والظاهري معا .

وتعتبر تصفية الجانب الظاهري في البداية بالالتزام باتباع اوامر دين الله وشريعته ضرورية جدا لردع الغرائز السفلى والآثمة في النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) وكبحها وقهرها حتى تنضبط انضباطا كليا ونهائيا عن اي ميل الى اية شهوة محرمة او اثم .

وهذا الردع ردع ذاتي اختياري يقوم به الانسان المؤمن المسلم تلقائيا بارادته استجابة لامر الله الخالق ليصفي نفسه كي يرقى بروحه ويضمن لها صفاءها .

وما يقال عن ردع النفس يقال ايضا عن كبحها ، فهو كبح ذاتي اختياري تلقائي ارادي يستهدف تصفية النفس «الامارة بالسوء» من غرائزها السفلى والآثمة للارتفاع بمستوى الروح .

واذا كانت تصفية الجانب الظاهري تستهدف انهاء الغرائز السفلى والآثمة في النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) وقطعها قطعا نهائيا وتاما عن اي ميل الى اية شهوة او اثم فان تصفية الجانب الباطني بقوة الايمان بالله والحب المتزايد له تستهدف تصفيتها حتى من التفكير في اية شهوة ما لم تكن حلالا لان مجرد التفكير فيها يعتبر ذنبا واثما وخطأ !

وعندما يصل الانسان المؤمن المسلم الى هذه المرحلة ينفتح امامه سبيل صفاء الروح واسعا الى الارتقاء في المعارج الروحية العليا التي لا يصلها ولا يرتادها الا من له ايمان قوي متين بالله الخالق جل وعلا وحب مكين متزايد دائما له !

وينبغي ان نلاحظ انه عندما تنتهي تصفية الغرائز السفلى والآثمة في النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) يتم توحيدها بالنفس اللوامة (الشعور ـ او العقل) وبالنفس المطمئنة (الانا الاعلى ـ او القلب) وحينئذ تصبح النفس روحا طاهرة صافية ، وتأخذ في العروج الى المرتقيات والمراتب الروحية العليا لتكون سرا ، وسر السر(1) .

---

1) يسمي السادة الصوفيون الروح بالاسماء التالية حسب تطهرها : النفس ، والعقل ، والقلب، والروح والسر ، وسر السر .

ـ راجع كتاب «ايقاظ الهمم في شرح الحكم» للعلامة الصوفي المغربي سيدي احمد بن عجيبة (الطبعة الاولى سنة 1961 بمصر صفحات 25 ـ 111 ـ 277ـ 278) .

ـ راجع الهامش (1) في صفحة 14 من مقال «الروح وحب الله» (الاعماق ـ العدد الثاني ـ السنة الاولى يونيه 1973).

واذا تاملنا هذه العبارة الايمانية التقليدية المشهورة: «الايمان جزم بالقلب» يتضح لنا ان القلب ما هو الا النفس المطمئنة (الانا الاعلى) .

أما العقل فليس الا النفس اللوامة (الشعور) لانه يردع الغرائز السفلى والآثمة ويكبحها ، ويعقل الانسان بشعوره ووعيه من الاستجابة لها ، ومن التفكير فيها .

الى هذا الحد يكون الانسان المؤمن المسلم قد قطع شوطا بعيدا وطويلا في سبيل صفاء الروح .

وهو سهل ، كما ترى ، نظريا !

ولكنه امر صعب عمليا .

ولا استطيع ان اتناول في هذا المقال المحدود تجارب السادة الصوفيين الروحية وامثلة لجهادهم النفسي لان هذا الموضوع يجب ان يبحثه امام كبير، مثقف ثقافة موسوعية ، ورع ، زاهد ، تقي ، طاهر مجرب سبق له ان جاهد نفسه وغلبها ووصل الى غايته في صفاء الروح !

وفي كتب السادة العلماء والصوفيين تجارب روحية كثيرة ، ومسالك متنوعة لتصفية النفس والارتقاء بها لتصبح روحا ، وبامكان القارىء المؤمن المسلم المثقف ان يطلع عليها ، ويقارنها ويكون له رأيه الشخصي الخاص فيها ، ويختار ما يناسبه منها ان شاء اختيارا حرا ، بمحض ارادته واقتناعه .

ان كل ما يتعلق بصفاء الروح موجود في القرآن وفي حديث رسول الله سيدنا محمد (ص) .

وسبيل الله وصراطه المستقيم واضح وسهل : انه الايمان بالله وحبه ، واتباع اوامر دينه وشريعته ، والحياة الحلال كما امر الله بها .

و « الحلال بين والحرام بين » كما في حديث رسول الله (ص) .

والجهاد النفسي هو جهاد روحي لانتصار الحلال على الحرام في اعمق مفاهيمه .

ولا بد من المثابرة والصبر في الجهاد النفسي للوصول الى الغاية المتوخاة وهي صفاء الروح لان النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) يصعب قطعها عن غرائزها السفلى المحرمة والآثمة وخاصة في دنيا مليئة بشتى الوان المغريات والاغواءات .

ولا بد من التدريج في تصفية النفس الامارة بالسوء (اللاشعور) من غرائزها السفلى المحرمة والآثمة .

ولا بد من استشارة من سبقوا في سلوك سبيل صفاء الروح للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم .

وانطلاقا من العبادات المفروضة ، الى زيادة بعض النوافل ، الى الابتعاد الكلي العملي والفكري عن الغرائز السفلى المحرمة والآثمة ، الى التأمل العميق الدائم في ملك الله الخالق وملكوته وجبروته ، الى التعلق القوي المتين بحب الله ومناجاته يحس الانسان المؤمن المسلم تحولا روحيا كبيرا في اعماقه ، وباطمئنان شامل ، وراحة تامة .

واذا استمر وداوم على هذا فانه يرى عجبا، اذ تصبح حياته روحية ، ويصير وليا من اولياء الله الصالحين ، ومن عباده المقربين .

ان سبيل صفاء الروح هو السبيل الى حب الله ورضاه ، والفوز بأفضل ما عنده في الدارين الدنيا والآخرة .

«وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (1) كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم .

وان اشرف معرفة يجب ان يهتم بها الانسان المؤمن المسلم هي المعرفة الروحية .

وبعد هذا يستطيع كل انسان مؤمن مسلم ان يسأل نفسه هذا السؤال :

ـ كيف استطيع ان احقق لروحي صفاءها لاكون في الآخرة من الفائزين ؟

والجواب يفرض عليه ان يفكر ، ويبحث ، ويعمل ويسأل ، ويتبع ما انزل الله وما امر به وما قاله رسوله الكريم سيدنا محمد (ص).

ولكل انسان اجتهاده وميله .

والله اعلم بعلمه وهداه ، وهو الموفق والهادي الى صراطه المستقيم وعنده حسن المآب .

م. ح. العزيز

---

1) الآية 35 من سورة فصلت .

الحاج علي عواد

الأستاذ محمد بن الطيب العلوي

مولده :

ولد المترجم بمدينة سلا عام ستمين ومائتين والف 1260 وهو الفقيه العلامة المحدث أحد كبار الاعلام الذين تزينت بهم الرتب والمنابر القاضي الجليل السيد الحاج علي بن العلامة القاضي السيد أحمد عواد . نشأ في بيت اصالة وعلم . وبيت آل عواد من البيوتات الشهيرة بمدينة سلا بعلو القدر وشرف الذكر تعدد فيهم العلماء والقضاة والخطباء والأيمة والعدول والامناء ، وأصلهم من قبيلة دكالة احدى قبائل المغرب فرقة بني هلال استوطنوا مدينة سلا أيام الدولة السعدية .

مشيخته :

قرأ ببلده سلا القرآن العظيم على الفقيهين السيد محمد خضور والسيد محمد محبوبة والعلم على علمائه ؛ منهم العلامة القاضي السيد أبو بكر عواد والعلامة السيد محمد بن عبد العزيز محبوبة والعلامة السيد محمد الفال والعلامة السيد محمد مسعسس والعلامة السيد محمد الدراقي والعلامة السيد أحمد الجدار . ثم قصد فاس أوائل شهر شوال عام ثمانية وسبعين ومائتين والف 1278 — وسنه اذ ذاك ثمان عشرة سنة وتلقى العلم من شيوخه الاعلام ومنهم العلامة ابو عبد الله السيد الحاج محمد جنون والعلامة القاضي ابو عبد الله سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن العلوي والعلامة ابو العباس السيد أحمد بناني والعلامة سيدي عبد الله البدراوي والعلامة أبو العباس السيد أحمد بالحاج والاخوة العلماء الثلاثة أبو حفص وأبو عيسى وأبو العباس السودنيون وغيرهم ؛ وكل الشيوخ أجازوه اجازة عامة ثم اخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ الطيب الدرقاوي عن خليفة والده الشيخ ابي العباس سيدي أحمد بن دحمان البالصوتي الزروالي عن الشيخ العربي الدرقاوي كما اخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ سيدي أحمد والده الشيخ سيدي ابي بكر الى شيخ سيدي محمد بناصر الجعفري الزيتبي .

وقد اذناه بتلقين وردهما فكان يلقن ذلك وبعد ان ظهرت كفايته نقل الى مسقط رأسه ورشح للعدالة والتدريس والافتاء بفقه متأسس فشرع في ذلك وحقق وعبر ونسق .

حاله :

كان فقيها علامة جليلا محدثا حافظا نبيلا مفتيا حافلا ناضيا شهما اثيلا محليا بالشمائل العالية والخصال الغالية عالي الهمة والمقدار عظيم الهيبة والوقار عزوفا عن الضيم سخيا كريما حسن الفائدة لم يمض له وقت في غير العبادة ولا ساعة في غير الاستفادة والافادة سارع الدمع متباعدا عن الرياء والسمعة محبا لشرفاء والصلحاء زوارا لهم خصوصا مولانا ادريس الاكبر ومولانا ادريس الازهر ومولانا عبد السلام ابن مشيش ومولانا العربي الدرقاوي ومولانا العباس السبتي وأبا يعزا ومولانا ابا نظهام ومولانا شعيب وسيدي موسى الدكالي والشيخ ابا العباس سيدي الحاج أحمد بن عاشر رضي الله عنهم ، ميمون الحظ مقداما غير هيوب له سر موهوب مع سلامة صدر وباطن مساو للظاهر نما نشأ من نفس علية والشيم واخلاق كالزهر بعد الدم اذا تليت أوصافه ركع لها القلم وسجد تفرض في علو سنده في الحديث فاصبح دار

علم بين الدراية والسند وهو صهري وشيخي الذي وردت منهل افادته رائقا واحد الاعلام الذين رويت عنهم السنن وسمعت منهم الحديث الصحيح والحسن .

ولايتـــــــه :

تولى الخطابة بالجامع الاعظم بمدينة سلا يوم خامس عشر صفر الخير عام ستة وتسعين ومائتين والف 1296 هـ مكان صفوه المرحوم القاضي الخطيب السيد ابي بكر عواد ، فاتفق على فضله ونبوغه وكان اذا خطب ترتاح النفوس الى خطبته عارفا بالمناسبات بلغ الموعظة الخارقة للعادة انفرد بذلك بين ابناء جنسه واعجب علماء وقته ببراعته وفصاحته وحسن صناعته وبمناسبة ذلك قال في حقه العلامة المؤرخ سيدي احمد الناصري في تاريخ الاستقصا : وهو مجيد في الخطابة ومن اهل المروءة والدين والعلم ثم تولى بعد ذلك العدالة بمرسى العدوتين ثم بمرسى الدار البيضاء في فاتح حجة عام تسعة وثلاثمائة والف 1309 هـ موافق 1891 ، عين قاضيا بمسقط راسه مدينة سلا فاعز الخطة والتزم الصراحة ولم تاخذه في الحق وجاهة واجبه ولا شيامة متولي او نبيه وانفذ الاحكام وامضاها المهيع التي اختارها السلف وارتضاها والفت اليه الصناعة زمامها ووقفت عليه احكامها وعقد دروسا في الفقه والحديث فاتضح مجال درسه واثمرت ادواح غرسه وعند حلول شهر رجب افتتح صحيح البخاري رضي الله عنه بالجامع الاعظم بعد صلاة الظهر الى صلاة العصر وبعد صلاة الصبح الى وقت الضحى وصار الفقهاء والعدول والطلبة وعامة الناس يحضرون مجلس درسه من غير انقطاع الى ان وقف على ختمه لدلة القدر المباركة .

في اوائل شهر شوال الموالي لشهر رمضان المذكور احتفل للختم واستعد له استعدادا فائقا فكان عذبا رائقا حضره علماء البلد وشرفاؤه وطلبته ووجهاؤه وادباؤه وكذلك علماء الرباط ونبعاؤه واستغرق الاملاء والقاء ما جادت به قريحته الوقادة من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الواحدة زوالا من حفظه ويشتمل هذا الختم على كراستين ومدح ادباء سلا منهم العالم المؤرخ السيد محمد بن علي الدكالي ثم حضر الكل بداره وتناول ما لذ وطاب اكراما لهم بمناسبة ختم الامام البخاري وهكذا كان امره في الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان . يفتتح قراءة الحديث وكذا تحضر مجلسه في الاشهر المذكورة في الايام الاخيرة مع زمرة من الاخوة الفقهاء النبغاء ونزراه يتعمق في تراجم رجال الحديث ويفسر الحديث على مقتضاه ويستحضر القواعد الاصولية ، ويستشهد بكلام الشيخ خليل والفوائد الفقهية .

وقد املى دروسا حديثية بين يدي الملوك العلويين خصوصا الملك عبد الحفيظ ، وفي عام 1316 هـ استدعى الملك الهمام مولانا عبد العزيز المترجم للعاصمة المراكشية هو وعامل سلا الفقيه السيد عبد الله بنسعيد لبعض سوء تفاهم بينهما وقع ، فمحى بعد عودتهما الى وطنهما ووظيفتهما وعادت محبتهما على احسن حال ، وعين المترجم نائبا عن قاضي مراكش السيد العربي المنيعي الذي وجه لاغراض مخزنية للمملكة وانتدبه الملك بخطبة الجمعة بالجامع الذي يصلي فيه وبقي العلامة السيد احمد عواد ابن اخ المترجم نائبا في القضاء وعين العامل لمأمورية مخزنية بطنجة وبقي نائبه الشريف على ما عهد عليه من نيابة عنه وهو سيدي احمد الطالبي ، ثم اعفى المترجم من قضاء سلا وعين بمدينة الجديدة في شهر شعبان 1316 هـ موافق 1899 ، ثم عين بمدينة اسفي ، وفي عام 1319 ، اعيد المترجم لقضاء سلا والعامل لعمالة سلا وفي شهر ذي القعدة عام ثلاثين وثلاثمائة والف 1330 هـ زيدت له امامة الجامع الاعظم لوفاة الامام العلامة المرحوم السيد محمد الدراقي ، وفي شهر ذي القعدة اعفي المترجم من قضاء سلا حيث كان معارضا للسلطة الاحتلالية وبقي ابن اخيه السيد احمد المذكور بوجه النائب الشرعي ، وفي عام 1337 سافر المترجم الى مدينة طنجة بقصد صلة الرحم مع ولده الفقيه النحرير السيد ابي بكر عواد الموظف اذاك بدار النيابة هناك وحدث اثناء المقام بها اعفاء قاضي طنجة السيد محمد الهواري، وطلب السيد احمد التازي النائب المخزني تقديم المترجم للقضاء فاعتذر لكبر سنه الا ان جلالة الملك المعظم مولانا يوسف اصدر ظهيرا شريفا بولاية المترجم لقضاء مدينة طنجة لانها بعيدة عن السلطة الحمايدية للمترجم المذكور فقام مدة يسيرة بها احسن قيام ولا زال اهل مدينة طنجة يثنون عليه الثناء العاطر فصار يخطب في جامعها وقد اطلعت على الرسوم الذي خاطب عليها وبعض الاحكام لما كنت قاضيا بها ثم اختار الرجوع الى

بلده فرجع بعد ما أعفى من القضاء ، واستمر مقبلا على عبادة ربه وصار لا يفارق الجامع الاعظم كثير الصلوات والاذكار .

رحلاتـــه :

رحل الى الديار الحجازية والاقطار الاسلامية خمس مرات الاولى عام 1302 صحبة رفيقه الشريف ناظر الاوقاف بفاس السيد الحاج عابد الادريسي والثانية عام 1310 صحبة رفقائه وولده السيد محمد وولد صنوه الفقيه العدل السيد الحاج محمد عواد وصهره سيدى محمد بن ادريس الجعيدى وتوفى ولده والشريف الجعدي بمكة المكرمة بعد قضاء مناسكهما والثالثة 1323 صحبة رفقائه العلامة السيد الحاج العربي الشاعري والعدل السيد محمد عواد وولده الفقيه العدل الكاتب بوزارة الاوقاف السيد الحاج عمر عواد ، والرابعة عام 1329 هـ ، صحبه رفقائه صهره العلامة السيد الحاج الهاشمي بن حضراء الذى تولى رئاسة مجلس الاستيناف الشرعى والقضاء بمدينتي فاس والدار البيضاء وولده الفقيه العدل السيد الحاج محمد عواد ووصيفه السيد الحاج فرجي ، والخامسة عام 1352 صحبة ولده الفقيه الكاتب الحاج المكي وصاحبه السيد الحاج محمد السوسي ، فحج وزار وراء المشاهد والمزار وتجول فى العواصم منتجعا عوالي الرواية فى مظانها ومنقبا على كبرائها واخذ عن شيوخها كالشيخ رحمة الله الهندى والشيخ علي ابن طاهر والشيخ دحلان والشيخ ابراهيم السقاء والشيخ بدر الدين المسقي والشيخ يوسف الدهان والشيخ يوسف النبهاني والشيخ سليم البشرى والشيخ عليج والشيخ بدر الدين المغربي وغيرهم وكلهم اجازوه اجازة عامة مطلقة تامة ، وقد أجازني والحمد لله بما أجازوه وكتب لي بما يلي :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ومن تبعهم بالاحسان الى يوم الدين وبعد فقد طلب منا صهرنا وعوض ولدنا الشريف الاصيل الجليل الفقيه العلامة الاثيل العدل النزيه المرتضى الحفيل سيد محمد بن الشريف الاصيل المعظم المحترم الجليل المنتخب المكرم النبيل سيدى مولاى الطيب العلوى بان نجيزه باسانيدنا العامية على اختلافها وحيث كان الشريف المذكور اهلا للاجازة وحضر مجالسنا العامية الحديثية وغيرها اعوامـا عديدة وظهرت نجابته ولاحت فى جميع العلوم براعته الى ما خصه الله تعالى من العفة والنزاهة وجميل الصفات الحسنة المطلوبة فى ساداتنا الشرفاء الابرار واهل العلم والاسرار اجبته لطلبه ولبيت رغبته واننتـه بتعاطى جميع العلوم النقلية والعقلية والخوض فى مضمار الفنون الحديثية واجزته فى جميع مروياته وما لدى من اسانيد الشيوخ للصحاح وغيرها من جميع كتب الحديث وكافة الفنون التى يطلع عليها بغير هذا منها سندى العالم المتصل للامام البخارى المروى عن شيخي سيدى على ابن طاهر الوتري عن الشيخ محمد عابد الهندى عن عمدة المحدثين الشيخ صالح العمارى الفلانى عن المعمر الشيخ محمد بن هبة العمرى الفلانى عن ابى الوفاء الشيخ احمد بن محمد الدمنى عن مفتى مكة قطب الدين محمد بن احمد النهروانى عن ابى الفتوح احمد بن عبد الوهاب الطاوسي عن بابا يوسف النهروانى عن المعمر بن شهد بخت الفارسى الفرغانى عن ابى لقمان يحيى بن عمار ابن مقبل ابن شهاب الختلانى عن محمد بن يوسف عن الامام ابى عبد الله سيدى محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه .

واوصى الشريف المفنى عن التعريف بتقوى الله العظيم فى السر والعلانية وان يسهم لي فى صالح ادعياته والله سبحانه ينفعه وينفع به العباد ويجعله مفتاحا لكل من قصده واخذ عنه هذا السند ومن خيرات العلماء العاملين وصالح المهتدين ويختم لنا وله بالسعادة ويصلحه ويصلح اولاده وكل من انتمى اليه .

وحرر فى ليلة الاثنين رابع ذى القعدة عام 1352 .

خادم اهل العلم علي بن محمد عواد الهلالى كان الله له

وطنيتـــه :

كان المترجم من المخلصين فى محبة وطنه محبة عظيمه لدينه وللعرش العلوى المجيد ومن المعارضين للسلطة الاحتلالية فى جميع ما يخالف الدين وعوائد المجتمع لا يخاف احدا الا الله جل علاه وكان يصرح فى خطبه والمحافل العامة بما تقوم

به السلطة من الخروج عن الجادة ، وضاقت بـــه ذرعا ولم تنل منه شيئا لخوفه من الله تعالى ومكانته عند جميع الطبقات ومحبتهم له وكذلك لدي جلالـــة الملك وخصوصا الملك الصالح مولانا محمد بـــن يوسف ونذكر ما قاله المترجم جهرا اثـــر الفاتحـــة ليلة المولد النبوي الشريف بالجامع الاعظم وهـــو خاص بسائر الطبقات وهم صموت وهذه عبارته : « **الله تعالى يشتت امر الفرنسيس ويخيب مسعاه فى قريب يـــا مجيب الدعوات** » نخاف الكل عليه من مقالته ولكن الله تعالى سلمه وحفظه من ذلك وهو أول من قام باسم اللطيف بالجامع الاعظم بسلا لدى صدور الظهير البربرى وتزعم ذلك باخلاص وايمـــان قوى ثم بعد ذلك سار اللطيف يذكر بالمدن وغيرهـــ ولا ينسى كل وطنى غيور ما قام به المترجم المذكور فيما يرجع لذلك وغيره كتب الله له ذلك فى حسناته.

وفـــــاتـــــه :

ختمت انفاس المترجم قـــدس الله روحـــه فى الـــساعة التاسعة من ليلة الاربعـــاء سادس عشـــر صفر الخير عام 1354 هـ موافق 27 ماى سنة 1935

وحضرت وفاته مع زمرة من الاحبة ودفن يوم الاربعاء بصحن الزاوية الدرقاوية بسلا بعدمـــا صلى عليه بالجامع الاعظم اثر صلاة العصر أخيه العلامة السيد الحاج أحمد عواد وحضر جنازته اهل البلـــد وعلماء الرباط واعيانها والهيأة المخزنية ، وعظـــم مصاب الناس بموته لما اتصف به من الدين المتين والعلم . ورثاه العلامة المفتى نائب القاضى السيد الطيب الناصرى بقصيدة غراء وخلف المترجم خطبات للحديث وغيره رائعة وخطبا فائقة وفتاوى وتقاييـــد راجعة للاحكـــام .

صعد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المنبر اثر توليه الخلافة ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد ، فانه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد الكتـــاب الذي انزل عليه كتاب ، الا ان ما احل الله حـــلال الى يوم القيامة ، الا اني لست بمبتدع ، ولكن متبع ، الا انه ليس لاحد ان يطاع فى معصية الله ، الا اني لـــست بخيركـــم ، ولكنى رجل منكم ، غير أن الله جعلنـــي اثقلكـــم حمـــلا ! .

الوجادات 676 - 689

إعداد : الاستاذ عبد القادر زمامة

690 ـ من ذكريات ابي علي القالي ... !

وجدت في كتاب « الصلة » لابن بشكوال في ترجمة هارون بن موسى القيسي الاديب :

« قال لي ابو نصر هارون بن موسى بن جندل النحوي :

كنا نختلف الى ابي علي البغدادي رحمه الله وقت املائه « النوادر » بجامع « الزهراء » ونحن في فصل الربيع . فبينما انا ذات يوم في بعض الطريق اذ اخذتني سحابة فما وصلت الى مجلسه رحمه الله الا وقد ابتلت ثيابي كلها ... ! وحوالي ابي علي اعلام اهل قرطبة . فأمرني بالدنو منه وقال لي :

مهلا ابا نصر ... ! لا تأسف على ما عرض لك ... فهذاني ، يضمحل عنك بسرعة بثياب غيرها تبدلها . ولقد عرض لي ما ابقى بجسمي ندوبا تدخل معي القبر ... !

ثم قال لنا : كنت اختلف الى ابن مجاهد رحمه الله . فادلجت اليه لاتقرب منه . فلما انتهيت الى الدرب الذي كنت اخرج منه الى مجلسه الفيته مغلقا وارث عليه فتحه ...

فقلت : سبحان الله ... ! ابكر هذا البكور ... واغلب على القرب منه ... ! فنظرت الى سرب بجنب الدار فاقتحمته . فلما توسطته ضاق بي . ولم اقدر على الخروج . ولا على النهوض . فاقتحمته اشد اقتحام . حتى نفذت بعد ان تخرقت ثيابي . وأثر السرب في لحمي حتى انكشف العظم ... ! ومن الله علي بالخروج . فوافيت مجلس الشيخ على هذه الحال ... ! فاين انت مما عرض لي ... !

وانشد :

دببت للمجد والساعون قد بلغوا
جهد النفوس والقوا دونه الأزرا

فكابدوا المجد حتى مل أكثرهم
وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال ابو نصر :

فكتبناها عنه من قبل أن يأتي موضعها في نوادره . وسلاني بما حكاه . وهان علي ما عرض لي من تلك الثياب ... واستكثرت من الاختلاف اليه . ولم أفارقه حتى مات رحمه الله ... ! »

691 ـ مدينة بادس .

وجدت في كتاب « وصف افريقيا الشمالية والصحراوية » المأخوذ من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » نشره بالجزائر هنري بيريس سنة 1957 م ص 110 :

« بدیس : مدينة متحضرة . فيها اسواق وصناعة دلائل . وعمارة يلجؤون اليها في حوائجهم . وهي آخر بلاد عمارة ... ! ويتصل بها هناك طرف الجبل . وينتهي طرفه الآخر في جهة الجنوب الى أن يكون بينه وبين بلد بني تاودا اربعة أميال . وكان بهذا الجبل قوم من اهل مزكلدة ... »

692 ـ المرجان بسبتة :

وجدت في كتاب « وصف افريقيا الشمالية والصحراوية » المأخوذ من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ص 108 :

« ومن مدينة سبتة يصاد شجر المرجان . الذي لا يعادله صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع اقطار البحار وبمدينة سبتة سوق لتفصيله . وحكه . وصفه حرزا . ونقبه . وتنطيعه . ومنها يتجهز به الى سائر البلاد . واكثر ما يحمل الى غانة . وجميع بلاد السودان . لانه في تلك البلاد يستعمل كثيرا ... ! »

693 ـ تسايست ... ؟

وجدت في كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » لمؤلفه القاضي محمد بن علي بن حماد الصنهاجي . المطبوع بالجزائر سنة 1927 م ص 51 عند كلامه على عادة العبيديين بخروجهم كل يوم الى مكان معين يلتمسون رجوع « الحاكم بأمر الله الفاطمي »

« ... وهذا الرسم من خروج المركوب غدوة كل يوم هو الذي اتبعه ملوك صنهاجة بافريقية . وبالقلعة . وبجاية . وكانوا يسمونه : تسايست . اى استايست ... ؟ الى آخر ايامهم . يخرج القائد كل يوم بالجيش عن البلد . فيمشي مسافة معلومة . الى موضع معلوم . فيقف برهة . ثم يرجع الى باب السلطان فيقف الى ان يؤذن له في الانصراف .. ! »

694 ـ قفص ابني يزيد ... !

وجدت في كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » ص 33 :

« ... وعمل (المنصور) قفصا من خشب وادخل فيه قردين ذكرا وانثى وقال لاصحابه لا بد لمخلدين كيداد من دخول هذا القفص ومقارنته فيه مع هذين القردين ونصبه قبالة ابي يزيد فقال محمد ابن المنيتب :

حل البلاء لمخلد
وجميع شيعته الثواكر

امسى بأرض كيانة
قد بان منه كل ناظر

يرنو بطرف خاشع
نظر المحاصر للمحاصر

يرنو الى عدد الحصا
والرمل من تلك العساكر

يا مخلد بن سبيكة
يا شر بيت في العشائر

ذق ما جنت يداك قبل
من الكبائر والصغائر

انظر الى القفص الذي
لا بد فيه انت صائر

وانظر الى يديك فيه
ومؤنسيك ومن تجاور

قد طال شوقها اليك
فزورهما يا شر زائر »

695 ـ القياسير ... !

وجدت في كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » عند كلامه على سيرة « الحاكم بامر الله الفاطمي » ص 52

« ... وجرت في ايامه امور كثيرة عجيبة . منها انه كان في صدر خلافته امر بكتب سب الصحابة

على حيطان الجوامع والقباب والشوارع والطرقات ... !! »

696 ـ على افخاذ الخيل ... !

وجدت في كتاب « اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » عند كلامه على اخبار ابي عبد الله الشيعي داعية العبيديين ص 7

« وكتب على افخاذ الخيل : الملك لله .. ! »

697 ـ زاوية ابن سبعين ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف » وهو من تاليف عبد الحق البادسي الخزرجي الذي كان يقيد الحياة سنة 722 هـ

« كان وصل عبد الحق ابن سبعين الى مدينة سبتة . وتحلى فيها بالتصوف ... ! فخطبته امراة موسرة من اهل سبتة . فتزوجها ... وبنت له زاوية في نفس داره . فاقام بها الى ان نفاه ابن خلاص من سبتة ... !! »

698 ـ كلام ركيك ... !!

ووجدت في كتاب « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف »

« والف ابن سبعين المرسي كتابا سماه « الفقيرية » ذكر فيه ما يحتاج اليه « الفقير » وقال في وصفه « الفقير » :

— ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه . !

— ولا داخلا ولا خارجا عنه ... !!

وهذا كلام ركيك ... قبيل الفائدة ... . لا يفيد معنى ... ! ولا يثبت وصفا ... ! ولا يوجب من وجه الحقيقة حكما ... !! »

699 ـ كيف يكون اقتناء المكارم .. ؟

وجدت في كتاب : عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابي الحسن علي بن هذيل الغرناطي المطبوع على هامش غرر الخصائص ص 195

« ذكر ان المتوكل بن الافطس فر اليه شخص من بني هود مغاضبا لابن عمه ملك سرقسطة ، فآواه واحسن اليه . ثم اختبره فرآه اهلا للولاية فولاه .. ! فقال له احد وزرائه : كثير هذا في تغيير قلب قريبه يا مولاي .. ! تسخط قادرا في حق عاجز ..! وتفرط فيمن تحتاج اليه كما يحتاج الينا ... ! وتغتبط بمن لا يحتاج اليه . بل هو موكل علينا .. !

فقال له المتوكل : الذي قلت حق .. ! ولكن كيف يكون اقتناء المكارم ... ؟ »

700 ـ خسوف ... !

وجدت في كتاب الاحاطة في ترجمة ابي عبد الله الحداد الوادي آشي :

« حدث بعض المؤرخين مما يدل على ظرفه انه فقد سكنا عزيزا عليه واحوجت الحال الى تكلف سلوة فلما حضر الندماء وكان قد رصد الخسوف بالقمر . فلما حقق انه ابتدأ اخذ العود وغنى :

شعيفك غيب في لحده
وتشرق يابدر من بعده

فيلا خسفت وكان الخسو
ف حدادا لبست على فقده

وجعل يرددها ويخاطب البدر فلم يتم ذلك الا واعترضه الخسوف . وعظم من الحاضرين التعجب ... ! »

701 ـ حتى تحمر رقبته ... !

وجدت في الترجمة التي كتبها الحافظ ابن حجر المتوفى سنة 852 هـ للمؤرخ الكبير عبد الرحمن ابن خلدون في كتاب « رفع الاصر عن قضاة مصر » القسم الثاني ص 343 . القاهرة 1961 اشياء غريبة . من جملتها :

« ... فاعتنى به الى ان قرره الملك الظاهر برقوق في قضاء المالكية بالديار المصرية . فباشرها مباشرة صعبة وقلب الناس ظهر المجن .. ! وصار

يعزر بالصفع ... ! ويسميه الزج (1) ... !! فاذا غضب على انسان قال : زجوه ... ! فيصفع حتى تحمر رقبته ... ! »

702 ـ دنهـاجـــة ... !

وجدت في كتاب « وصف افريقيا الشمالية والصحراوية » المأخوذ من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي . ص 53 . ط. الجزائر 1957 م .

« وقصر عبد الكريم يسكنه قوم من البربر يسمون « دنهاجة » وهي مدينة صغيرة عامرة باخلاط دنهاجة وهي على نهر اولكس ويجري منها في جهة الجنوب ... »

703 ـ الـزنبـــوع ... !

وجدت في كتاب « تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب » المطبوع بباريز سنة 1934 م ص 9 .

« نارنج : هو الزنبوع بلفظ العامة »

704 ـ فـاغيـــة ... !

وجدت في كتاب « تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب » ص 33

« فاغية : زهر الحناء . وكل نوار طيب يسمى فاغيـــة ... »

705 ـ جـــوس ... !

وجدت في كتاب « تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب » ص 12

« جورس : يقال له « أنيلي » بلسان العامة . والابيض منه « تافسوت » .

706 ـ زعـــرور ... !

وجدت في كتاب « تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب » ص 17

« زعرور : يسمى بلفظ العامة بتفاح المزاح ..!»

707 ـ تقضـي وتشهـد ... !!

وجدت في ترجمة ابي البركات البلفيقي من النفح ج 5 ص 480 من طبعة بيروت

« ومن نوادره رحمه الله تعالى انه استناب بعض قضاة المرية الفقيه ابا جعفر المعروف بالقرعة في القضاء بخارج المرية من عمله . فاتفق ان جاء بعض الجناتين يفحص المرية يشتكي من جائحة او اذاية اصابت جنانه ففسدت غلته الدلك ... ! فاخذ الجنان قرعة واشار اليها مشتكيا ... وقال :

ـ هذه القرعة تشهد بما اصاب جناني ... !

فقال الشيخ ابو البركات عند ذلك ...

— غريبتان في عام واحد ...

— القرعـة تقضـي ... !

— والقرعـة تشهـد ... !

فاس : عبد القادر زمامة

---

(1) لعله يقصد (الزز) وهي كلمة كانت مستعملة في الاندلس وما زالت مستعملة في دارجة المغرب الى الآن ... !

● أمير مغرقي في طرابلس	تأليف: د. عبد الهادي التازي
● التاريخ والسير	تأليف: د. حسين مؤنس
● تاريخ رسالة الإسعاف	تأليف: د. عثمان عثمان إسماعيل
● المحاضرات	تأليف: الحسن اليوسي

جولة في كتاب

يتيمة الدهر

لعبد الملك الثعالبي النيسابوري

● تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين ● نقد الاستاذ محمد بن تاويت

كتاب يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : فريد في بابه حقا ، قل له النظير في ذلك العموم والخصوص ، فقد جمع صاحبه فيه ممن اتيحوا له معاصرا ، وان تقدمه بنحو قرن ، شعراء البلاد الاسلامية ، التي امتدت من تخوم الصين الى المحيط الاطلسي ، واختصه بتلك الحقبة الزمنية اذ كان شعر اصحابها ، كما قال : اجمع لنوادر المحاسن ، وانظم للطائف البدائع ، من اشعار سائر المذكورين ، لانتهائها الى ابعد غايات الحسن ، وبلوغها اقصى نهايات الجودة والظرف .

فالكتاب اذن موسوعة ، لشعراء هذا الجيل ، يعرض نماذج من اشعارهم ، مختلفة في الطول والقصر ، والموضوع والغرض ، والى جانبها نماذج اخرى قليلة من النثر الفني ، خصوصا ما كان منها لرؤساء الكتاب ، شرقا وغربا ، ولكن هذه ما اتت الا تبعا ، للشعر الذي يعتبره « عمدة الادب ، وعلم العرب الذي اختصت به عن سائر الامم » .

ثم ان الكتاب اهم ما صدر عن صاحبه ، واوفى ما الف من نتاجه ، فقد تصدى له ، كما قال : « سنة اربع وثمانين وثلاث مائة ، والعمر في قباله والشباب بمثاله » واسعر في تاليفه ، يزيد وينقص ، وينقح ويغير ، في الترتيب والتبويب ، الى ان انتقل الى جوار الله سنة 429 راجيا ممن يخلفه ان يكمل ما فاته ، وان يضيف الى شخصياته اخرى ، ذكر جملة من اعلامها ، وقد استجاب لرغبته ، في بعضها وهو على قيد الحياة الامير عبيد الله الميكالي ، فزاد عليه ترجمة ابي الحسن علي بن محمد المزني الاصبهاني ؛ فاجاز المؤلف الثعالبي ، ما فعله الامير الميكالي . ثم تلاه علي البخرزي النيسابوري ، فذيله بكتابه « دمية القصر وعصرة اهل العصر » فزاد خلقا كثيرا ، الى ان قتل سنة 467 وجاء بعدهما العماد الاصفهاني ، فالف كتابه « خريدة العصر وجريدة العصر » احتذى فيه حذوهما ، كما يصرح بذلك في المقدمة فعمل الحقبة الزمنية التي جاءت بعدهما ، فترجم في كتابه ، لادباء عاشوا في النصف الثاني من القرن الخامس ثم في القرن السادس وكان عمله هذا اشمل ، حيث وجدناه يسجل رجالا من الشمال الافريقي وجزيرة صقلية .

ولم نجد بعد هؤلاء من ترسم خطاهم ، بذلك العموم والخصوص ، كما ذكرنا .

لقد كان الثعالبي في تاليفه لهذا الكتاب يطوف البلاد المشرقية الشاسعة الارجاء ، فكتب فصولا في تجواله هذا ، كما يشير اليه في بعض التراجم ، كان في ذلك التطواف ، يقصد الادباء والشعراء في مجالسهم ، ويتلقى من افواه اولئك الرجال سماعات عديدة تربو على الخمسين اصحابها ، كما كان يكاتبهم ، ويستطرفهم باثارهم ، او دواوين لغيرهم ، يختار منها ، او يتلقى منهم بعض قصائد او ابيات ، يثبتها او

ينتقي منها ما يستحسنه . وكان ذلك كله في غير عصبية أو تحيز ، أدعيت عليه ، من المحقق ، لكونه جعل اهل الشام أوفى بهذا الشأن ، وما هو من « قيس » الشام ، ولا «قيسها» منه ، حتى يرمى بذلك التعسف المزعوم . . .

لقد كان الذين تلقى منهم في الشرق كثيرين ، أما في الغرب ، واعني الاندلس ، فكانوا قليلين ، لا يعدون عدد الانامل من الشعراء الذين تلقى منهم مباشرة ، آثارهم غالبا ، وآثار غيرهم نادرا . كما تلقى بعض آثارهم ، من أبي سعيد بن لبوست ، عن الوليد بن بكر الفقيه الاندلسي فيما قال . أما ما عدا هذا ، فقد يكتفي بقوله ، « انشدت » بالبناء للمجهول ، وقد يعرض الابيات ، من غير ما يذكر شيئا عن مصدرها .

ولم يذكر في هذا المغرب ، آثارا أو رجالا ، من شمال افريقية ، اعني ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، مضافا اليها صقلية . بل لم يرد ذكراه لطنجة في القصيدة الساسانية لابي دلف الخزرجي ففيها ذكر لهذه المدينة وهو الاسم الوحيد المغربي ، الذي وجدناه يذكر فيما احتواه هذا الكتاب ، يقول :

فنحن الناس كل النا س في البر وفي البحر
اخذنا جزية الخلق من الصين الى مصر
الى طنجة بل في كل ارض خيلنا تسري

وهي قصيدة عجيبة ، مليئة بالكذبة والغرابة ، التي اضطر الثعالبي أن يقف من الفاظها العديدة موقف الشارح ، وجلها تحمل دلالات عرقية ، فما عذر الثعالبي في هذا الاهمال ؟ فان كان عذره ، عدم اشتهار رجال من هذه الاقطار ، فان هذا لا يستقيم له ، والقيروان آنذاك معروفة بأدبائها ، وصقلية ببعض اشعارها التي كانت في القرن الخامس قد الف في رجالها الذين يقاربون المائتين كما في كتاب الجوهرة الخطيرة لابن القطاع الصقلي وفيه عشرون الف بيت شعر لهم وهم مائة وسبعون . اما ما عداهما ، فله الحق ، ان تجرد منه . ولكننا لا نعتقد بهذا التجرد ، فلا شك ان في الامر شيئا ، ربما يكون المكانة التي كانت له في البلاط الغزنوي ، المعادي للفاطميين ، والا لكان ابن هانيء الاندلسي ، على رأس شعراء الاندلس ، الذين ذكر جملة منهم ، وفيهم العلماء والكتاب .

نعم ، انه ساق بعض أبيات لتميم بن معد ولمعد بن تميم ، ونزار بن معد ابن تميم ، وقد اختص الاول وحده بكمية وافرة من الاشعار ، في مختلف الاغراض كما ساق شعرا متشيعا لاندلسي ، وهو :

انا ان رمت سلوا عنك يا قرة عيني
كنت في الاثم كمن شا رك في قتل الحسين
تلك صولات على قلـ ـبي دليلات لعيني
مثل صولات علي يوم بدر وحنين

ولكن هذا في الواقع ، ليس له طابع شيعي خاص ، فالمسلمون عامة يستنكرون قتل الحسين ، كما يحبون عليا ، الذي لم يذكر له الا مواقفه في بدر وحنين ، وحدهما ، دون صفين مثلا . وحتى لو كان ، فقد ذكر الى جانب الشيعة ، طائفة من المعتزلة ، كان على راسهم الصاحب ابن عباد ، وكان الغزنويون ، وخصوصا محمودا ، يكرهون المعتزلة ، كرههم للشيعة ، ومع هذا فترجمة الصاحب تطغى على ترجمة ابن العميد مثلا ولا نذهب بعيدا في الاستنتاج ، والمؤلف نفسه ، يقول عن نوادر المغرب عامة بما فيه حتى مصر : هذا باب كثرته ، على غرره ، تلقفتها من افواه الرواة وتطرفتها من اثناء التلفيقات . ولم اجد لاصحابها اشعارا مجموعة ، يتفسح في طريق الاختيار منها ، وانما هي تفاريق تلتقى أطرافها ، وتجتمع حواشيها .

اذن ، فقد استبان العذر ، وبقي لم لم يذكر ابن هانيء ؟ المبالغاته المكفرة ؟ . ان كان ذلك كذلك ، فقد أتى بما يماثلها في شعر ابن نباتة السعدي كقوله مخاطبا ابن حمدان :

حاشاك ان تدعيك العرب واحدها
يا من ثرى تدميه بلينة العرب

وفيما عدا هذا فقد استوفت الشام حقها كاملا ، وقال في امرائها وانطاكيين عليهم كلمته ، التي طالت وصدر بها الكتاب ، وخصوصا في الحمدانيين ، وشاعرهم المتنبي الذي احرز من الكتاب الحظ الاوفر ، حيث ملأ اربع عشرة ومائة صفحة منه . والشاعر شامي المنشأ كوفي المولد كما قال .

وعلى كل حال فان حظ الاندلس من الكتاب كان أوفر من حظ مصر فيه ، سواء فى هـذا الرجـال وآثارهم ، وفى المقدمة منهم ابن عبـد ربـه وابن دراج وابن شهيد .

غير ان ابن عبد ربه ، وقع فيه شيء عجيب ، فقد ذكر اولا بالترجمة « أحمد بن عبد ربه الاندلسي» رحمه الله تعالى » واثبت له كمية وافرة من الاشعار، جلها فى العقد ، ولم يزد عليها الا خمسة ابيات فقط، وهـي :

تعللنا امامـة بالاماني
ولج بنا البعاد من التداني

اذا ما قلت اين الوصل قالت
طليت العز فى دار الهوان

* * *

ايها البدر الذي مـن علينا بالطلـوع
ابغ لي عندك قلبـا طار من بين ضلوعـي
يا بديع الحسن كم لي فيك من وجد بديـع

ثم ذكر ثانية ، على انه غيره ، بالترجمة « أحمد ابن محمد بن عبد ربه » وسيقت له قصائد وقطـع عديدة وكثيرة جدا ، ذكرت فى العقد الا ثلاثة ابيات ، وهـي :

دع قول واشية وواشي واجعلها كلي هـراش
واشرب معتقـة تسلسـل فى العظام وفى المحاشي
حتى ترى العود الحسن بهـا ارق من الحشـاش

فهذا البيت الاخير سقط من العقد الذي بيدنا، وهو مما مثل به على الضرب السـابع المجزو المقبل من الكامل .

وهكذا قد تصمت هذه المجموعة ، ما جعله ابن عبد ربه ، شواهد للعروض والقوافي ، وهى أبيات ، يذيلها بالبيت الذي استشهد به الخليل ... ولـم يتنبه الثعالبي لهذا ، بل ان هذا البيت الذي يخمس بعضها ، سقط من اثنين منها ، الاول فى بحر المديد:

اعلموا اني لكم حافظ شاهدا ما دمت او غائبا

والثانـي فى الرمـل :

مقفرات دراسـات مثل آيات الزبـور

وقد وصل بيت ، كان مطلعا لخمسة ، مثل بها للعروض المقطوع الممنوع من الطي ، وضربه مثله،وهو:

كآبة الذل فى كتبـي ونخوة العز فى جوابي

فجعل هذا البيت ، سادسا لخمسة أخرى ، استشهد بها فى العقد على الضرب المقطوع الممنوع من الطي ، وهذه الخمسة الابيات همزية ، لهذا جعل ذلك البيت المذكور هكذا :

كآبة الذل فى كتابـي ونخوة العز فى الجواء

وبذلك صار البيت همزى القافيـة ليسايـر الابيات الخمسة فى قافيتها الهمزية « بالجـواء » ، ولا معنى لذلك ، بعد ان كان بائيها . والجميع مـن مخلع البسيط ، ونص عليه الثعالبي أيضا زيادة على هذه الاشعار العديدة ، فقد وردت غيرها ، وهي لابن عبد ربه ، منسوبة الى غيره ، مثل هذه الثلاثة التي نسبت لعبد الملك بن سعيد المرادي ، هكذا :

(قمر يسبي ذوى) العقول أنيق
ودشي بتقطيع القلوب رقيقـا

ما ان رايت ولا سمعت بمثلـه
درا يصير من الحياء رقيقـا

واذا نظرت الى محاسن وجهـه
ابصرت وجهك فى سناه غريقا

والابيات مع غيرها مشهورة لابن عبد ربه ، حتى فى الشرق ، شهرة جعلت المتنبي يسيبها يقول :

« أيه يا ابن عبد ربه لقد تابيك العراق حبوا »

ولكن البيت الاول هكذا :

يا لؤلـؤا يسبـي العقـول أنيقـا

ولا ادري كيف تاتى له أن يكون بتلـك الصورة التي ورد عليها بالبتيمة ، وسكت عنها محققها ، وكان حقها وهي ما هي عليه أن يصير « انيقا » ، الى الرفع خيـرا ..

وكذلك نسبت قطعتان ذاتا اربعة ابيات ، كلتاهما ، لحبيب بن أحمد الاندلسي ، وهما لابن عبد ربه في عقده منسوبين له اولهما :

وبعثني بزنرة واعتناق
ثم نادت متى يكون التلاقي

وتصدت فاشرق الصبح منها
بين تلك الجيوب والاطواق

يا سقم الجفون من غير سقم
بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق اقطع يوم
ليتني مت قبل يوم الفراق

والقطعة الثانية :

هيج البين دواعي سقمي
وكسا جسمي ثوب الالم

ايها البين اقلني مرة
فلعل عدت نقد حبل دمي

يا خلي الروع ثم في غيظة
ان من فارقته لم يشم

ولقد هاج لقلبي سقما
حب من لو شاء داوى سقمي

ومما وقع له في هؤلاء الاندلسيين ، وقلما وقع في غيرهم ، أن الابيات النونية التي سبق ذكرها وهي لابي جنيش في رثاء الخبز جاءت بعد منسوبة للخباز نفسه .

ونعود بعد هذا فنساير اليتيمة في صفحاتها . نجد في عرض نماذج من شعر ابي فراس بيتا هكذا :

تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

فلعل « يغله » تحرفت عن « يغلها » كما هو واضح ، والا فلا يبدو لها وجه الا بتكلف بالغ ..

وفي هذا العرض ، ورد له بيت آخر هكذا :

عداوة ذي القربى اشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

ولا شك انه ضمنه شعره ، والا فالبيت من معلقة طرفة ، وان كان المحفوظ :

وظلم ذوي القربى ،،، ،،،

وفيه ايضا ، بيت هكذا :

اذا الليل اضوى بي بسطت يد الهوى
واذللت دمعا من خلائقه الكبر

والمحفوظ : وهو الصواب : أضوانى ،،، الخ او اضنانى ،،، . أما اضوى بي ، فلا نعرف هذا الاستعمال ، وربما حصل من قبيل التصحيف .

وفي الكلام على شعر ابى الطيب ، ورد البيت له :

لو طاب مولد كل حي مثله
ولد النساء وما لهن قوابل

والمراد له انهن لا يجدن ألما من مولده ، ولكن القاضي الجرجاني ، قال : ان طيب المولد لا يستغنى به عن القابلة ، وان استغنى عنها ، كان ماذا؟

وهذه الجملة الاخيرة ، استعملها فيما بعد مالك ابن المرحل ، فوقع فيها نزاع بينه وبين ابن الزفيع النحوي الذي خطأ هذا الاستعمال ، بدعوى الصدارة للاستفهام ، كما يبدو ، وقال :

كان ماذا ليتها عدم
جنبوها قربها عدم

فرد ابن المرحل بقوله :

عاب قوم كان ماذا
ليت شعري لم هذا

والف فيها كتابا بعنوان « الرمي بالحصى والضرب بالعصا » كما الف ابن أبي الربيع فيها ، وهو الامام في النحو ، الذي طار صيته في الاقطار ، كما يحكي تلميذه ابن رشيد في رحلته . ولم يجد ابن المرحل ما يستشهد به على صحة دعواه ، الا كلام المولدين ، ولعل منه قول ابن عيسى بن زيتب المراكبي :

يتيه عمرو بماذا يتيه عمرو بن بانه

وحتى لو صح الاستشهاد بشعر مثله ، فلا شاهد في هذا ، حيث انه يحتمل تعلقه بما بعده .. والصواب مع ابن ابي الربيع ، على كل حال ، والثعالبي لم يكن من شأنه ان يقف عند هذه العبارة ونحوها ، وان وقف عند غيرها ، من مثل تضعيفه الانتقال من الجمع الى التثنية في قول ابي الطيب :

وتكرمت ركباتها عن مبرك
تقعان فيه ليس مسكا أذفرا

فقال فيه : وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الاعراب .

وقال الثعالبي انه مستعمل في الفصيح ، قال تعالى : « ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات » ، ففي هذه الآية ، زيادة على المخالفة بين التثنية والجمع ، مخالفة بين التذكير والتانيث « قالتا اتينا طائعين » .

وبعد هذا ، نجد له وقفة ، عند قول ابي الطيب:

لم تر من نادمت الا كما
لا لسوى ودك لي ذاكرا

حيث قال : فوصل الضمير بالا ، وحقه ان ينفصل عنه . مع ان ابا الطيب في نظرنا يستحق ان يستشهد بكلامه ، فهو عالم بالعربية قبل ان يكون شاعرا ، وما استعمل هذا الا وهو معتمد على الاستعمال العربي ، شان اصحاب المذهب الكوفي الذين كان هو منهم ، قال الشاعر :

وما نبالي اذا ما كنت جارتنا
ان لا يجاورنا الاك ديار

وبعد هذا ينقل عن الصاحب ، معلقا على قول ابي الطيب :

لعظمت حتى لو تكون امانة
ما كان مؤتمنا بها جبريل

انه قال « وقلب هذه اللام الى النون ، ابغض من وجه المنون ، ولا احسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا العجاز » ..

ومعلوم ان الصاحب كان يتحامل على المتنبي ، مما حمل القاضي الجرجاني ، على تاليف كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، والمتنبي الكوفي ، اعتمد في الاستعمال ، على ما سمع عن العرب من قلب اللام نونا ، كما حكي بعضهم :

قالت وكنت رجلا فطينا
هذا لعمر الله اسرائينا

وللسيوطي في كتابه المزهر امثلة عديدة من هذا القبيل .

وذكر للمتنبي بيت هكذا :

سر حيث شئت نحله النوار ...

وصوابه :

سر حل حيث نحله النوار ...

وفي تعرضه لشعر الواواء الدمشقي ، ذكر له اربعة ابيات ، عرفت بشهرة بالغة ، لمحمد بن زريق البغدادي ، من قصيدته الاندلسية ، وهذه الابيات :

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعة

الى آخرها من مطلع القصيدة المذكورة ، فلعل نسبتها للواواء ، من استملاء ابي نصر سهل ابن المرزبان ، الذي اتحفه بالديوان وما الحق به من زيادات استملاها من القوال المعروف بعين الزمان ، كما يقول الثعالبي . وكان ابو نصر سهل ابن المرزبان اول من جاء بهذا الديوان واستصحبه من بغداد الى نيسابور . والقوال غير ثقة في الرواية والحكاية ، كما يقول عنه الثعالبي نفسه ، فربما كان هذا مما استملاه من القوال المذكور يعنى به المنشد او الرجال الذي ينصت اليه الجمهور او المغني وقد كان المغنون لذلك العهد على مستوى عال من الثقافة وحفظ الاشعار .

ثم جاء من قصيدة للواواء بيت هكذا (وهي من المتقارب) :

على شجرات رافعات الذيول
لماء الجداول منها شهيق

وهو لا يستقيم في مصراعه الاول ، فلعل « شجرات » تحرفت عن « شجر »

وورد مشوبا للولواء البيت :

واسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

والمعلوم انه ليزيد الاموي ــ الاول او الثاني ــ من قصيدة مشهورة ، ختمت بالبيت :

ان يحسدوني على موتي فوا اسفي
حتى على الموت لا انجو من الحسد

فربما ضمنه الولواء شعره ، او انه ليس ليزيدين كليهما وهو المتبادر من هذا الاسلوب الذي يستبعد ان يكون من اساليب العهد الاموي ؛ وبعد ذلك البيت :

انسانة لو بدت للشمس ما طلعت
من بعد رؤيتها يوما على احد

والظفويون يذكرون تأنيث انسان ، وقد استعمله كذلك الثعالبي (وهو من فقهاء اللغة) فقال ابيات بذلك ، منها :

انسانة فتانة
بدر الدجى منها خجل

واعجب ما جاء في الجزء الاول ، نوتية طويلة جدا ، قالها ابو القاسم الوساني ، يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها ، ومطلعها :

من لعين تجود باهمالان
ولقلب مذلة حيران

يا خليلي اقصرا عن ملامي
وارثيا لي من تكبني وارحماني

وهي في غاية الفكاهة ، المليئة بالالفاظ النابية ، كما انها طافحة بمعلومات حضرية ، يستفيد منها مؤرخو الحضارة الدمشقية ، وليس لها نظير ؛

وقضية الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، خاصة ، مما يساعد على تسجيلها ، كتاب اليتيمة ، الذي نجد فيه ، من الطعوم المستعملة آنذاك كثيرا من الشواهد ، واهمها ما نظمه ابو طالب عبد السلام ابن الحسن المأموني العباسي .

كما نجد فيه كثيرا من الالفاظ الفارسية التي صارت تروج بين الناس ، مثل الروزنمجه والخواجه وخركوش ودلبر وغيرها كثير ، كما صارت كلمة « مهمان » تحل محل ضيف . قال ابو بكر البلخي :

ما سمت العجم المهمان مهمانا
الا لاجلال ضيف كان من كانا

والغريب في هذه الكلمات التي كانت تستعمل من الفارسية بعضها فقد مدلوله الاول فيما بعده وصار يطلق ، على ما اطلق عليه بالكناية ، مثل « خركوش » اي الارنب ، ومعناه الاول حماري الاذن اي طويلها ، كما جاء وصفا لسلوقي في قصيدة لابن الحجاج ، حيث يقول :

تفدى بالجدا فوددت اني
وحق الله خركوش سلوقي

ومن كلمات العدد الفارسي ما في بيت لابن الحجاج كذلك :

سقاني « دو » و « سا » وازددت منها
على سكري وصبحني بـ « هفت »

بل اننا وجدنا بعض الابيات بالفارسية ، وهذا لا غرابة فيه ، منبعثا من تلك الجهات التي نهضت بها ، مثل هذا البيت :

خون سبيد بارم بر دورخان زردم
آرى سبيد باشد خون دل معشد

اما التعابير والجمل فكثير ، كما في ابيات انت بعد المذكور لابن الحجاج منها :

فلما تمت قام وقال « بروى »
لمن حولي « خوى خاتى بحفت»

وبعده اخرى كثيرة وهو صدى وجدناه يتردد لذلك العهد في كتب الآداب ، وان كان الجاحظ قبل سجل شيئا منه كما نشرناه سابقا ، ولكن كل ذلك لم يكن بهذه القوة التي انتهى اليها التدخل الفارسي

في العربية تصحيحها وعاميها على السواء ، وكتاب فقه اللغة للمؤلف يعطينا صورة قوية عنه . وكالمي اعطاناها قبله ابن قتيبة ، في ادب الكتاب ، خاصة . وقد تردد ذكر هذا الكتاب في اليتيمة باسم ادب الكتاب . وهذا العنوان معروف لعدة مؤلفين كما نجد في الفهرس لابن النديم ..

وقد وقعت بعض التصحيفات في هذا الجزء ، ولا شك انها حدثت من الطباعة ، ولم يتنبه لها ، من ذلك ورود بيت لابي بكر المذكور هكذا :

يسقكما من بني الكفار بدر دجى

وواضح صوابه : يسقيكما ... ...

ثم بيت آخر هكذا :

ولاح فحل كأس الشمول

وصوابه : « « فحلل « « »

ثم ورد فيه « في جارية سوداء يقالها شغف » وصوابه « يقال لهـا »

وقد تكرر في الجزء الثالث ، ذكر البيتين الآتيين ، لابن سكرة الهاشمي :

ويوم لا يقاس اليه يـوم
يلوح ضياؤه من غير نـار

اهمنا فيه للذات سوقـا
تبيع العقل فيه بالعقـار

ثم عند ذكره للحسن ابن الحجاج ، قال ، انه قد اخرج من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الخالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تمر لنفس ، ما يستغرق وصف ابن الرومي ، ولكنه فيما أتى به من ملحه ، لم يتورع أن يثبت اشنع الفواحش فيها ، واخبث الاهاجي منها .

وزيادة على ما ذكر لابن الحجاج من مبالغات تلزمه الكفر أو الشعوبية في مدحه لسيف الدولة ، فقد اتى بأبيات اخرى مغرقة ، نحو قوله فيه :

يا درة الملـك ويا غـرة
في وجه هذا الزمن الادهـم

تراب نعليك على ناظـري
أعز من عيسى على مريـم

وبالجملة فلابن حجاج مبالغات مفرطة في امداحه للامراء والكبراء ، لا تنزل عن تلك التي عرفناها لمعاصره ابن هانيء الاندلسي ، وأيسر ما له منها قوله لابي نصر الوزير سابور بن اردشير :

وما دمت بعد الله لي عنه رازقا
فما انثني انه لي حـارم

وانت بيت الندى طافت بكعبته
. . . . . .

ومن استهتاره بدينه قوله :

يا من يعادي الهوى جهلا بموقفه
ولا يزال يعادي المرء ما جهـلا

اما رأيت الهوى استولى بقتته
على النبيين واستغوى بها الرسـلا

فان شككت فسل زيدا بقصتـه
واروياء يقولا الحق ان سئـلا

وفي قصيدة له ، ورد هذا البيت :

ندمت ندامة الكسعي لمـا
غدت منه مطلقـة نـوار

ففيه تداخل ، بين قصة الكسعي وقصـة الفرزدق ، الذي طلقت منه نوار . فالكسعي ندم على تكسير قوسه ، فشد على ابهامه فقطعها ، وقال :

ندمت ندامة لـو ان نفسـي
تطاوعني اذن لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الراي منـي
لعمر ابيك حين كسرت قوسي

لما الفرزدق ، فقال حين أبان زوجته نـوار ، وندم عليها اشد الندم :

ندمت ندامة الكسعي لمـا
غدت مني مطلقـة نـوار

وكانت جنتي فخرجت منها
كآدم حين لـح بـه الضرار

ولو ضنت بها نفسي وكفي
لكان عني للقدر اختيار

اذن فالبيت للفرزدق ، ولكنه نقص معناه وافسده حينما غير « مني » فجعل الضمير غائبا يعود على الكسعي ، وهذا جهل منه وفات الثعالبي ومحقق كتابه ، حيث لم ينبه على ما فيه .

وفي ذكر أبي الحسن علي بن محمد الابهري ، نسبت له الابيات :

متى ترغب الى الناس
تكن للناس مملوكا

وان انت تخففت
على الناس أحبوكا

وان ثقلت عافوك
وملوك وسبوكا

اذا ما شئت ان تعصى
فمر من ليس يرجوكا

وسل من ليس يخشاكا
فيدمي عندها فوكا

والابيات معروفة لابي العتاهية ، من قصيدة مطلعها :

رايت الشيب يعدوكا
بان الموت ينحوكا

فالغريب من كون الثعالبي لم يتنبه لهذا ، كما لم يتنبه له محقق الكتاب الذي دخل التراث العربي من كل باب وجل فيه وصال ... وفي ذكره لرجاء بن الوليد الاصبهاني ، اتى في التبجح بطرشه ، بهذين البيتين :

حمدت الهي اذ بليت بحبه
على طرش يشفي ويغني عن العذر

اذا ما أراد السر الصق خده
بخدي اضطرارا ليس يدري الذي أدرى

ثم علق على هذا بقوله : وانما حذا به مثال من قال في احول :

حمدت الهي اذ بليت بحبه
على حول يغني عن النظر الشزر

نظرت اليه والرقيب يخالني
نظرت اليه فاسترحت من العذر

وواضح ان القائل هو الاحول نفسه ، فلعل « أوحل » تصرفت عن « حوله » او التبجح بحوله ، كما حصل في التبجح بطرشه ، وفات هذا المحقق .

وفي ذكره للحسن احمد بن المؤمل ، ورد بيت له هكذا :

وقائلة لي ما بالك الدهر طافحا
وانت من لا يليق بك السكر

والبيت كما نرى ينكسر بزيادة « لي » ولم ينبه عليه كذلك .

وورد في عرض نماذج من نثر الخوارزمي ذكر السيد ان اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعي ، والمعتزلي بالاشعري ، وانا اقول ،،، اعتدادي ،،، اعتداد الصحابة بالنبي ، واعتداد الشيعي بالوصي ، واعتداد المعتزلي بالحسن البصري .

والذي يهمنا هنا اعتداد المعتزلي بالاشعري ، حيث نفهم علة ما كان عليه ابن تومرت واتباعه من اعتناق مبادىء الاشعرية الى جانب الاعتزال والشيعة ، وهو مجال واسع للامعان جيدا في نقطة الاتصال بين هذه المذاهب او المبادىء التي كان عليها الموحدون الاول والمعروف عن ابي الحسن انه خالف مذهب المعتزلة عند انفصاله عنهم وجاهر بخلافهم . ولهذا لا يبدو اعتراضهم فيه بعد ذلك .

ومن شعر الخوارزمي ورد بيت هكذا :

وهم خالفوني اوطأوا في صلاتهم
وصنت عن الابطال شعري فيهم

وصوابه :

وهم خالفوني أوطأوا في صلاتهم
وصنت عن الايظاء شعري فيهم

وبيت آخر تحرف فيه « طرا » فأثبته هكذا « طهرا »:

ورثت اخا لو خير المجد في خ
من الناس طهرا ما عداه وما استثنى

ومن نثر البديع الهمذاني ورد ما يلي :
وقد قاسمته في أزرك ، وجعلته موضع سرك ، فأريني موضع سرك ، فأريني موضع غلطك فيه ، حتى اريك موضع تلافيه .

ولاشك أن « فأريني موضع سرك » لا محل له من الكلام ، والغالب أنه من زوائد الطباعة ، ولم يتنبه لذلك المحقق ، على كل حال .

ومن شعره ورد بيت هكذا :

اصبحت لا ادري أ دعوا طغمتي
ام بكتكين أم اصبح بيـــزع

وصوابه : طغتكين ، وهي شخصية معروفة لذلك العهد في الشرق الاقصى .

وفي تعرضه لاحمد السجزي ، ورد من ابيات شعره بيت هكذا :

ارى الارى في حكم الشريعة سورة
مباحا لمن كان قد كان في ملكه الدبر

فالفعل « كان » الاول مقحم ولا يستقيم به وزن. فلعل ذلك من زيادات الطباعة ، ولم يتنبه له المحقق .

وفي ابيات ابي بكر البلخي ، ورد البيت :

احسن الاشعار عنـــدي
« وانف بالخمر الخمـــارا »

فكان الواجب النص على كون الشطرة الثانيـــة منه شطرة لآخر هو : « دع لباكيها الديارا » والبيت مطلع قصيدة لابي نواس معروفة .

تكتفي بهذه الوقفات القصيرة في جولتنا بكتاب اليتيمـــة الحافل .

* * *

وبعد فان تحقيق محمد محيي الديـــن لهـــذا الكتاب ، يعد من احسن رادق ما له تجـــاه عشرات الكتب المختلفة التي نشرها او أعاد نشرها بتحقيقه، وهو نفسه يشعرنا بما بذله من مجهود في تحقيـــق اليتيمة ، وان لم يزوده — كعادته في غيره — بفهارس من عنده أو تنظيمات لتراجمه ، بل اكتفى بالفهرس الوحيد الذي تقدمه في طبعاته الاولى .

واذا قلنا ان تحقيقه كان دقيقا بالنسبة لما له في غير هذا الكتاب ، فلا يعني هذا أنه خـــلا مـــن التصحيف او تقصير فيما زوده به من تعاليق ، كما يجمل ذلك فيما يلـــي :

في التعليق (1) بالصفحة 99 يعلق على ابـــي حســـن ارقي :

من ذا يطاوله ام من يماجـده
ام من يساجله أم من يكاسره

بقوله : اصل المساجلة ، ان تملأ دلوا ، ويملأ آخر دلوا ، لتريا ايكما اكثر متحا .

وكان عليه بعد هذا ان يذكر انه من السجـل ، اى المدلو المملوء ماء فيبين اصل الاشتقاق في كلمـــة المساجلة ، والا لسكت عنها .

وورد لابي الطيب الرقي هذا البيت :

كم صلاة على فتى مات سكرا
قد اقيمت فينا بغيـــر اذان

وتكرر فيه بغير تصحيف طباعي لم يتنبه له

وفي الرقم 99 الجزء الثاني ، تحرف اســـم « جنيش » بمبيع ، واصل الكلمة اسبانية بمعنـــى الرمـــاد Ceniza فنسب الرمادي المقصود اليه، وقد سقط عنوان الترجمة له وهو « ابو عمر يوسف ابن هرون المعروف بابي جنيش » كما هو الصنيـــع في غيره بالكتاب .

وفي الصفحة 255 منه ، ورد من كتاب الصابي، الى الصاحب « وانا أود ان سواد عينـــي مـــداده ، وبياضها طرسه ، شوقا الى لالاء غرته ،، » فتحرفت « الا » بالى ، وهو من عمل الطباعة لا محالة .

وفي الصفحة 265 كذلك ، ورد بيت الصابي :

فغدا بياضك وهو ليل دامس
وغدا سوادي وهو فجر أنور

محرف هكذا : فقدا بياضك وهو دليل امس
كما ورد له في الخالديين البيت :

ارى الشاعرين الخالديين سيرا
قصائد يفتى الدهر وهى تجلد

وصحف الشاعرين بالشعريين طباعة

وفى الصفحة 59 علق على كلمة « دغباج » في البيت :

اريد مما افتتحه عمـــلا
يثرد في دغباجه اللفـــم

بانه التعيم والاكل لا يتأتي ، كما نجد في بيت آخر لنفس الشاعر ، ابن الحجاج ، (وهو باسقاط كلمات نابيـة فيه) :

بات د كشـــاب ،،، في ،،،
يخلط الدوغباج بالزبريـــاج

وفى الصفحة 134 ورد بيت هكذا :

موف على القتـل الـــــذوا
هب في العلا عرضا وطـــولا

وصـــوابـــه : القتـــين

وفى الصفحة 138 ورد بيت هكذا :

اورق امين الله عودي انمـــا
اغراث مثلك في العلا اغراسي

وصوابه : اغراس

وفى الصفحة 159 ورد بيت هكذا :

رايت به فائقات العـــلا
وعلمت ما للهمم العاليـــة

ولا يستقيم الوزن،والصواب : الهمم

وفى الصفحة 160 ورد بيت هكذا :

واني لا اكره من شمتـــي
زيارة حي بلا منفعـــــه

ولا يستقيم الوزن ولا السياق ، وصوابه :

واني لاكره من شمتـــي
زيارة حي بلا منفعـــــه

وفى الصفحة 197 كتب من الآية « الم تربك فينا وليدا » هكذا : الم نر فينا

وفى الصفحة 296 جاء بيت هكذا :

فهو ناع الي نفسي ومنـى ذا
سره أن يرى وجوه النعـاة

وصوابـــه : ومن ذا

وفى الصفحة 197 علق على البيت :

وشر ايام الفتـــى آخـــر
فيه يسمى للشقاء خواجـــه

بان عجزه غير مستقيم ، والواقع انه ينطق حسب القاعدة الاملائية الفارسة ، بتفخيم فتحة خواجه ، دون النطق بالواو التي تؤدى التفخيم فيستقيم بذلك وزن البيت ، لا على حسب ما ينطق في الشرق العربي الان ، وقد نطق العرب الخوان الخان ، كذلك، مراعاة للقاعدة الفارسية .

وفى الصفحة 377 ورد بيت هكذا :

لله منزلنا التي من شانهـــا
جر الرماح على السماك الرامح

وصوابه : لله منزلنا

وفى الصفحة 399 ورد ما يلي :

وكان بقزوين رجل معروف بابي محمد الشريرى ،، حضر طعاما والى جانبه رجل اكول ، فاحس ابـو حامد بجودة اكله ،، فلا شك ان احد المكنيين محرف عن الآخر ، ولم نتمكن من تعيينه .

وفى الصفحة 402 ورد بيت هكذا :

والثريا كانه كـف خـــود
ابرزت منه غلالة زرقـــاء

والبيت ـ كما نرى ـ لا يستقيم وزنه بمنه ، فهي محرفة من « من » هكذا : أبرزت من غلالة زرقاء .

وفي الصفحة التالية ، ورد بيت هكذا :

اذا كان يوذيك حر المصيف
وكرب الخريف وبرد الشتاء

والصواب قصر الشتاء ، لما بعده : ويلهيك حسن زمان الربيع فاخذك للعلم قل لي مني

وفي الصفحة 24 من الرابع ، ورد بيت هكذا من الطويل :

ايا معهد الاحباب ذكرهم عهدي
ودم لي وان دام البعاد على الود

فلا شك انه هكذا : أيا معهد الاحباب ذكرهم عهدي
وفي الصفحة 55 ورد بيت من الكامل هكذا :

قوم اذا ابتسم الصباح أغاروا
في كل حي انجدوا ام غاروا

ولا يستقيم البيت على حالته هذه

وترددت كلمات الجبهاني والبلغمي وابن عزيز ، في عدة صفحات من هذا الجزء ، مصحفة بالجبهاني والبلغمي وابن عزيز ، بالباء في الاول والعين في الثاني وبالراء في نهاية الثالث ، وان كتب بعضها صحيحا في صفحات اخرى .

وفي الصفحة 67 ورد بيتان هكذا والاول من المتقارب :

واقسم ما تابك من علة
ولكن رايك فينا عليل

والثاني من البسيط :

اختر لنفسك ندمانا تسر بهم
اولا فشادم عليها جلة الكتب

والصواب فيهما : واقسم ما نيب من علة
اختر لنفسك ندمانا تسر به

وفي الصفحة 149 ورد بيت هكذا :

وقائلة لي ما بلك الدهر طافحا
وانت من لا يليق بك السكر

ولا محل في المصراع الاول لكلمتي « لي » حيث الوزن ينكسر بهما .

وفي الصفحة 162 ورد بيت هكذا :

فباسقاك اخو جفن السحاب حيا
يحبو رب الارض من نور الرياض حبا

وصوابه : يحبو ربا ،،،

فهذه وغيرها تحريفات أو تصحيفات غالبها وقعت من الطباعة ، وهي قليلة في حق صفحات تقارب الالفين ، ولهذا نرى أن التحقيق مما يحمد لصاحبه كما يحمد له في كتب اخرى قليلة كأدب الكاتب لابن قتيبة ، والعمدة لابن رشيق بخلاف نفح الطيب مثلا فهو ملىء بالتصحيف والتحريف والتكسير للابيات الشعرية .

التاريخ والسير

● تأليف : الدكتور حسين فوزي ● عرض وتقديم : المهدي البرجالي

أثارت مادة التاريخ في العصر الحديث ، كثيرا من الجدل والنقاش تبعا لتعدد النظريات والاتجاهات حول تصنيف هذه المادة في سلم فروع المعرفة ، أهل هي من قبيل العلوم او الاداب ؟ وهل يجب على المؤرخ ـ من ثم ـ أن يخضع نهج البحث التاريخي للمقاييس العلمية الصرفة ، أم يسعه ان ينظر الى موضوعاته من زاوية الفكر الادبي ؟ ام ان الانسب الاعتماد في مثل هذا ـ المجال ـ على منهج مزيج ، تتظافر فيه النظرة العلمية والادبية ؟

وأكثر من هذا ، فقد كان من اللازم ان تخضع النظريات في الموضوع التاريخي لتقييمه من جوانب أخرى أكثر راديكالية، مثل التساؤل عن المدلول الحقيقي لفن التاريخ ؟

وما مدى ما يمكن ان يستفاد من الخوض فيه؟ وهل يمكن ـ في نطاق اوسع ، تحصيل أية فائدة من التاريخ على الاطلاق ؟

ثم ما منزلة فن السيرة بين الفنون المتصلة بمادة التاريخ، او المدرجة في نطاقه ؟

تساؤلات كثيرة كهذه ، تخطر على الذهن ، مستقاة من حوافز هذه النزعة السائدة في مناخ الفكر الحديث، بمحاولة تقييم كل شيء واعادة تقييمه ، تبعا للتحرك المستمر في العلاقة بين الاشياء ، وتطور النظرة اليها والحكم عليها ، بالنتيجة ويبدو وكأن بعض هذه التساؤلات كانت تلح على اسلافنا ممن كانوا يتصدون للتدوين في مادة التاريخ ، فتراهم في كثير من الاحيان يصدرون مصنفاتهم التاريخية بفضل تقليدي عن فائدة هذه المادة ، وقيمة المعرفة التاريخية بين أصناف المعرفة .

والكتاب الذي نعرض له في هذا المجال ، محاولة لبحث الموضوع من منظور هذه التساؤلات او نحوها، سعيا من المؤلف الى استخلاص فكرة موضوعية عن البحث التاريخي وجذوره ، وتحليلا لابعاد مهمة المؤرخ وملابسات عمله ، الى مثل هذا من المسائل .

ونطرح بعد هذا ، في بداية تناولنا للموضوع ، لسؤال مع المؤلف عن مدلول التاريخ كفن من فنون المعرفة : ماذا يحسن ادراكه من هذا التعبير ، تعبير التاريخ ؟ ومم يتشكل الموضوع التاريخي ، اذا حاولنا أن نعرف عليه ؟

يورد المؤلف بصدد السؤال قوله :

«..التاريخ كما يرى «هيرتشو» هو مدونة العصور الخوالي ، وكتابها الحافظ لاخبارها ، أو هو التدوين القصصي لمجرى الاحداث العالمية كلها او بعضها ، ومن قبله عرف ابن خلدون التاريخ بانه فن يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبياء في

سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى يتم الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا، فالتاريخ اذن هو جماع احوال البشر ما يقع منهم، وما يقع عليهم ، وهو مدونة الماضي لجلاء الحاضر ، وفي اطاره هذا لا يبلى قديمه ، فهو دائم الجدة والتجدد، ذلك أن الانسانية ترتبط ارتباطا وثيقا ، وهنا يلعب الزمن دوره الازلي ، بحيث يبدو جامدا لا يتحرك ما لم تتواتر على مسرحه احداث هي من صنع الانسان أولا، وهي من صنع الحياة ثانيا ، فالحياة تفرض نفسها على ارادة الانسان، والصراع الذي يخوضه الانسان في معركة الحياة ، هو الدراما الخالدة على مسرح الزمن ، وقد تتجدد الصور والمناظر في تلك الدراما، ولكن شخوصها وتواتر احداثها باقيان ، فالانسان هو الانسان ، ومعركته خالدة ما بقي مع الزمن والحياة..» (9 ــ 10)

والحق ان تعريف التاريخ تحت ضوء هذه المعطيات التي سلفها المؤلف لا يستتم دلالته الا بالتعرف على دور المؤرخ في تدوينه التاريخ ، وما يؤثر به الجهد الذي يبذله في تجلية وقائع الماضي ، اذ أن الواقع التاريخي وعمل المؤرخ في استحضار صورته ليشكلان منظومة متكاملة ، وصالحة في اطارها المتكامل هذا ــ لرسم ملامح مفهوم التاريخ ، وأبعاد هذا المفهوم ويصدد بسط هذه الفكرة يذكر المؤلف :

«..ان المؤرخ لا يقص خبر الاحداث فحسب ، بل يفلسفها ويتحرى العلل في وقائعها والنزعات التي تسوقها ، ليفسر على ضوئها أحداث الحاضر الذي يعيشه، وليس في مقدوره أن ينزع نفسه من حاضره، فكل ما يعنيه أن يتخذ من الماضي وسيلة لفهم نفسه، وادراك ما يحيط به ، وتلك فائدة التاريخ ، وجدوى عمل المؤرخ..»(13) .

هذا من علاقة المؤرخ بالتاريخ، وقد أوردنا ــ قبل ــ اختلاف أنظار المفكرين في علاقة التاريخ ، بفروع المعرفة الاخرى أدبية أو علمية ، وترددهم بين ادراج الموضوع التاريخي في نطاق النظر الادبي ، أو في اطار التحليل العلمي .

ويتعلق بالمسألة ــ كما ذكر ــ موضوع النهج الذي يتحكم في مسار النظرة الى البحث التاريخي ، والاستنتاج منه ، وفي هذا الباب يتوجه المؤلف الى اقامة موازنة بين طريقة المؤرخ في تناول الوقائع التاريخية ، وأسلوب الفيلسوف في ذلك ، وحول هذه النقطة من تحليلاته ، يورد قوله :

ان المؤرخ غير الفيلسوف ، اذ بينما يقف المؤرخ أمام الواقعة التاريخية باحثا منقبا عن نشأتها ومجراها ودلالتها ، ترى الفيلسوف يطل على عالم التاريخ كله في صورته الكونية العامة ، لا يعنيه العرض قدر ما ينفذ الى الجوهر، ولا يهيم بالواقعة قدر ما يهيم بالعلية فيغوص وراء الواقعة بحثا وراء الجوهر ، وسعيا وراء الكل ، ثم يضع مذهبا يفسر به الواقعة ، وكثيرا ما يعبره المؤرخ عبورا هينا فلا يعنى به قدر ما يعنى بحقيقة الواقعة ذاتها ، وارتباطها بزمان ومكان معين، فاذا شمخ المذهب الفلسفي اختلت نظرته الى التاريخ وجاوزته الموضوعية الى الذاتية في بحثه..(13)

وتصور المؤلف ــ هكذا ــ لطبيعة النهج الذي يسير عليه المؤرخ باعتباره نهج بحث وتنقيب عن الحقائق الموضوعية ينم عن اتجاه الى ادخال مادة التاريخ في مضمون العلم، وان لم يحسب ــ بالضرورة من العلوم التجريبية ، وهذا ما يؤكده المؤلف بالفعل في مستهاف حديثه حيث يقول :

«.. ان التاريخ علم وان كان لا يدخل في مضمار العلوم التجريبية ، هو علم بحث وتمحيص ، بحث وراء الحقيقة وتمحيص لها..»(13)

بل ان الكاتب يذهب أكثر من هذا ــ الى أن التاريخ قد لا يكون أكثر من مجرد تعبير عن طريقة للبحث بصرف النظر عن المادة التي يتناولها الباحث، الامر الذي ينبيء عن طبيعة علمية لمدلول التاريخ ، حيث أنه يصلح ــ بحكم هذا الاعتبار ــ وعاء لتمحيص موضوعي للحقيقة في غير ما مجال من مجالات المعرفة، وينقل المؤلف لتقرير هذا المعنى قوله .

«.. لفظ التاريخ ، حتى في معناه العلمي المجرد ــ قد لا يعني شيئا على الاطلاق، الا ان يكون بحثا او طريقة للبحث ، وليس له موضوع ما لم يقترن بصفة تميزه كالتاريخ السياسي ، نعني به تاريخ دولة من الدول ، او التاريخ الاجتماعي ، ونعني به تطور امة من الامم في حياتها ، وتاريخ الحضارة ، ونعني به تقدم الحياة الانسانية ، وتاريخ الفن ، وتاريخ الاديان وهكذا الى كل ما يندرج في اية ناحية من نواحي الحياة الانسانية او النشاط البشري على الارض ... (13 ــ 14)

لكن فيماذا يختلف التاريخ عن السيرة ، من حيث مدلولهما ؟

يجيب المؤلف على هذا بقوله :

«اذا كان التاريخ هو البحث عن الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها ، في اى جانب من جوانب الحياة الانسانية ، فان السيرة هي البحث عن الحقيقة في حياة انسان فذ ، والكشف عن مواهبه واسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها ، والاحداث التي واجهها في محيطه ، والاثر الذي خلفه في جيله ، لذلك كانت اقرب الى التأثير الدرامي من كل الوان التاريخ الاخرى وكانت أكثر اثارة للقارئ من كل كتابة تاريخية غيرها حيث تجيش بكافة الانفعالات والعواطف التي تثور في اعماق البشر ، والتي تتجرد منها الواقعة التاريخية كحدث وان كانت من عمل الانسان ذاته ..»(04-15)

ومهما يكن من امر هذه الخصوصيات المميزة بين البحث التاريخي الموضوعي ، وبين فن السيرة فان الذي لا مراء فيه ان جذور الفكر التاريخي في عمومه ترجع الى سحيق العهود ، الى فجر وجود الانسان ذاته ، حيث كان للخرافة اثر مهم تكييف عقلية الناس وفي حياتهم على وجه العموم ، اما نشوء المنهج العلمي للتاريخ ، فيعود بطبيعة الحال الى زمن اقرب .

ويذكر المؤلف في هذا المقال :

«.. ان المنهج العلمي للتاريخ قد بدا على يد الاغريق ، وان كانت بداية فجة ، الا انها كانت موفقة الى حد بعيد حين اخذوا يحررون العقل البشري من سلطان الخرافة ، ويتلمسون العلل لظواهر طبيعية كانت تنسب حتى ذلك الوقت الى نزوات الآلهة الخرافية وأهوائهم ، وكان ذلك عندما تنبأ «طاليس الملطي» بكسوف الشمس عام 585 ق. م. وصحت نبوءته ، فقد تملك الاغريق حينذاك شغف بالبحث والتنقيب ، وكانت حياة الانسان هي اول ما أثار اهتمامهم فأوغلوا في ماضيه ، ورادوا آثاره ودرسوا مدنياته ، وكانت تلك البداية التي بدأها «هيكاتيوس الملطي» حين فصل بين الحقيقة والاسطورة في تاريخه لنشأة الاغريق..»(20)

وتتابعت بعد هذه البداية مواكب المؤرخين الاغريقيين ، فكان منهم «هيرودوت - أكثرهم شهرة ، عاش في اثناء القرن الخامس قبل الميلاد ، ثم «بوسيديد» وكان من اهل القرن الخامس هو كذلك وساهمت امم أخرى كالمصريين والعبرانيين والرومان في تطوير المعرفة التاريخية» ويورد الكاتب عن دور الرومان بهذا الصدد قوله :

«.. بقي التاريخ الروماني عالة على مؤرخي الاغريق يكتبونه بالوتائمة ، حتى نشر الخطيب الروماني «كاتو» «كتاب الاصول» في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، وهناك مؤرخ من معاصري قيصر وشيعته هو «سالست» تناول احداث عصره العاصفه في سفر لم يبق منه غير رسالتين . وجاء «ليفي» «بعده» «سالست» وبعد ليفي «بقرن جاء (تاسيت) آخر «مؤرخي الرومان العظام واشهرهم على الاطلاق فصاحة وقوة بيان....»(25)

ونعلم كم صادفته المعرفة التاريخية بعد ذلك من توسع نتيجة لجهود المسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه فقد ضمن المؤرخون الاسلاميون تصانيفهم فيضا من المعرفة بالتاريخ قديمه وحديثه ، وكان لهم في شتى الفنون المتصلة بمعرفة العالم والانسان كالرحلات والتراجم والسير ونحوها ، قدم راسخة وقد عنى المؤلف - كما رأينا في موضوع كتابه - ببحث هذا الفن الاخير فن السيرة الذي زخرت المكتبة التاريخية قديما وحديثا بالعدد العديد من المدونات في مضماره ، وفيما يعرض له المصنف بهذا الخصوص يورد قوله :

«.. ليست الاساطير المثيرة التي نسبت الى ابطالها من المعجزات والخوارق ما يفوق طاقة الانسان العادي هو سبب اعلاء البطولة ، ولكنه الانسان نفسه - هذا الانسان الذي صنع التاريخ ، هو الذي ولد في اعماقه شعور بالعجز اورثته اياه الظواهر التي لايستطيع لها تغييرا من برق ورعد وخسوف ، وتحول - هذا الانسان الذي صنع التاريخ، هو الذي ولد وفي هذا الشعور بالعجز الى نوع من الاستسلام لتلك القوى الخفية فهو يلوذ بكل ما يجد لديه الحماية والامن ، وتمثلت تلك الحماية في سحر القبيلة وكاهنها، ورأى الساحر او الكاهن ان يستعين برجل قوي أو محارب شجاع ! وغدا هذا الاستسلام طبيعة في نفس البشر ، فلما بدأ الانسان يكشف عن بعض أسرار الكون بقيت في نفسه أثارة من الخوف والعجز تسوقه الى اكبار البطولة وتقديسها...» (28)

على هذا المنوال اتجه المؤلف لاستجلاء اصول التفكير الاسطوري الذي انبثق عنه فن السير ، قبل ان يستوي هذا الفن على قدميه ، ويتطور عبر الدهور ليثبت وجوده في حظيرة الآداب الحديثة ، وان كان مضمون هذا الفن ، والروح التي تسوده صارا مختلفين الآن عما كان عليه امرهما في السابق .

واذ يبرز الكاتب صورة هذا التحول الذي اصابه فن السيرة في عصرنا ، يقول بصدد ذلك :

«...بالرغم من أن البطل في السيرة لم يعد في نظر مؤرخي العصر الحديث غير ظاهرة اجتماعية مما يخلع عنه ثوب البطولة الذاتية ، الا انه منذ كتابة السير ، قد تطور بما يعوض مظاهر البطولة القديمة يعرض صور التفرد في حياة البطل ، وتاثير الظواهر الاجتماعية في حياته ، واثر تكوينه الجسماني في سلوكه واعماله والبحث وراء هواته ، او جوانب حياته الشخصية علها تفسر لنا عبقريته او طريقته في التغلب على الصعاب او اقتحام المخاطر، او علاج المشكلات ، مما يستهوي القارىء اكثر مما كانت تستهويه مظاهر البطولة البدائية(38).

والواقع أن هذا الاستهواء الذي يجده القارىء في السيرة ليس مما يسهل على الكاتب تحقيقه،اذ ان الامر يتطلب منه براعة ادبية فائقة ، ويقتضيه الى ذلك ، جهدا غير يسير في استحضار العناصر اللازمة ، والتدرج في مراحل استثمارها ، وذكاء في تسوية الصورة الممتعة التي ينقيها بلورتها من وراء مجهوده .

ويعرج المصنف ـ في موالي الحديث ـ على ذكر هذه المراحل التي يمربها العمل عند كاتب السيرة ، وما يستوجبه منه الحال من معناه ، فيذكر في ذلك :

« كتابة السيرة امر غير يسير ، لا يقدر عليها الا من اربى على قدرة المؤرخ ، واحساس الاديب معا ، وابرز معاني السيرة هو العمل الكبير الذي قام به صاحبها ، والاثر الفعال الذي قام في الحياة الانسانية وهذا العمل هو المحور الكبير الذي يدور حوله كتاب السيرة ليس مما يسهل على الكاتب تحقيقه، اذ ان والتربية والحياة العامة التي يحياها صاحب السيرة ، والتربية والحياة العامة التي يحياها صاحب السيرة ، ما هي الا منافذ ينفذ منها كاتب السيرة الى الحافز الذي قاد صاحبه الى العمل التاريخي ، وما لم يصل كاتب السيرة الى هذا الحافز ، ويتقصى اسبابه وعوامله ، كانت روايته قصة باهتة لا نبض فيها ولا حياة ، فهي سرد لحياة قد تبدو عادية اذا جردناها من هذا العمل الكبير الذي يشد التاريخ الى صاحبه ... (62)

وفي مزيد من الاستقصاء لمناحي الجهد الذي يتعين على المؤرخ او على كاتب السيرة ان يبذله في تسوية عمله ، يسوق المؤلف قوله :

«... حين نحدد الحافز او الموهبة في حياة صاحب السيرة ، نبحث عن العوامل التي كونت هذا الحافز فنعود بالسيرة الى الاطار الذي نشأت فيه، ويتحدد هذا الاطار بالزمان والمكان .

فالزمان والمكان يلعبان دورهما وفي غاية البراعة في تأهيل الفرد للعمل التاريخي ، تلك البراعة التي تضع اصحاب المواهب في زمن يتفق ومواهبهم تلك...»(70)

ان سيرة الشخصية التاريخية هي النتاج الحقيقي الرائع ، للتفاعل بين الزمان والمكان معا...» (71).

وفيما يتصل بعمل كاتب السيرة ايضا ، باعتبار انه يسعى الى انتاج عمل ادبي رفيع المستوى ، هناك جانب العناية بالاسلوب كعنصر مهم في هذا المقام وحول النقطة عنه يذكر الكاتب :

«... اراني بعد هذا في حاجة الى تحديد الاطار العام لكتابة سيرة تاريخية ، وأود أن أؤكد حول هذا ـ حاجة المؤرخ الى بلاغة الانشاء وروعة الاسلوب الذي يصل بالتعبير الساحر الى اصدق صور الموقف التاريخي ، ولن تصل المؤرخ الى غايته مالم تواته القدرة على الوصف والرواية مع دقة التعبير وسلامة الاسلوب وطلاوته...» (90).

«... ولعل انفعال كاتب السيرة بسيرة من يكتب عنهم ، هو أقوى صور الانفعال التاريخي ، ولذلك ، فان السيرة كثيرا ما تقرب من سمت الادب كما يقترب كاتبها من سمت الاديب ، ولعل هذا هو سبب القول «ان السيرة تكتب تاريخا وديننا...» (90) .

«... وترتد بعد هذا الى الوراء عبر مواطن القول في الكتاب ، فنلتقي بالمؤلف في تحليل جميل لعالم الاديب الذهني ، ورؤيته ـ ضمن ذلك ـ للمحيط الذي تتبلور فيه تصورات كاتب السيرة ، وهو يضطلع بعمله الادبي ، منغمرا فيه بكل احاسيسه وتخيلاته.

وهذه رؤية للمؤلف الى الموضوع حيث يحاول تصوير المفهوم الادبي للسيرة من خلال التعريف بالخيال الادبي في اطلاقه .

يقول المؤلف :

« خيال المؤرخ غير خيال الاديب الذي يسبح في أجواء سامقة من صنع نفسه، أو الهام ذاته غير عابىء بالحقيقة المجردة الا بقدر ما يلهمه الخيال من صور النفس في نزعاتها الازلية ، وفي لا نهائيتها المترامية ان خيال الاديب خلق وابداع ، فمهما اقترب الاديب من صور الحقيقة او الواقعية، فان واقعيته، لا تعدو تصويره للحياة في الصورة التي يرتجيها، أو الصورة التي هي عليها ، ومهما اوغل الاديب في الواقعية، فان واقعيته تتعلق بصورة او عدة صور من صور الحياة يغلب عليها الطابع الدرامي ، والا ضاع منه الاطار الفني للقصة او المسرحية او القصيدة ، لذلك نراه يتخيل أبطاله من الناس غير عاديين ، أوجدهم القدر، فأوغل بهم الى حيث تختل ارادة الانسان ، وتبطل ايجابيته، فهو في الغالب مسوق الى غاية ليست ككل ولكنها غاية فيها بعض الشذوذ ، او كل الشذوذ عن التواتر المعروف في الحياة ، وليس من الضروري أن يكون الشذوذ انحرافا في نزوات الانسان او نزعاته ، ولكن يكفي انها تجربة غير عادية تمر بحياة انسان ما ، يتناولها الاديب فيجد تصويرها والتعبير عنها أو محاكاتها كما يرى ارسطو..»(58)

.. ان السيرة احفل من التاريخ بالعواطف الزاخرة الجياشة والاحاسيس النابضة، لانها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته ، وتبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرده، اذ لا تحفل السيرة الا بكل نابغة فريد.»(61)

ونفضي ـ عند خاتمة المطاف ـ الى هذه الخلاصة في التعريف بمهمة كاتب السيرة ، وعبر ذلك ، في التعريف ـ مجددا ـ بصورة هذا الفن الجميل، وابعاده الادبية اللطيفة .

فلنقرأ مع الكاتب :

«...السيرة كمبحث من مباحث التاريخ، تمثل حياة انسانية متكاملة من المهد الى اللحد ، بل انها تصل الى ما قبل المهد من تاريخ الآباء والاجداد، وتمتد ـ ـ بعد اللحد ـ فيما تخلفه من اثر في جيلها وفي الاجيال اللاحقة ، وهي احفل بالتخيلات من التاريخ المجرد ، وكاتبها أشبه ما يكون بعالم الاحياء الذي في اعادة تركيب حيوان بائد ، منه بعالم الاحياء الذي يرد الانواع الى اصولها الاولى، فهو اقرب الى طبيعة الفنان من المؤرخ المجرد..»

> سئل عمر بن العزيز شابا عن الدنيا ، فقال : يا امير المؤمنين ، ذقت حلاوة الدنيا ، فوجدتها مرة، فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حجرها وذهبها ، وكأني انظر الى عرش ربي بارزا ، والى الناس يساقون الى الجنة والى النار ، فاظمأت لذلك نهاري ، واسهرت له ليلي ، وقليل حقير كل ما انا فيه جنب ثواب الله وجنب عقابه ، فلأجد لما فيه مرضاة الله خير لي .

تاريخ شالة الاسلامية

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

من الكتب الجديدة التي تتسم بكثير من الموضوعية والانصاف العلمي كتاب « تاريخ شالة الاسلامية » للدكتور الباحث عثمان عثمان اسماعيل - وهو من القلة المخلصة للعلم التي تفرغت لدراسة تاريخ المغرب والاندلس وانتجت في هذا الميدان اعمالا قيمة لها مكانتها في المكتبة العربية المعاصرة -

ويسر « دعوة الحق » ان تنشر المقدمة الضافية التي كتبها الاستاذ العلامة محمد الفاسي لهذا الكتاب مع توطئة المؤلف :

كنت قد عكفت منذ اكثر من ربع قرن على التخصص في نواحي الحضارة الاسلامية ، من تاريخ وآثار معمارية وفنون زخرفية ونقوش عربية بمختلف مناطق العالم الاسلامي في مصر والشام والعراق وايران وشمال افريقيا والاندلس ؛ على أن مظاهر الحضارة المغربية قد استهوتني اكثر من غيرها واغرتني على التعمق فيها وتذوق فنونها فأنفقت اكثر من سبعة اعوام كاملة في اعداد ثلاثة كتب عن حضاره المغرب الاقصى غرة نستهل بها سلسلة ابحاثنا في حضارة الغرب الاسلامي (شمال افريقيا والاندلس) .

وقد خصصت الكتاب الاول (تاريخ شالة الاسلامية) لتاريخ تلك المدينة التي تعتبرها نموذجا حيا للشخصية المغربية المناضلة عبر القرون، وابنت عن الدور الحي النشيط الذي لعبته في التاريخ الاسلامي والاداري والحربي بل والعمراني والفني كذلك .

وافردت الكتاب الثاني (حفائر شالة الاسلامية) لسرد اعداد ومراحل ونتائج البحوث التاريخية والكشوف الاثرية التي اجريتها بنفسي داخل المنطقة - وحصلت بها على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى من جامعة الاسكندرية - وكانت اساسا لكتابة تاريخ شالة الاسلامية من جديد الذي قدمناه بالكتاب الاول .

كما خصصت الكتاب الثالث (دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى) على الآراء والنظريات الجديدة التي توصلت اليها في ميدان الفنون الاسلامية والنقوش العربية ،

والايضاحات ، والتصحيحات ، والتفسيرات الاجتماعية والنفسية للظواهر المعمارية والفنية العربية ، ودراسة ونشر نقوش عربية لم يسبق نشرها .

وقد كان طموحي شديدا واصراري اكثر شدة في ان طرح على الباحثين بتلك الجهود المتواضعة اسئلة جديدة ، وأقدم للدارسين مشاكل عديدة لم تكن مطروحة ... فعندما يكون معلومات المرء وتجاربه محدودة فان الحقيقة تكون بالنسبة له شيئا واضحا ومحددا ، وعلى العكس من ذلك تبدو الحقيقة لمن ينشدها ... فقد كانت هناك اشياء كثيرة مسلما بها فيما مضى حسبما توصلت اليه الابحاث السابقة او المحلية ، ولكن مجرد الخروج عن النطاق الضيق لابحاث ونتائج نثرة او منطقة معينة يكشف للباحث الاصيل عن تغير الحقيقة .

لقد اطلت الحقيقة على تفكيري من عدة نوافذ واكتشفت منذ البداية وبنور البصيرة أثر اختلاف الزوايا والواقع والاهداف على الوان الحقيقة ، وميزت بين المخصبات المستوردة وبين النبت المزروع في ارضنا من بذرة تستمد مقومات حياتها من عناصر التربة المحلية ... ، وذلك منذ تتلمذت مباشرة ودرست طويلا مختلف مظاهر الحضارة الاسلامية مع عدد من عمالقة الاستشراق الكلاسيكيين امثال : كريسويل وكومب وجروهمان وليفي بروفنسال وجورج مارسيه وشارل اندريه جوليان وجاستون دوردان وبوريس ماسلوف وغيرهم ، ثم عندما جمعتني ظروف العمل بحقل التدريس الجامعي وحقل البحث التاريخي الاثري .

لقد بذلت جهود في ميدان الدراسات التخصصية لمظاهر الحضارة والفنون الاسلامية ... لكنها لم تنشد جميعها وجه الحقيقة لذاتها فوقفت عند حدود عقلية النقد القديمة لدى بعض المستشرقين ، تلك العقلية الجزئية التي تتناول كل عنصر حضاري معماري او فني على حدة ، فتحلله وتبرز اصوله التاريخية الغارقة في القدم قصد اقصائه عن الاصل العربي الاسلامي دون ان تتجاوز ذلك الى ادراك الخصائص العامة في الانتاج ككل ، ذلك انهم لم يصلوا الى مرحلة ادراك الخصائص العامة لا في التاريخ ولا في الادب ولا في القرآن نفسه ولا فيما خلفه المسلمون من مآثر معمارية وفنية ... تلك الخصائص التي تبين السمات المطردة لرؤية ذلك الانتاج الذي يفوق ما عرفته البشرية من فنون الانسان ويفسر عبقرية العربي المسلم وكان مصدرا مباشرا لعصور الازدهار الاوروبية الحديثة .

لقد كنت اطرق اشد الابواب صلابة واسلك اشد الطرق وعورة أملا فتح باب جديد . وسوف يلمس القارىء بنفسه كيف ظهرت لنا آراء جديدة خلال تلك الدراسات ، وانني لم اكن مقلدا لاحد فيما وصلت اليه من آراء ، بل مؤسسا لها على الحقيقة بالحجة والبرهان ، كما الزمت نفسي منهج النقد الصحيح دون مغالاة ودون محاباة .

وكنت بمصر قد حققت احيانا للغلة والارتواء ولكني لم احقق للهدف الطموح مبتغاه ... حتى ألقت بي المقادير اخيرا على شاطىء بحر بعيد كان يسمى قديما بحر الظلمات ، هناك ، وقرب مجمع البحرين ، حيث المنطقة التي جذبتني اليها باقصى الشمال الافريقي ، التقيت بالاستاذ الرئيس محمد الفاسي الذي منحني من علمه وفضله فوق ما كنت اطمع ، ويسر لي وسائل الابحاث والكشوف بمختلف المناطق المغربية وحملني امانة تعريف المشاركة بحضارة المغرب .

وسوف لا امضي مع القارىء الكريم في عرض بقية المقدمة للتعرف على تلك الجهود والحكم عليها ، وانما اتركه مع التصدير الذي جادت به عبقرية استاذي الجليل الذي كل ودادي له واعتدادي به ووفائي لفضله العظيم الاستاذ الرئيس محمد الفاسي ، وزير التعليم ووزير الدولة في الثقافة ورئيس جامعة محمد الخامس الاسبق ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس جمعية الجامعات الاسلامية ورئيس مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو :

ان الدراسات التاريخية الحديثة التي ترتكز في الوصول الى الحقيقة على علوم شتى ووسائل عدة ، بين الاعتماد على المؤلفات المطبوعة والخطية وعلى النقود والآثار وما يستخرج من الحفريات ، لم تحظ بعد في بلادنا بمن يعتني بها العناية الكافية خصوصا فيما يرجع للمعلومات التي يمكن استفادتها من النقود ومن الآثار البارزة ومن الدفائن المتنوعة التي تكشف عنها الحفريات ، وان كان الفرنسيون والاسبان وغيرهم من الاوروبيين الذين اهتموا بهذه الدراسات وضعوا مؤلفات قيمة وقاموا باجراء حفريات كثيرة في

عدة نواح من المغرب ، فان الاهتمام كان ينصب في الدرجة الاولى على تاريخ الرومان ببلادنا ، اما الحفريات فيما يخص ما قبل الرومان وما بعدهم فلم توجه العناية اليها الا بعد الاستقلال .

وان الدكتور عثمان عثمان اسماعيل مؤلف هذا الكتاب الذي نقدمه لجمهور المتفقين بالمغرب والمشرق يعتبر اول من اتجه هذا الاتجاه واول من وضع كتابا بالعربية حول تاريخ مدينة اثرية مغربية لها ماض عريق في الحضارة بعد ان قام بحفريات في آثار هذه المدينة مدة طويلة . ولقد عرفته منذ بدأ يهتم بهذه البحوث وتتبعت اعماله من بدايتها الى نهايتها .

وقد كانت الاطروحة التي نال بها درجة الدكتوراه نتيجة مجهود جبار . وان استعمالي لهذا الوصف ليس من نوع العبارات المرددة ولكنه وصف حقيقي ينطبق تمام الانطباق على ما بذله الدكتور عثمان من جهود اولا في الحفريات التي اجراها بنفسه وبفضل ما جعلناه من امكانات تحت يده ثم في مراجعة عشرات بل مئات المؤلفات بمختلف اللغات التي يتقنها .

وهذه الموسوعة التاريخية الاثرية الفنية تشتمل على ثلاثة كتب ، الاول يتعلق بتاريخ شالة في كل عصورها منذ اقدم الازمنة الى آخر ايام المرينيين وهو في مختلف ابوابه وفصوله يورد اقوال كل من تكلم عن شالة قديما وحديثا ويناقش آراءهم بحجج يستوحيها من ثقافته الواسعة ومما حصل عليه من نتائج حفرياته .

وفي هذه الصفحات التي تتصف بالموضوعية والنقد العلمي روح حماسية في الدفاع عن التراث العربي الاسلامي المغربي ، فهو يرد على من شوهوا تاريخنا من علماء المدرسة الاستعمارية او شبه العلماء لان اهم صفة للعالم الحقيقي وهي النزاهة كانت تنقصهم، كما يندد بمن ينسبون كل مزية في حضارة المغرب للاندلس تنقيصا لقيمة العرب الحضارية لان بلاد الاندلس حسب نظرهم اينعت فيها المدنية لان اهلها من الجنس الاوروبي غافلين عن ان ازدهار المدنية لم تظهر فيها الا بعد فتح العرب المسلمين لها .

كما ان المؤلف نده كذلك في هذه الفصول بمن وضعوا سياسة فرق لتسود قبل الحماية وفي ايامها وابعوها في كل كتاباتهم وأعمالهم ليجعلوا من العرب والبربر أعداء مع انهم من اصل واحد و قد اختلطوا والتحموا حتى كونوا شعبا واحدا لغته الحضارية العربية ودينه الاسلام .

ولقد جاء الدكتور عثمان في هذا الكتاب الاول بنظريات جديدة حول عدة نقط ترجع لاسم شالة ولتاريخها مستعرضا كل الحقب التي مرت عليها ومنتبعا علائق كل الدول بها، وهكذا يمر امام عينيك كل تاريخ المغرب الى اواخر ايام المرينيين . ولا شك ان الكثير من هذه الافكار التي جاء بها وقد خالف في كثير منها المؤرخين الذين كتبوا قبله من الافرنج وحتى من المغاربة امثال المؤرخ ابن علي الدكالي السلاوي والمؤرخ بوجندر الرباطي رحمهما الله تعتبر وجيهة ومقنعة لانها تستند كما قدمنا على حجج وبراهين متينة . وفيما يتعلق باشتقاق اسم شالة فقد اقترح تفسيرا كان عرضه على وجاهته كما ذكر وهو ان شالة جاءت من لفظة شلى التي معناها في الارامية وفي البربرية وفي الفينيقية وكلها لغات سامية (كثير) ولا زالت تستعمل الى الآن بالمغرب بهذا المعنى . الا انني كنت قلت له ايضا باشتقاقها من اللفظة الفينيقية سلا او سلو بمعنى صخرة وهو ايضا تفسير وجيه لان هذه اللفظة لا تزال كذلك موجودة في البربرية وبصيغة (اسلى) بمعنى صخرة وحجرة .

اما الكتاب الثاني فقد خصصه للحفريات التي قام بها في شالة منذ خمسة عشر سنة وهذا هو الجديد كل الجدة في الدراسات العلمية باللغة العربية خصوصا وأن هذه الحفريات تتعلق بمدينة اسلامية في الدرجة الاولى .

والكتاب يحتوي على تفاصيل دقيقة عن تصاميم المباني المعروفة قديما والمكتشفة ، وعلى صور عديدة لكل ذلك ، مع قوائم للقطع التي عثر عليها مشفوعة بصورها ووصفها . وكل هذه التصاميم وضعت بمباشرة وتنفيذ المؤلف نفسه كما كانت معظم الصور من تصويره كذلك .

وقد اثرت تلك الحفريات معارفنا التاريخية حول المرينيين بمعلومات جديدة عن كثير من ملوكهم ووزرائهم كما صححت عدة اخطاء تاريخية كانت تستند على مجرد الرواية المسجلة في كتب التاريخ. وكل هذا يعطينا فكرة عن قيمة هذه الحفريات .

والكتاب الثالث يشكل دراسة جديدة من نوعها خصوصا باللغة العربية وهي عبارة عن بحث قيم للاساليب المعمارية في الهندسة المغربية ومقارنة

أنواعها التاريخية من جهة . ودراسة عميقة للفنون المعمارية من زليج وتخريم ونقش على الرخام والجبص والخشب من جهة اخرى . وهو في هذا القسم ينقلنا من شمالة الى عواصم الفن المغربي الاخرى خصوصا فاس وسلا ومراكش والرباط ، وجميع ذلك مؤيد بصور متعددة ونماذج ورسوم مختلفة مما يجعل من هذا الكتاب زيادة على قيمته العلمية ومميزاته الفريدة تحفة فنيه رائعه .

ويختم المؤلف كتابه الثالث من هذه الموسوعة بقائمة من المراجع استغرقت مائة صفحه من المطبوع على الآله الراقنه وهو شيء يتم كما قدمنا على اطلاع واسع . وقد رتبت هذه القائمه بكيفية علمية : المصادر المتعلقة بالتاريخ وبعدها المصادر المتعلقة بالخطط ثم المراجع العامة في الآثار ثم الخاصة بالعمارة الاسلامية ثم المتعلقة بالفنون . وفي كل قسم منها يذكر المصادر العربية بتعليقه عليها ثم يتبعها بالمصادر الافرنجية .

ان هذا العرض الوجيز عن محتويات هذه الموسوعة لا يعطي سوى نظرة سطحية عن قيمتها الحقيقية التي ستجعل منها مرجعا اساسيا ليس فقط لتاريخ شمالة ولكن لتاريخ المغرب مطلقا ، وفوق ذلك بمعرفة الفن المعماري العظيم الذي نبغ فيه ابناء المغرب ونقلوه الى الاندلس لا كما اشاعه علماء المدرسة الاستعمارية الذين يسمون فنا المغربي الاصيل بالفن الاسباني الموريسكي ويطلقون على موسيقاتنا الكلاسيكية (الآلة) اسم الموسيقى الاندلسية الذي لا نجده في مكتوب واحد من مؤلفاتنا الموسيقية وانما استدرجونا الى استعماله رغم مقاومتي له بكل الوسائل .

وعسى ان يكون من فوائد هذا الكتاب اقناع المغاربة باصالتهم وأصالة فنونهم ، جزى الله مؤلفه احسن الجزاء ووفقه الى متابعة هذه الدراسات وتخريج ، اختصاصيين من الشباب المغربي في علم الاثار والله سبحانه المستعان وعليه الاتكال .

الرباط في فاتح يناير 1975

محمد الفاسي

رئيس مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو

أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731 م

أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي

● تأليف: الدكتور عبد الهادي التازي ● عرض وتقديم: الدكتور محمد كمال شبانة

يقول ابن خلدون في «المقدمة» :

«فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، اذ هو يوقفنا على احوال الماضي من الامم في اخلاقهم ، والانبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروق في احوال الدين والدنيا..»

ويقول «جيوفري باراكلاو» استاذ التاريخ الدولي بجامعة لندن في صدد التاريخ والمؤرخين : «لا نريد ان يكون التاريخ مجرد صفحات يخطها المؤرخ وكأنه لا يستطيع ان يرى سوى الاشياء التي يراها من لندن وهو جالس في لندن ، او يراها من باريس وهو جالس في باريس ، او التي يراها من بكين وهو جالس في بكين ، ان المؤرخ الحق هو الذي يتمتع بوجهة نظر اشمل ، وابعد غورا ، وقد كانت وجهة النظر الضيقة هذه دوما سببا في تشويه تاريخ بعض الامم ، والياس تاريخ امم اخرى امجادا ليست فيه».

من هذا المنطلق نرى ان موضوع الكتاب محل الحديث قد اشتمل على شقين ، شق مغربي ، وشق ليبي ، ومؤلفه عندما تصدى له كان مؤهلا لذلك تجاه مضمونه ، فهو السفير المغربي الى الديار الليبية ، والذي خبر عن قرب مثل تلك الاحداث التاريخية بين المغرب وليبيا ، وبذلك حق له ان يتناول «الرحلة الاسحاقية» ان صحت هذه التسمية ، أو أن يساير ركب الامير المغربي من بلاده حتى يحل في طرابلس العاصمة الليبية ، وهو في مسايرته يؤرخ ويحقق ، ويدون ويدقق ، مستعرضا لتلك الاواصر والروابط التي تربط بين القطرين الشقيقين عبر التاريخ.

وناتي الى فحوى الكتاب فنرى أنه قد جمع ما كان لابد من ايراده في هذا الصدد ، وسلك به منهج الكاتب المؤرخ ، حيث تحدث بادىء ذي بدء ـ بعد المقدمة ـ عن العلاقات المغربية الليبية ، والتي تكاد تكون صلب الموضوع ان لم تكن الموضوع نفسه ، كما يشير الى هذا عنوان الكتاب ، وحول هذا الامر أبرز المؤلف اهم مكونات تلك العلاقات ، وهي :

أ ـ التماس أمريكا وساطة المغرب بينها وبين ليبيا في فترة تاريخية .

ب ـ السفارات الليبية للمغرب أيام السلطان محمد بن عبد الله .

ج ـ مقام الامير المولى اليزيد بليبيا بعض الوقت، وتقارير السفارات الاجنبية حول هذا المقام .

وللتدليل على الروابط المغربية الليبية عبر التاريخ تحدث المؤلف عنها في شيء من التفصيل ، مدللا على ذلك بعدة احداث ، كقيام الدولة المرابطية بتجدة

ليبيا ، حينما شعر امير طرابلس علي بن يحيى بن زيري 510 ـ 515هـ (1116 ـ 1121م) بمطامع زوجي الاول في بلاده فهدد بالاستنجاد بمراكش ، وحينما كتب فعلا الى السلطان يوسف علي بن يوسف بن تاشفين ، الامر الذي حذا بحكام صقلية الى العدول عن نية غزو ليبيا ، وان كانوا عاودوا التهديد مرة أخرى في عصر ابن امير طرابلس الحسن بن علي عام 515هـ = 1121م، الا ان الاسطول المغربي بقيادة محمد بن ميمون وتحركه نحو الشواطىء الليبية قد جعل حد الاطماع المستعمرين .

وهكذا يسوق الاستاذ التازي اكثر من ظاهرة تشهد بجو الاخوة بين قطري المغرب وليبيا يومئذ وعلى مر التاريخ ، كالنجدة الموحدية عام 554هـ استجابة لنداء سفير طرابلس في هذا الشأن ، ثم افتداء طرابلس من قبل بني مرين عام 755هـ على يد سلطان المغرب حينئذ ابي عنان ، عندما بعث بالمال المطلوب لاجلاء من عاثوا في ارض ليبيا ضد الغزو ما كان من وقوف المغرب الى جانب ليبيا ضد الغزو الثالث عندما حاصر الاسبان ساحل طرابلس عام 1096هـ (1684 ـ 1685م) أيام السلطان اسماعيل . وما كان من نجدة الليبيين ضد الاسبان .

ويعزى المؤلف تلك الروابط التي كانت تترجم الى مظاهر حية من الاخاء والوفاء بين البلدين ـ يعزى هذا الى كون ليبيا بالنسبة للمغرب قطرا تربطه به وشائج الاسلام والتاريخ القديم من قبل ، ثم لكون ليبيا هي المنفذ الطبيعي للمغاربة في اتجاههم نحو بلاد المشرق وخاصة الديار المقدسة بالحجاز، وهناك حيث تحتاج الجالية المغربية الذاهبة والآتية لمن يرعى مصالحها ، ويزودها بما تحتاج اليه في طريقها، كما تحتاج لمن يستقبل كذلك ما تأتي به من انتاج مغربي، على حد تعبير المؤلف.

هذا على الصعيد السياسي، وعلى الصعيد الاقتصادي لا شك أن المبادلات التجارية قد سادت القطرين ابان تلك العصور ، وقد اشار الاخ التازي الى هذه الناحية اشارة خفيفة، عندما كان يتعرض ركب الحجاج المغاربة لبعض المضايقات من عناصر غير مسؤولة ، فكان العامل المغربي يبعث باستدراكاته واستفساراته ،وهكذا أيضا عندما حمل بعض المغاربة معه الى طرابلس نسيجا مغشوشا وعملة زائفة على غير ما اعتادت البلاد شراءه من المغرب ـ بادر الامير علي القرمانلي الى الكتابة الى السلطان المولى عبد الله سنة 1165 هـ = 1752م الامر الذي استدعى فتح تحقيق دقيق من قبل السلطات المغربية للضرب على ايدي المتهاونين ، محافظة على نوعية الصادرات المغربية، كما يشير المؤلف .

ومع هذا فقد كنا ننتظر اسهابا بعض الشيء حول العلاقات الاقتصادية بين المغرب وليبيا ، بما يجلو غموض هذه الاشارات ، ولتبيان نوعية الصادرات والواردات بين القطرين ، خاصة وقد تعرض الاستاذ التازي للعلاقات عموما ، وأبرز في اكثر جوانبها دون هذا الجانب ، وربما التمس العذر بكون جو والرحلة، كان هو الطابع والغالب في التعرض للحديث عن تلك العلاقات .

ويتطرق بنا الحديث حول الروابط الاجتماعية لنرى ان المؤلف احتفل بذكر مناسبتين في هذا الشأن ، اولاهما تلك البادرة التي عبر بها الامير المولى اليزيد خلال الفترات التي تردد فيها على ليبيا منذ رمضان 1193هـ = 1779م ـ عما يحتفظ به نحو ليبيا من ذكريات جميلة ، اذ اقترن سنة 1201 ـ 1202 هـ (1787م) بالسيدة حفصة كريمة زعيم كبير من اولاد سليمان ، ذلك ان سيف النصر الذي يحتفظ له تاريخ ليبيا بنصيب وافر، كما اورد في الكتاب .

وعلى الصعيد العلمي ونوعية العلاقات في هذا الشأن يشير المؤلف اشارة عابرة حين يذكر «وتأتي بعد كل هذا فترة استقبلت فيها جامعة القرويين من فاس شبابا تعاطى فيها العلم ، وأسهم في بث العلم والفضيلة بتلك الديار (ليبيا) وكان بودنا لو افسح السيد التازي في الكتاب مجالا ولو محدودا للحديث عن بعض العلماء والكتاب الذين ارتادوا من ليبيا الديار المغربية في رحلاتهم العلمية ، وكذلك الحال بالنسبة لبعض المغاربة في هذا المضمار . ولكن يشفع للاخ المؤلف في عدا سوقه حديثا مسهبا حول جانب من الناحية الثقافية بين البلدين ، وذلك حينما أعقب تلك الاشارة العلمية التي تطرقنا اليها بذكر انطباعات عدد الرحالة المغاربة حول ليبيا ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، رحلة الامام ابن العربي سفير يوسف بن تاشفين سنة 485هـ (1092ـ1093م) الى بغداد ، وما كان من نزوله مع ابنه ضيفا مكرما

على امير بني كعب بن سليم بليبيا ، ورحلة العبدري «الدليل الازرق» لكل الرواد والرحالة ، وما قدم من تحقيقات تاريخية وجغرافية للقطر الليبي ، وعن الثقافية عندما وصلها سنة 689هـ (1290 ـ 1291م) في اعقاب حصار اسطول ملك ارجوان لطرابلس يومئذ .

كما اسهم الرحالة المغربي المشهور ابن بطوطة في الحديث عن الديار الليبية ، سفير السلطان ابي عنان فتكلم عن طرابلس ومصراته وقصور سرت ، وهكذا عن الاغراس والولائم في الجبل الاخضر ، وذلك عندما زار هذه البلاد عام 826هـ (1325 ـ 1326م).

وغير هؤلاء من الرحالة المغاربة آخرون اجتهدوا جهد استطاعتهم في أن يرسموا للتاريخ صورة من واقع رؤيتهم لقطر الليبي ابان تلك العصور ، مما يعطي دلالة واضحة لاهتمام المغرب آنذاك بدراسة أحوال الاقطار الشقيقة ، تلك التي تربطه بها اكثر من وشيجة ، «وهكذا نلمس اثر المنافسة في تسجيل الخواطر ، وصياغتها بالاسلوب الشيق الساحر» على حد تعبير الاخ المؤلف .

اما الرحلة ذاتها فقد تفرغ لها الاستاذ النازي من بداية صفحة 44 ، بعد أن كان لا بد من الالمام بهذه المقدمات التي سبقت من اول الكتاب حتى هذه الصفحة ، والذي نعتبره كمدخل خاص للموضوع نفسه .

لقد قطعت الرحلة مدة سبعين يوما من مدينة فاس الى منطقة «الزوارات» أول نقطة في التراب الليبي ، بحيث تحرك الركب من المغرب يوم 11 جمادى الثانية من عام 1143هـ (1730/12/22م) ووصل الى ليبيا يوم 24 شعبان من العام المذكور .

كان على رأس الرحلة الامير محمد بن عبد الله وهو يومئذ في التاسعة من عمره صحبة جدته احدى الاميرات ، تحوطه بعض رجالات البلاط المغربي بين مؤدب ومؤرخ وكاتب ووزير وقاض وجنود بلباسهم العسكري المغربي ، حيث استقبل الامير وصحبه في طرابلس استقبالا رسميا يليق بالضيف العزيز، وشاركت طوائف الشعب في هذا الاستقبال ، وبقي الضيوف بطرابلس ثمانية ايام تاريخية .

ويصادف وصول ركب الرحلة في اعقاب استهداف طرابلس يومئذ لغزو اجنبي كان له اثره في ركود الحركة العلمية بالبلاد ، الامر الذي انبرى له المؤرخ الاسحاقي فسجله في طيات كتاباته عن هذه الرحلة وانطباعاته عن الديار الليبية .

وتواصل الرحلة مسيرتها شرقا مارة باهم المدن الليبية في طريقها ، كمدينة تاجوراء ولعبة ومصراته وسرت ثم أجدابية التي احتفل فيها الركب بعيد الفطر المبارك ، ماضيا في طريقه نحو برقه التي يعلق المؤلف على مجاهلها ومخاوفها فيصفها بانها «الغول الذي ارتفعت عقيرة سائر الحجاج بالشكوى من شبحه المخيف ، لا بد ان يكتب الذين عبروا في الذهاب والاياب خبرة زائدة بقيمة الحياة والحرص على الدنيا ، لقد كان اجتيازها يوازي ارتياد الفضاء الخارجي الآن (ص 60)» .

وينتهي حديث الاسحاقي عن الرحلة عند بلوغ الركب مدينة طبرق عند «دقتة» عند بعض الرحالة المغاربة خاصة اولئك الذين كانوا يقصدون الديار المقدسة ، وهنا يعزي المؤلف (الاستاذ النازي) فقدان بقية وصف الاسحاقي لرحلة هذا الامير الى ان المؤرخ نفسه لم يتمكن لظروف صحية من استكمال تسجيل وقائع بقية الرحلة ، كما انه أجمل الحديث عن العودة للركب الى المغرب ، تماما كما فعل ابن غلبون في صدد هذه الرحلة في كتابه «التذكار فيمن ملك طرابلس» وما كان بها من الاخبار» .

هذا ، وقد كان لا بد للاستاذ النازي من خلال استعراض وقائع الرحلة من ان يتعرض بصفة خاصة الى كافة المدن التي مر بها الركب الاميري ، فيعطي القارئ فكرة احيانا عابرة واحيانا مفصلة ، بالحديث عن المدينة تاريخيا وجغرافيا ثم سياسيا ان كانت قد لعبت دورا في هذه الناحية ، ولا ينسى من خلال التعريف ان يلم بآثارها التي عرض لبعض رسومها ما درس منها او ما كان ذا اطلال شاهدة للعيان، وقد وفق في هذا الجانب ايضا الى حد بعيد ، ولا غرو فقد كان سفيرا بهذه البلاد فترة من الوقت لم يفته ابانها من ان يقف على ربوعها دارسا باحثا ، وتلك خاصية قلما تتوفر الا فيمن وهبوا انفسهم للمعرفة الانسانية أينما حلوا وحيثما رحلوا .

اما عن جو الوثائق التي تخللت كتاب المؤلف فقد حالفه التوفيق ، اذ جمع اشتاتا منها ، بحيث تكاملت احداث الرحلة ، وأحاط بها جوانب الموضوع ، وهي على النحو التالي :

1 ـ خطاب الامير المولى يزيد من طرابلس حول سفينة «دوبرونيك» التي نقلت الحجاج المغاربة

2 ـ ظهير للسلطان سيدي محمد بن عبد الله في شأن السفينة المحملة بالقمح الى ليبيا .

3 ـ خطاب محمد بن العربي حول السفينة الموجهة الى طرابلس .

4 ـ شكوى المواطنين المغاربة الى متصرف طرابلس ضد تدخل قرنسا في شؤونهم .

5 ـ جواب الملك محمد الثالث على سفارة الرئيس الامريكي ، والذي يعده فيه بالتدخل لصالح السلام لدى طرابلس .

6 ـ جواب من الرئيس الامريكي «جورج واشنطن» الى ملك المغرب بالتشكر على التوسط .

7 ـ كتاب السيدة خناتة بنت بكار الى اهل وجدة وفيه وعد بالامن ، ووعيد لمن يتعرض لامنهم .

8 ـ صفحة رقم 68 من رحلة الاسحاقي تتعلق بالحديث عن المقام في طرابلس أثناء الرحلة المشار اليها .

ثم يتبع الاستاذ التازي دراسته للرحلة بما يستوجبه المنهج العلمي ، وذلك حين تحدث عن آثار الزيارة الاميرية المغربية الى طرابلس ، وفي هذا الصدد يشير الى ثلاث نقط على التوالي :

أ ـ اثر الزيارة على العلاقات الدولية ، ولعل ابرز شيء في هذا ما كان من طلب امريكا يومئذ من الامير محمد بن عبد الله ان يتوسط بينها وبين ليبيا في نزاع نشب مع القرمانليين .

ب ـ أثر الزيارة على الحركة الادبية، وكان للاسحاقي مجال في هذا ابرزه المؤلف ، وقد اشترك في هذا المجال علماء وأدباء مغاربة وليبيون .

ج ـ جامع مولاي محمد ، واعتمادا على وثيقة تتعلق بهذا المسجد فانه ينسب الى احد سلاطين المغرب ، ولربما كان المقصود السلطان محمد بن عبد الله موضوع الرحلة ،هناك تساؤلات أثارها السيد التازي في خصوص هذا الجامع الذي تهدم ونسبته الصحيحة .

بعدئذ ينتقل المؤلف الى التعريف بالشخصيات البارزة في الرحلة ، ويتناولها بالحديث المفصل بادئا بامير الركب سيدي محمد بن عبد الله ، ثم الحاجة السيدة خناتة بكار زوجه السلطان المولى اسماعيل وجدة هذا الامير ، ثم الرحالة الكاتب الاسحاقي ، ثم عديل شيخ الركب ، ثم ابو القاسم الدميري قاضي الحضرة المكناسية ، ثم العربي بن محمد احد علماء المغرب البارزين يومئذ ، ثم مؤدب الامير «التسولي» وآخرون من المرافقين والمرافقات من العسير على باحث ان يلم بشخصياتهم ، أولا لقلة المصادر، وثانيا لعدم ايراد الجميع من خلال تسجيل كتاب الرحلة وادبائها كما جرت بذلك العادة . والواقع ان الرحلات المغربية الى البقاع المقدسة قد شغلت أذهان الكثيرين من كتاب ادب الرحلات ، فافاضوا في الحديث عنها في بعض مؤلفاتهم ، وأفردوا بعضها لمثل رحلة الامير موضوع الحديث، نظرا للاهمية التي تكتسيها سياسيا وتاريخيا ، «ومن المهم ان نعرف في ضمن ذلك التنظيم اسست عدة رباطات ، وعمرت عدة معاطن ، وحفرت عدة مواجن عبر الطريق الطويل الذي يربط بين المغرب والمشرق ، وقد كان من مهام تلك المراكز تقديم المساعدات اللازمة لكل الذين يردون على تلك الديار، وهكذا امتد الطريق نحو بيت الله». وبمرور الزمن تعددت الركاب ، فاصبح هناك ركب سجلماسة وركب فاس ، وركب مراكش ، وركب شنقيط ، علاوة على القافلة البحرية التي لم تنقطع على ممر الزمن ، ص 115» .

وأخيرا ينهي المؤلف حديثه عن الرحلة الاميرية هذه فيورد النص الكامل للقسم الخاص بليبيا من الرحلة التي سجلت خطوات القافلة الفاسية من واقع تسجيل الرحالة الاسحاقي لها ، مثريا الهوامش بكافة ما وقع عليه في النص من اشارات تاريخية واحداث سياسية اقتضتها طبيعة الباحث المدقق .

وهكذا نرى ان الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي قد وفق في مؤلفه هذا ايما توفيق ، وترك بصماته واضحة المعالم من خلاله ، مسديا بذلك خدمة جليلة في ميدان «أدب الرحلات» فله من الدارسين والباحثين خاصة كل تقدير وثناء .

المحاضرات

● تأليف : الحسن اليوسي ● أعده للطبع : الدكتور محمد حجي ● عرض وتقديم : أحمد توكي

لله الامر من قبل ومن بعد !

بهذه العبارة البليغة الحكيمة كان يختم العلامة الحسن بن مسعود اليوسي درسا من دروسه او محاضرة من محاضراته ، والحسن اليوسي هذا هو صاحب كتاب «المحاضرات» الذي صدر مؤخرا عن دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ضمن سلسلة الادب، أعد «المحاضرات» للطبع السيد محمد حجي الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، وصاحب كتاب الزاوية الدلائية الذي أرخ فيه لهذه الزاوية ولأعلامها وتلامذتها وتحدث فيه عن تأثيرها في الثقافه المغربية منذ تأسيسها على يد الولي الشهير ابي بكر ابن محمد . ويعد كتاب الزاوية الدلائية مرجعا هاما من مراجع ومصادر الثقافة المغربية باعتبار الدور الذي لعبته هذه الزوايا في نشر وازدهار العلوم والآداب والفقه والتفسير والحديث وعلم القراآت وعلم الكلام وعلوم اللغة والنحو والتصوف والتاريخ والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية والجغرافيا وعلوم الطب .

ولا بد من الاشارة والتذكير بالظروف والحيثيات التي تم فيها وأثناءها اعادة طبع كتاب «المحاضرات» للعلامة الحسن اليوسي . فقد كان الكتاب ـ كما يقول الاستاذ محمد حجي في تقديمه له ـ من بين الكتب العشرة التي عقد العزم على الشروع في نشرها، وكان «المحاضرات» في طليعة الكتب التي انصب الاهتمام عليها وتوجه الاشتغال بها بتحقيقه تحقيقا علميا، وتتبعه بالشرح والتعريف والتعليق على كل ما يحتوي عليه من مغلقات لغوية ، واعلام ادبية وقصائد ومقطعات شعرية ، واشارات جغرافية أو تاريخية أو صوفية ، وبا ما اكثرها ـ وشوعنا ـ يضيف الاستاذ محمد حجي في تقديمه لكتاب المحاضرات ـ فعلا في هذا العمل الطويل النفس خلال عطلة الصيف ، ثم صرفتنا عن متابعة السير بالسرعة المطلوبة ظروف العمل».

كان علينا ـ يقول التقديم ـ اذن أن ننتظر مدة غير قصيرة ولا محدودة ، لولا أن صاحب مكتبة الطالب السيد / عبد القادر المكناسي الذي كان وما يزال حريصا على نشر «المحاضرات» الخ على اخراج نسخة مجردة عن كل تعليق على غرار النسخة المطبوعة على الحجر بفاس ، والتي فقدت من السوق منذ عشرات السنين وكثر البحث عنها دون جدوى .

وهكذا ـ يضيف التقديم ـ اعتمدنا على النسخة المطبوعة الفاسية ، ورجعنا عند الاشكال الى مخطوطة المكتبة العامة بالرباط عدد 2329 ك ، وهي مخطوطة سنة 1136 ، أي بعد وفاة المؤلف بمدة قصيرة».

هكذا خرج اذن هذا «المخطوط» النفيس من ترائنا الادبي الى الناس باحثين ومؤرخين وأدباء وقراء ليستفيدوا منه بعد أن فقدت طبعته الحجرية الفاسية

التي لا نعلم عنها شيئا ، متى طبعت ومن قام بطبعها؟ وتقديم الاستاذ محمد حجي «للمحاضرات» لم يشر الى ذلك . وعلى كل ، فصدور هذه الطبعة الجديدة من كتاب «المحاضرات» للحسن اليوسي يعتبر حدثا ثقافيا هاما في مجال احياء تراثنا الادبي والفكري الاصيل ، سوف يغني ويثري مكتبتنا المغربية خاصة وان الطبعة الاولى بفاس مفقودة تماما الا عند قلة قليلة من علمائنا ومؤرخينا ، وتعتبر بحكم ذلك في العقدان كما قلنا ، سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار أن الطبعة الفاسية لا تستجيب حاليا لمتطلبات العصر من حيث وضوح الحروف واختلاف احجامها ونوعية الورق الذي طبعت به ، وتراكم المواد المصنفة في «المحاضرات» تراكما يضيع على القارىء وقتا غير قليل ويتطلب منه جهدا مضنيا للتعرف على محتوياته، الى غير ذلك من النقائص المطبعية التي تسم كثيرا من مطبوعات تراثنا الفكري والادبي والعلمي طبعا حجريا ، فجاءت أخيرا هذه الطبعة الجديدة من المحاضرات وقد وضع لها الاستاذ محمد حجي فهرسا للموضوعات وكشافا عاما لاسماء أعلام الاشخاص والقبائل والاماكن والكتب التي ورد ذكرها في «المحاضرات» ووضع لها تقديما سبقت لنا الاشارة الى محتواه ، وأستبعد أن تكون الطبعة الحجرية الفاسية قد توافرت فيها هذه الفهارس التي تسهل على القارىء والباحث والمحقق الرجوع الى المادة المطلوبة من الكتاب في يسر وسهولة .

ولا يسعنا الا أن نهنىء الاستاذ عبد القادر المكناسي صاحب مكتبة الطالب بالرباط على حرصه الشديد على اخراج المحاضرات والحاحه على اصدارها ، كما نهنىء الاستاذ محمد حجي على جهده المشكور الذي بذله في اعداده لاصدار الكتاب ، ونتمنى أن يتوفر له الوقت لكي يعيد طبع المحاضرات على الصورة التي ابتغاها ، خاصة وان «المحاضرات» من الذخائر الفكرية والادبية التي تنفد وقت صدورها ، ولا شك عندي في أن أوساطنا الادبية والفكرية والتاريخية قد اقبلت على الكتاب في طبعته الجديدة بعد نفاد طبعته الحجرية الفاسية منذ عشرات السنين ، ولا شك عندي في أن المكتبة المغربية سوف تفخر بهذه الطبعة الجديدة من «المحاضرات» وتعتز بها حتى يستفيد منها الخاص والعام .

من هو الحسن اليوسي ؟

ترجم للحسن اليوسي عدد من المؤرخين والادباء والكتاب والمحققين والمستعربين ، ويذكر الاستاذ محمد حجي في التقديم أن المستعرب الفرنسي المعاصر جاك بيرك له كتاب عن الحسن اليوسي، كما يذكر صاحب التقديم أنه كتب عنه في مؤلفه القيم «الزاوية الدلائية» وترجم لحياته بتوسع فيه ، وقد ارتبط اسم الحسن اليوسي ارتباطا وثيقا بالزاوية الدلائيه وهي ذلك المركز العلمي الكبير الذي كان قائما بناحية تادلة ، الى ان استصفاه ـ لاسباب سياسية ـ ورحل القائمين عليه المولى الرشيد، أخو المولى اسماعيل وسلفه المباشر على العرش . ولم يكن الحسن اليوسي من أبناء الزاوية الدلائية ولكنه كان من أشهر وأذكى وانبغ تلامذتها وعلمائها ، وأكثرهم وفاء لها(1).

ومن بين الذين ترجموا له الافراني في الصفوة ، والسلاوي في الاستقصا ـ الجزء الرابع ـ والشيخ عبد الله كنون في النبوغ ـ الجزء الاول .

ولد الحسن اليوسي عام 1631م. ويرجع نسبه الى آيت يوسي وهي قبيلة تقع في جنوب مدينة فاس، قرأ القرآن ورحل الى سجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ، واستقر بالزاوية الدلائية ودرس فيها، حتى استيلاء السلطان رشيد بن الشريف على الزاوية فنقله منها الى فاس حيث درس بجامع القرويين، ثم تركها واستوطن البادية متصوفا متنسكا ، ثم عاد ونزل بمراكش وتصدر فيها لاقراء علم التفسير بجامع الاشراف(2) ورحل الى المشرق في أواخر حياته ، فزار مصر وحج بيت الله الحرام ، ثم قفل راجعا الى المغرب حيث توفي به سنة 1102 هـ. (3) فيكون الحسن اليوسي اذن قد عاش اثنين وستين سنة، عاشها طولا وعرضا كما يقولون، اذ كانت حياته حافلة كرس جهده خلالها لطلب العلم والادب والقراءة والكتابة والتدريس والاقراء ، وانقطع لفترة منها الى التصوف والتنسك ، وكان ذلك أمرا طبيعيا فاليوسي اذن يمثل الحركة الادبية في معظم النصف الثاني من القرن الحادي عشر الى نهايته ، وهو بهذا يمثل مرحلة انتقال الدولة من السعديين الى العلويين(4) وقد خلف لنا الحسن اليوسي تراثا ضخما من المؤلفات ، معظمها لا يزال مخطوطا ، منها ماطبع بالمطبعة الحجرية بفاس ومنها كتابه :

المحاضرات ، ولعله لم يطبع من مؤلفاته الغزيرة طباعة عصرية الا قصيدته الدالية في مدح الشيخ محمد بن ناصر ، وشرحه هو نفسه عليها ، وقد سماه : نيل الاماني في شرح التهاني .

وقد احصى الاستاذ محمد حجي في كتابه عن الزاوية الدلائية مؤلفات الحسن اليوسي ، فبلغت في هذا الاحصاء سبعة وأربعين مؤلفا دل عليها كلها ، فذكر أرقام المخطوطات منها في الخزانة الملكية أو الخزانة العامة ، وذكر تواريخ وأمكنة طبع ما طبع منها حتى الآن ، «وضع علامات استفهام أمام ما لا يزال منها مجهولا ، يعرف بالاسم فقط ، ولا يعرف بالعين(5).

ثم يأتي هنا على ما قاله عنه بعض معاصريه والذين ترجموا له ، حيث قال عنه الافراني في الصفوة : «يبدي كل يوم من التحقيق أسلوبا ، ويلقي من التحريرات صنوفا، فعجب الناس من حسن القائه، وغزارة مادته». وقال فيه الشيخ أبو سالم العياشي:

من فاته الحسن البصري يصحبه

فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

وقال فيه الناصري صاحب الاستقصا :

كان رضي الله عنه غزالي وقته علما وتحقيقا وزهدا وورعا».

ج أضاف .

وبالجملة . فهو آخر العلماء الراسخين ، بل خاتمة المحول من الرجال المحققين ، حتى كان بعض الشيوخ يقول : هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل ، بحيث صار امام وقته، وعابد زمانه، رحمه الله ورضي عنه».

وقال فيه أستاذنا الجليل عبد الله كنون في كتابه النبوغ ـ الجزء الاول : نابغة علماء هذا العصر (يقصد عهد الدولة العلوية التي عاصر فيها اليوسي ملكان من ملوكها ، ومن افضل المتحققين بالعلوم العقلية والنقلية على سبيل العموم». ويضيف فيه : كان أديبا عبقريا ، واوية الشعر ، يستحضر ديوان المتنبي وأبي تمام والمعري، وقصائد كثيره لغيرهم، كل ذلك على طرف لسانه وهو نفسه شاعر مجيد مكثر».

وكان الحسن اليوسي يقول عن نفسه : لو شئت ألا أتكلم الا شعرا لفعلت ، وكان مثل ذلك يقوله أبو العباسية .

المحاضرات :

هي اشهر مؤلفات هذا العالم الاديب الشاعر الصوفي ، قال عنها الاستاذ محمد حجي في تقديمه لها : «واذا كانت المحاضرات ليست أكبر مؤلفات اليوسي حجما ، ولا أكثرها دلالة على غزارة علمه وتمكنه في ميداني المعقول والمنقول ، فانها تمثل نوعا طريفا من المؤلفات المغربية التقليدية ذات المواضيع المتعددة التي ينتقل فيها المؤلف من موضوع الى آخر لمجرد ادنى ارتباط او تقارب ، بالاضافة الى الاستطرادات التي كثيرا ما تطغى على الموضوع الرئيسي فتكاد تنسيه» !

ويرجح الاستاذ محمد حجي في التقديم أن الحسن اليوسي ربما كتب المحاضرات ليتنفس عن نفسه من ضيق الحرمان من التدريس وهو مبعد الى مراكش على اثر ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي ، بل انك ترى المؤلف في بعض فصول هذا الكتاب وكأنه يقرر من أعلى منبر تدريسه موضوعا معينا، فيشرح ويقارن ويستشهد ، مستغرقا في ذلك نفس الحجم المعتاد للمحاضرة الشفوية ، ثم يختمه كالمعتاد بقوله : لله الامر من قبل ومن بعد».

فالمحاضرات التي بين أيدينا في 323 صفحة مع الفهرس والكشاف ، من الحجم الكبير ، تشتمل على تقديم للاستاذ محمد حجي في صفحتين ، يليها النص الكامل للمحاضرات الذي يبدأه المؤلف الحسن اليوسي بالحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد يتبوع الاحكام والحكم ، ومجموع شميم الفضائل وفضائل الشميم ويخلص بعد ذلك الى قوله :

«أما بعد ، فان الدهر أبو العجائب ، وينبوع الغرائب . ويأتي بمثل حول ذلك وأشعار متفرقة ثم يقول قصيدة من نظمه مطلعها :

أراني حيثما أخطو أجد ما لم أجد قط

ومنها قوله :

رذو الفهم له علم جديد حيثما يخطو

فكر واعتبر تعلم علوما دونها الضبط

مدرك غير ما في الصحف يوما خلد الخط

وسلم وارض بالمقدور لا يذهب بك السخط

ولا تبرم اذا المولى يشد الحبل او يعطو

فما ترجو من الرضوان ان ترضى له شرط

وهي قصيدة كما ترى ليست من أحسن قصائده، ولكنها تبرز قدرة الحسن اليوسي على تطويع اللغة للغرض الذي يكتب فيه ، وتنم عن بساطة اسلوبه في النظم وبعده عن الاغراب والحشو ، وميله الى انتقاء اللفظ الرقيق الشفاف ، مع الجزالة والاصالة والتعمق في استكناه المعنى والسبر في أغوار المعاني دون اسراف او افراط، وباختصار قدرته على التعبير عن المعنى المراد بأرق الالفاظ وأبسطها وأقربها الى الفهم والادراك .

وعلى العموم : نلمس في قصائده ماء الشعر الحر يتدفق في اسلوبها وتتجلى صورها البعيدة في معانيها (5) :

ثم يقول بعد ذلك :

«واني قد اتفقت لي سفرة بأن بها عني الاهل شغلا وتانيسا ، وزايلني العلم تصنيفا وتدريسا ، فاخذت أرسم في هذا الموضوع بعض ما حضرني في الوطاب ، مما احال فيه او حان له ارطاب . وسميته «المحاضرات» ليوافق اسمه مسماه، ويتضح عند ذكره معناه . وفي المثل : خير العلم ما حوضر به ، وانما أذكر فيه فوائد وطرفا ، وقصائد ونتفا، وذلك مما اتفق لي في أيام الدهر من ملح أو لغيري مما ينتقى ويستملح ، ولا اذكر نادرة فيها معنى شريف الا شرحته ، ولا لطيفا الا وشحته ، وذلك هو لباب الكتاب ، وفائدة الخطاب ، والله المليم للصواب . وقد أذكر بعض ما صورته هزل يستهجن، وفيه سر يستحسن ، وكما أن المقصود من الاشجار ثمارها ، فالمطلوب من الاخبار أسرارها. وانما حملني على الاخذ فيه أمور منها : التفادي من البطالة التي هي مدرجة الجهالة والضلالة ، ومنها افادة جاهل، او تنبيه غافل . ومنها تخليد المحفوظ ليلا ينسى ، وتفصيله نوعا وجنسا . ومنها استمطار علم جديد، عند الاشتغال بالتقييد ، فان العلم كالماء تباع ، وبعضه للبعض تباع ... ومنها تعليل النفس، ببعض الانس ، فان النفس ترتاح للاحماض ، وتستشفي بروحه من الانقباض ، ولا سيما مثلي ممن ترامت به الاقطار ، وتباعدت عنه الاوطان والاقطار» ثم يأتي بقصيدة من نظمه في خمسة واربعين بيتا مطلعها :

سلا هل سلا عن أهله قلب معنى

بريب الهوى والبين عن جيرة الحمى

ويختمها بقوله :

وكل امرئ يوما سيجزى بما أتى

من الخير بل يجزى على كل منوى

ثم يختم المحاضرة الاولى من كتابه كالمعتاد :

لله الامر من قبل ومن بعد !

فالمؤلف هنا في هذه المحاضرة الاولى من الكتاب يشرح بنفسه منهجه في تأليفه «المحاضرات» والبواعث والدواقع على اقدامه على التأليف ، وطريقته وأسلوبه في الكتابة ، ويتضح لنا من ذلك كله ـ على قصره ـ أن المؤلف أحس في مراكش بالغربة والاغتراب ، فاراد أن ينفس عما في روحه ووجدانه من جيشان العواطف وهيجان المشاعر والاحاسيس وهو في حالة من البعد والابتعاد عن التدريس والاقراء ، فشرع في تأليف «المحاضرات» حتى يطمس عن نفسه ويبعد عن روحه احساسه الحاد بغربته ، فجاءت محاضراته سفرا نفيسا ليس فيه شيء من دخيل التكلف والتصنع ، يجمع بين دقة المؤلف في الاختيار والانتقاء ، وغزارة محفوظه من الامثال والاشعار والايام ، وقوة وصفاء حافظته في الاستظهار وبساطة اسلوب ورقته ، وحرصه الاصيل على الشفافية والسهولة واليسر درجة تصل به أحيانا الى السهل الممتنع في الكتابة والتأليف والتصنيف، وكل هذه الخصائص التي تطبع أسلوبه في التأليف، تنم عن طبعه الاصيل ومنهجه الذي كان يتبعه في التدريس والاقراء ، ولولا استطراداته الكثيرة وانتقاله من موضوع الى آخر لاقل ارتباط واتصال ، لجاءت «المحاضرات» موسوعة مرتبة في العلوم العقلية والنقلية وأشعار العرب في شتى الاغراض التي كانوا يتناولونها، غير أنه في المحاضرات لا يضبط المواضيع والاغراض التي يكتب عنها ، وانما يأخذ موضوعا من المواضيع أو غرضا من الاغراض ـ في الامثال والروايات والاشعار والتراجم ... الخ ، ثم يستطرد فيه ويولد منه معاني كثيرة متعددة ، ويذكر في المعنى الواحد ابياتا من الشعر قيلت فيه وأمثالا

وحكما وروايات وملحا لها ارتباط ـ من قريب أو من بعيد ـ بالمعنى الذي يكتب فيه ، ثم يخطر له خاطر آخر في معنى من المعاني لا يرتبط بما سبقه فيسوقه بالطريقة التي يذهب بها في كتابة وتاليف مصنفه المذكور . ومن ذلك أنه يكتب عن سجلماسة وشالة وبلاد ملوية ورباط شاكر ثم ينتقل من غير سبب يربط السابق بمتيله اللاحق الى الكتابة عن المحتالين الذين يظهرون الصلاح ويخدعون الناس ، ثم ينتقل الى ذكر اشعار العرب في الكرم وخدمة الضيف ، ثم يذكر أصناف الناس وأصناف بقاع الارض ، ومثل ذلك ايضا تناوله الحديث عن الحكم التكليفي والحكم التشريفي والنفس والشيطان والخاطر النفساني والخاطر الشيطاني والحقيقة والشريعة الى تناوله الحديث عن ابيات الحكمة والتمثيل . وهذا نموذج فقط عن منهجه وأسلوبه الذي اتبعه في كتابة المحاضرات .

ولا ينسى الحسن اليوسي في المحاضرات ان يكتب عن الزاوية الدلائية وأعلامها ومشايخها ، الا ان رواياته عنها تاتي متفرقة إذ تفصلها عن بعضها البعض كتابته عن أغراض أخرى لا تمت بصلة الى موضوع الزاوية الدلائية ، ففي صفحة 72 يكتب روايته عن محمد الحاج الدلائي وينتقل الى اغراض أخرى حتى الصفحة 78 لنجده يكتب عن شيخ الدلاء عند عبد الله ابن حسون في سلا ، ويتكرر مثل ذلك في بقية المحاضرات عن موضوع الزاوية الدلائية واعلامها وشيوخها وتلامذتها مثلا في الصفحات : 102 و 140 و 156 و 170 و 300 .

وفي فصل من فصول المحاضرات يكتب عن أبيات الشعر المفضلة عند العرب ، مثل ذلك : أشهر بيت قالته العرب وأحسن بيت وأصدقه وأكذبه وأفخره وامدحه وأهجاه وأشجعه وأكرمه ، ولا يكتفي في رواياته ببيت واحد أو بيتين بل يذكر أبياتا لشعراء متعددين في الاغراض المذكورة .

ويفتح بوابا في كتابه للحديث عن كلام الاذكياء والالغاز العربية والمضحكات والملح وأخبار الثقلاء والمواعظ والوصايا، ثم يسوق بعض حكم الخليفة على ابن أبي طالب رضي الله عنه مرتبة مصنفة على الحروف الاولى التي تبدأ بها الحكمة ، ثم يختم الكتاب بذكر جماعة من شيوخ العلم والتصوف الذين لقيهم المؤلف ، يبدأ الخاتمة بقوله :

«أسرد فيها من حضر الآن في فكري ممن لقيت وتبركت به ، ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح تبركا بهم ، فانه قد قيل : تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين ، .. ولم أتعرض لاحوالهم لان ذلك يطول، والكتاب غير موضوع له ، فاكتفيت بذكر اسمائهم » ويبلغ عددهم خمسة وخمسين اسما . وذكر قبل هذا الباب نصوص ثلاث قصائد مطولة الاولى منها مطلعها:

زيادة المرء في دنياه نقصان

وربحه دون محض الدين خسران

ثم القصيدة الزيتبية ـ نسبة الى زينب ـ ومطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينب

والدهر فيه تغير وتقلب

والقصيدة الاخيرة هي تائية أحمد المقري في المواعظ ومطلعها :

الى كم تمادى في غرور وغفلة

وكم هكذا نوم متى يوم يقظة

وفيها نفحة من تائية ابن الفارض الشهيرة : وبعد ،

هذا عرض مبسط لكتاب قيم يحتل من تراثنا الفكري والادبي مكانة مرموقة ، شهد بها أعلام تاريخنا الفكري والثقافي والحضاري بصفة عامة ، وتقديم قصدت منه التعريف ـ جهد الامكان والمستطاع ـ بهذا العالم الصوفي والشاعر الاديب الموسوعي الحسن اليوسي ومؤلفه الكبير «المحاضرات» ، راجيا ان يكون صدور طبعته الجديدة حافزا لهمم الادباء والمؤرخين والمهتمين باحياء تراثنا الفكري المغربي الاصيل أن يكتبوا عنه وعن علماء وشيوخ عصره ، وأن يكون هذا الكتاب القديم ـ الجديد ـ باعثا يشجع أهل الاختصاص على دراسة تراثنا دراسة علمية متانية ، وبادرة تشجع على طبع ونشر مؤلفات ابي الحسن اليوسي ، خاصة وأن الاستاذ محمد حجي الذي قام باعداد كتاب المحاضرات للطبع قال في التقديم : ان هذا المؤلف ليس أكبر مؤلفات اليوسي حجما ولا أكثرها دلالة على غزارة علمه وتمكنه في ميداني المعقول والمنقول .

هـــوامش :

1 ـ انظر : على هامش رسائل الحسن اليوسى الى مولاى اسماعيـل ـ للاستـاذ المرحـوم عبـد القادر الصحراوى ـ دعوة الحق ـ العدد الرابع ـ صفحة 66 .

2 ـ الادب المغربى ـ لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفى ـ الطبعة الثانية ـ صفحة 313 ـ دار الكتاب اللبنانى .

3 ـ المصدر السابق ـ نفس الصفحة .

4 ـ المصدر السابق ـ نفس الصفحة .

5 ـ المصدر السابق ـ صفحة 316 .

6 ـ رسائل الحسن اليوسى الى مولاى اسماعيل ـ ص 68 ـ 69 .

نشرت مجلة « العربي » الكويتيه فى عدد مارس الماضي مقالا للمرحوم الاستاذ علال الفاسي بعنوان : « الاستعمار الثقافي » جاء فيه بالخصوص :

« ان الاستعمار الثقافي يرمي الى محو الثقافة المحلية اولا بالقضاء على الدين أو تاويله بالاساليب التي تتفق مع رغبة الاستعمار ، وبالقضاء على الفكر القومي المستقل عن كل اعتبار خارج عن مصلحـــة الوطن ومصلحة الجماعات التي تعيش فيه . واحلال الثقافة الاجنبية محل ذلك كله لجعل الشعب المفتوح ذا صبغة تستمد كل روائها واثرها من عناصر الحياة التي يختارها المستعمر ويريدها . فاشكال الحكم ومولد التشريع واجـراءات القانـون والتشريعـات ومظاهر الرسميات والاليسة وكل شيء يجب ان يكون صورة طبق الاصل لما هو قائم فى الوطن الوالد كما يقولون . وكل ذلك يقـوم على اساس ان مقاييـس السمو يجب ان تصبح فى نظر الشعب المستعمـر هي ما قام به المستعمرون فى بلادهـم وما اختاروه لانفسهم . وان المأساة عميقة ، انها غرس الاعتقـاد بقوة المستعمر وتركيز مبدأ امتيازه علينا . انهـا محو لانسانيتنا وتحقيق لانسانية الدولة المستعمرة.

علال الفاسي

ديوان المجلة

- بمولد المصطفى قد أشرق الأفق .
- جاء دور الاسلام .

أيها المسلمون

للشاعر الأستاذ المدني الحمراوي

ايها المسلمون مهلا ورفقا ... لا تخوضوا الى المتالف طرقا
فقفوا واطلبوا نجاة فاني ... بت اخشى عليكم اليوم محقا
ما غناء العقول ان لم تفدكم ... مخلصا يضمن السلامة حقا ؟
بعد الركب من طريق امين ... وارتمى في مضايق الهلك حمقا
ان تمادى ضلاله فسيلقى ... بين تلك الشعاب ما سوف يلقى
كم مهاو بعيدة القعر فيها ... وصخور تفتت العظم دقا
وبراكين بالفجائع تغلي ... وحقول بسائل السم تسقى
ودعاة على الطريق ولكن ... غرروا بالرفاق مكرا وفسقا
فيقودونهم الى كل فخ ... ويسوقونهم الى الحتف سوقا
هم لصوص تعودوا كل فتك ... بمن اغتر بالمظاهر خرقا
لبسوا من شعار داع امين ... حسن السمت يخلب العقل نطقا
فاذا ما سطو بغير جهول ... خنقوا حنقه ـ من الحقد ـ خنقا
ثم مالوا على متاعه نهبا ... وعلى جسمه المجندل شقا

= * =

ايها المسلمون عودا سريعا ... ان اردتم من النوائب عتقا
وبدارا الى النجاة بدارا ... وابدعوا السير في المحجة سبقا
فعليها رواق امن ويمن ... وبها وحدها السلامة تلقى

سلك السالفون منها سراطا ... جددا ؛ فانتهوا الى القصد وفقا
وسلكتم شعاب هول ويأس ... تيهكم ؛ فذقتم الغم مذقا
طحنتكم بها الكوارث طحنا ... وشوتكم بها الصواعق حرقا
ودهاكم بها من الحيف عسف ... شتت الشمل ثم غيض رذقا
واحتواكم بها لصوص لئام ... جعلوكم من المهانة رقا
فاستحلتم من الهوان ذيولا ... قلدت ما رأته غربا وشرقا
اين انتم من سالف كان نورا ... وفخارا ، وكان عدلا ورفقا ؟
ملأ الارض من ضيائه هديا ... فغدت كالعروس حسنا وعيقا
وبناها على سماحة دين ... وسقاها من الرفاهة ودقا
كان بين الانام اسعد عهد ... مد ظل السلام فيهم وابقى
بزغ المسلمون فيه شموسا ... وهداة محو ضلالا وفرقا
سلف صالح بتوخير عهد ... ناق كل العهود عدلا وخلقا
ويروح القرآن سادوا واحيو ... اما اشرفت على الموت رهقا
انعشوها وعلموها فصاروا ... في سجل الزمان أبقى وارقى
لا يدانيهم الانام فخارا ... او يعيدوا تلك الحضارة طبقا
اين من تلكم الحضارة عمار ... افسد الارض بالمخازي واشقى ؟
اين منها فظائع ودمار ... ونظام على المنافع يرقى ؟
اكل الاقوياء فيه ضعافا ... واسترقوا من البرية خلقا
ففريق يرى التعصب دينا ... ميز اللون ، ثم فضل عرقا
جعل البيض سادة ، وسواهم ... باليم العذاب يرشق رشقا
وفريق مراوغ ، هو ادهى ... يسحق الناس بالدسائس سحقا
ومن الكل للعدالة حرب ... فضعاف الشعوب بالحيف تشقى
ومن الكل للفضيلة ضد ... مرغ العرض في التراب والقى
فرأينا من الاناث فجورا ... اشيع الفاسقين شما وذوقا
قد تبرجن في شقوف قصار ... وكشفن الفضون سفلا وفوقا
وتبادلن والرجال جهارا ... كل عهر دعوه - بالزعم - عشقا
فتشبهن بالبهيمة عريا ... وعققن الحياء فعلا ونطقا
واشعن السفاه في كل نهج ... وقتلن الوقار طعنا وشنقا
اتسمى حضارة ورقيا ... هذه الموبقات حقا وصدقا !

اتسمى تحررا من قيـــــود ؟ وهي اسمار والجرائم حقـــــا

= ❊ =

كذب الغرب انما هـــو طـــاغ جعل الناس فى الكوارث غرقـــى
عبد المال والرذيلة حتـــــى سلق الارض بالفظائع سلقـــــا
لا يحـــاول بمـــا يمـــوه زورا من دعاويه ان يغطـي فتقـــــا
كشف الحق عن فظائعه الـــــــود وشقت له الرقائع شدقـــا
فبدا تاجر يبيـــع ضميـــــرا بصمير ويلعق السحت لعقـــا
وجهه كالانام شكـــلا ولكـــــن نفسه بالشرور تشبه زقـــــا
ايها الغرب كم جنيـت علـــى الاو ض ؛ وكم احرقت جحيمك افقـــا
ولكم خربت صواعقك الهـــــو ج بناء فمات اهلـه صعقـــــا
وكم استنزفت خراطيمك الصفـــــر دماء القلوب مصا ومقـــا
ولكم مزقت اظافـــرك الحمـــــر من الحق والعدالة حلقـــــا

= ❊ =

ايها المسلمون ! هلا صحوتـــم فالنذير العجول واصل دقـــا
طرق الباب كي تفيقـوا ولكـــن قد تصاممتمو عن الطرق نزقـــا
واصختم الى بشير غريـــــب بخداع الغرور يتسق نعقـــا
قد سباكم بمفريات فاغـــــوى كل عقل ، وغاب فى الفكر عمقـــا
ثم القى على البصائر غيمـــــا وامام العيـــون نور برقـــــا
فاستطيتم ميوعة وانحـــــلالا وافعتم من النفائس علقـــــا
ضاع حبل الاله ، ضاع فامســى ورقا بينكم وحيـــرا ورقـــــا
وتركتم رسالة الحق غبنـــــا وقطفتم من السفاسف علقـــا
وفررتم من فسحة اليسر جهـــلا واتيتم هوى وعسـرا وضيقـــا
قد رضيتم بان تكونـوا ذيـــولا كيف يحيا من كان ذيلا ويبقـــى
فلقد كاد ظلكـم يتـــــوارى بعد ما كان يملأ الارض خفقـــا
وتكادون ترسبـــون هوانـــــا فى محيط به النفايات تلقـــى
اي شان لامة قـد تجافـــــت عن تقاليدها النبيلة حمقـــا ؟
نبذت ماضيا مجيدا ودينـــــا لم يزل عروة ـ مدى الدهر ـ وثقى
ثم صارت الى ميوعة قـــــوم رمقوها باعين البغض رمقـــا

اعلن العاقلون منهم جهـــــارا انها اصبحت شقـاء ووبقـــــا
وراوها تجرهـــم لخـــــراب عاينوا منه فى الاساطين شقـــا
فالى م الضلال يا قـوم يربـــو بينكم ، والغرور يطغى ويبقـــى ؟
قد مللنا فى هذه السوق تيهـــا وبقينا فى حانة الغرب جوقـــا
فرجوعا الى الصواب رجوعـــا وارتقوا الفتق بالهدايـة رتقـــا
ان تاريخنا يحـــن ويهفـــو من جديد الى السيـادة توقـــا
وينادي مستصرخا كـل يـــوم اين قومي ؟ لقد تقطعت شوقـــا
أين من يأخذ المشاعل منـــي ؟ فيتبر الحياة هديـا ورفقـــا
قد سمعتم نداءه فاستجيبـــوا وكفى غفلـة وغـــا وعقـــا

الرباط : المدني الحمراوي

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

خمس خذوها عني ، الا لا يرجون احد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستنكف أن يتعلـم ما ليس عنده ، واذ سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم ، والصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد .

جـــاء دور الإســـلام

للشاعر الأستاذ
أحمد الشريف

لم يزل نجم سعدها يتوقد
أمة آمنت بدين محمد

أمة شاءت الخلود مصيرا
كل يوم شبابها يتجدد

لم يزل غصنها نديا رطيبا
وصباها غض الاهاب مورد

يا رسولا علمتنا كيف نحيا
بين كل الانام أهنا وأسعد

نور ايماننا يضيء لنا السبـ
ـل اذا ما تشعب الدرب واسود

واذا ما سحائب الشك حامت
فوقنا والضعيف منا تردد

ورياح الالحاد هبت ثلوجا
ودم البعض في العروق تجمد !

وصغار العقول أضحوا ضحايا
الجدل البالي ... والشباب تشرد!

ذاب ثلج الالحاد من دفء ايما..
نى ، وغيم الشكوك عنا تبدد

حصحص الحق يارفاق! فلا (ماركـ..
س) ولا (ماوتسى تونغ) ولكن محمد

جاء دور الاسلام.. اذ فشل الشر..
ق ، وزاغ الغرب الاناني واوتد.

كفلوا للبطون شبعا وريا
وأذاقوا الارواح جوعا مؤبد

سلبوا حرياتهم ، وأحالو..
هم تمالا زرقا ، تقام وتقعد

وبنوا حولهم زرائب حتى
لا يفروا من بؤسهم حين يشتد

غسلوا منهم الدماغ كما يمـ..
حى شريط التسجيل او يتعقد.

حجبوا عنهم الحقيقة حتى
لا يماروا في افكهم حين يسرد.

فغدوا اسطوانة طبعت منـ..
ـها الملايين كل يوم تردد

عمرهم ليلة بدون نهار
يترجونه .. ويوم بلا غد.

= * =

(*) القصيدة الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الشعر التي تنظمها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة عيد المولد وعيد العرش .

ان عقلا ينفي وجودك ، يار..
بي ، لعقل من جامد الصخر أبلد !

ان عينا لم يعشها نورك اليما..
عمر عين عمياء عن كل مشهد !

ان قلبا لم يهده نور ايمانـ..
نك قلب ضل المحجة وانسد !

= ❊ =

واذا ما الصليب هاجم ، والنجـ..
ـم السداسي لمساجد صود

وأتى بالصواعق الحمر ، صنع الـ..
عم سلام ، وبالابادة صدد

واذا ما احفاد (روذريغو) في الصحـ..
ـراء شاؤوا تمزيق شيمة احمد

وأتوا بالحديد برا وبحرا
وفضاء ، وطبقوا الوهد والنجد

وكسوا بالشوك الرمال ، وبالالـ..
ـغام سدوا امامنا كل مقصد

ملأوا جونا بأجنحة الغو
لاذ زرقا ، وأطلقوا البرق والرعد

التجانا اليك نستلهم السيـ...
ـرة نرجو منك الهداية والرشد

فوجدناك في (حنين) وفي)بد
ر) وفي (الخندق) الحسام المهند

ووجدناك في مسيرتنا الخضـ..
ـراء درعا لنا وصرحا مشيد

ووجدنا حفيدك الحسن الثا..
ني لنا والدا امينا مؤيد

فاهتدينا به كما يهتدي النا..
ئه في لجة المحيط يفرقد

= ❊ =

جاء دور الاسلام ، وانتفض المسـ
ـلم وانشق قمقه وتمرد

قيده الجهل ، والتخلف ، والفقـ
ـر ، وكل الامراض حين تعدد

ورأى بارقا من الامل المشـ
ـرق يرنو له على افق الغد

نصبت روحه اليه .. فمد الـ
ـعين ، والقلب ، والعزيمة ، واليد

= ❊ =

مولد المصطفى لنا عبرة كبـ
ـرى ، وعهد منا له يتجدد

مولد المصطفى لنا سجدة تشـ
ـكر آلاءه علينا وتحمد

= ❊ =

نحن لولاك يا محمد ما كنـ
ـا شعوبا في العز ترفل والمجد

نحن لولاك يا محمد ما كنـ
ـا فحولا كريمة الاب والجد

نحن لولاك لم نكن امة عظـ
ـمى لتاريخنا يقام ويقعد

رضع الغرب من حضارتنا الاو
لى ، ومن شمسنا المنيرة اوقد

انت علمتنا النضيت بالرو
ح وارهافها لتسمو وتصعد

انت علمتنا مفاضلة الامـ
ـلاك طهرا ، وروحها لم يجسد

وجعلت العلوم فرضا علينا
ذكرا ام انثى ، من المهد للحد

وجمعت القلوب من بعد ما كا
نت شتاتا ، وصنت شملا مبدد

معجزات في الجاهلية ، والبد
ئ ظلام ، والعقل وحش مقيد

انت حررته ، وأفعمته نو
..را ، وفجرته كما انفجر السد

انت اهديته الضمير .. ومن دو..
ن ضميركم عاث قبل وأفسد

انت الهمته العدالة فى الحـ
ـكم .. وصدق اللسان ساعة يشهد

انت آنسته وآنسته من
بعد خوف ، فاعتز بالله واعتد

فسرى فى كيانه القبلى الـ
ـحب ، مثل نبع مبرد

هكذا خاتم الرسالات أحيـ
ـا امة كان موتها قد تأكد

فلنعد للنبع الاصيل لنغرف
غرس آمالنا على شاطىء الغد

ولنسر فى طريق وحدتنا الكبـ
ـرى ، يدا فى يد ، برأى موحد

بدأ العد معلنا ساعة الصفـ
ـر ، وهذا الصاروخ أرغى وأزبد

وانتهى جزر هذه الامة العطـ
ـمى ، ورن النداء ، وابتدأ المد

+ × +

لم تزل قمة يتوجها المجد !
أمة أمنت بدين محمد !

بمولد المصطفى قد أشرق الأفق

للشاعر الأستاذ محمد بن محمد العليمي

بمولد المصطفى قد اشرق الافق ؛
وفاح فى كل قلب عطره العبق

من بعد ما عاشت الاكوان فى غسق
لقد تجلى على وجدانها الغلق

فيه تجمع من نبل ومن شرف
ما كان فى عنصر الانسان يفترق

فليس فى ساحة الاعياد أفضل من
عبد النبي . ففيه الفضل يتفق

وليس فى الحسن ارقى من محاسنه ،
فكل حسن على المحبوب ينطبق

ما صور الفكر أبهى من شمائله ،
فبسمة العجب يزهو بها الشفق

للخلق يفتح أبواب الرجاء ، فما
ترى مصاريع باب الله تنغلق

يسقى كواثره صفوا لشاربها ؛
فليس فى وردها التكدير والرنق

عن الشفاعة لولاه لما غفرت
منا العثار ، وأعمل الذنب ما عتقوا

فالروح فى جنة الفردوس شادية ؛
وعندليبا برحيق العشق يطفق

وفى الملائك عرس بالنبي ، وقد
زفوا الى الناس بشراهم بما رزقوا

وخاتم الرسل تعزيز لما بعثوا
به الى الخلق : منه النور يتبثق

(*) القصيدة الفائزة بالجائزة الثالثة فى مسابقة الشعر التى نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة عيد المولد وعيد العرش .

بـه لـقـد آمـنـوا مـن قـبـل مـا بـرزوا
الـى الوجـود ، وللحسـنـى قـد اعـتـنـقـوا

مـن نقطـة الـحـق قـد دارت اشـعـتـهـم ،
ومـركـز الـسـر مـنـه الـبـعـث يـنـطـلـق

ان الـشـمـوس مـع الاقـمـار قـد سـجـدت
لـطـلـعـة عـنـدهـا الـتـوحـيـد يـأتـلـق

مـن قـبـل آدم قـد فـاز الوجـود بـه -
فـمـز وجـدانـه والـمـنـطـق الـذلـق

والـنـور كل ، فـلا تـقـسـيـم يـلـحـقـه ،
والاصـل بـالاصـل فـى مـعـنـاه يـسـتـحـق

ويـنـرب الـروضـة الـغـنـاء مـبـهـا حـلا
لـلـعـيـن والـقـلـب ايـنـاس ومـرتـفـق

والـشـوق لـلـحـضـرة الـكـبـرى هـنـالك قـد
زادت بـه حـرق فـى اثـرهـا حـرق

نـفـسـي فـداء حـبـيـب الـلـه اشـرف مـن
مـن اجـلـه الـنـاس قـد كـانـوا ، وقـد خـلـقـوا

مـدولـة الـكـفـر والاوثـان هـاغـرة -
والـجـهـل لـم يـؤوه قـبـر ولا نـفـق

لا ديـن قـطـعـا سـوى الاسـلام نـنـهـجـه ،
فـهـو الـطـريـق الـذي قـادت لـه الـطـرق

فـالـحق بـاد ، جـمـيـل الـوجـه ، مـنـتـصـرا
بـالـرغـم مـمـن تـنـاسـوه ، ومـن نـعـقـوا

والـعـبـد الـتـرب الـمـولـى بـفـطـرتـه ،
والاسـتـقـامـة فـيـهـا الـطـبـع مـنـدفـق

ومـن يـركـز عـلـى الـقـرآن عـصـمـتـه
نـيـل الامـان ، فـلا رعـب ولا قـلـق

فـالـكـنـز فـيـه ثـمـيـن لا نـفـاد لـه ،
وهـو الـضـمـانـة ، لا بـؤس ولا مـلـق

والـسـر فـيـه لاهـل الـسـر قـاطـبـة
مـن هـم بـآيـاتـه الـنـصـحى لقد نـطـقـوا

سـل نـخـبـة من ذوى الالـبـاب عـن نـسـق
فـيـه تـجـلـى ، فـلـم يـسـبـق لـه نـسـق

أمـسـت تـحـبـبـه لـلـخـلـق روعـتـه ،
ان يـعـشـقـوه ، ومـا احـلـى الـذى عشقوا !

والفرق باد اذا قيس الأصيل بما
جاءت به من طواغيتها الفرق

كم حاولوا أن ينالوا من مناعته ؛
لكنهم بشهاب الحق قد صعقوا

ان الإباحية الرعناء سادرة
فى غيها ، وبها الأهواء تنزلق

دعاتها من الأشقياء الشعب من وفدوا
من كل سفح ، وما فسوا ، وما اختلقوا

ماذا أتوا به من فتنة عظمت ؟ !
فالخمس ميزتهم . والطيش والسفرق

يا ليتهم ادركوا سر الوجود ، ففى
تكوينه منفذ قد سبح المملق

هل ينظرون الى الارض الموات وقد
عادت رياضا ، وفيها الحب يتفلق ؟

لقد نسوا الله فى سر وفى علن ؛
وما تناهوا ، فهم عن أمره فسقوا

هم الشياطين أشباه المرود ، لهم
هامت طباع غدت للمسخ تسترق

ضاع الحياء ، فلا هم فى تفاهتهم
يستعبرون ، ولا ينتابهم عرق

قد جاوزوا شهوة الأنعام ، همهمهم
من الحياة الهوى واللحم والسرق

ففى الفراغ أضاعوا اليوم أنفسهم ،
واغرقوا فسفساء الروح اذ غرقوا

يا ويح من جهلوا دين السلام ولم
يجذبهمو للهدى تهذيبه اللبق

ان العمى ليس فى الأبصار . . ان عميت
بصيرة ، فالهوى تعنو له العنق

تفنى القرون ، وللاسلام جدته ؛
والعمى فى لبب الإيمان يحترق

فهو الأمان بعصر لا قرار له ؛
من يعتمده فلا خوف ولا قرق

والاعتدال شعار الدين نسلكه ،
والكفر فى رجسه الانفاس تختنق

وفى الحنيفية السمحاء حجتنا
فى العالمين فلا بأس ولا رهق

ونحن فى الوحدة العظمى بهمتنا
على العداة سيوف الله نمتشق

من المحيط الى اقصى الخليج بنا
صهيون فى سقر يغشى ويشتحق

نزيد فوق الذى كنا ، ونصعد فى
أوج المعالى ، وبالامجاد نلتحق

والنصر للحسن الثانى وهمته ،
معيد صحرائنا ، والشمل متسق

قد ادهش الكون طرا بالقريحة فى
مسعاه ، وهو اللبيب لماهر الحذق

شتان ما بين يحمى السلام ومن
سلوكه الحقد والبغضاء والحنق

توحيد ترمتنا زلزال جارتنا
من اعتراها اعمى والبخط والحمق

والحق قد جندل ، الوالى ، وصاحبه
ورهطه : تلك اشلاء لهم ممزق

وانما فرحة ، تواقشوط ، فرحتنا
بالفوز والنصر ... للاعداء قد محقوا ! !

والقائد الحسن الثانى بأمته
امسى يباهى ، وقلب المعتدى فسق

من حده المصطفى صحت مناقبه ،
وراقنا جانباه : الخلق والخلق

أمست كراماته فى الكون شاهدة
أن المبرات للتوحيد منطلق

للبعث نظم اوراثيا وبعثة ،
فالناس بالعلم والتصنيع قد سبقوا

وفى مسيرته الخضراء ملحمة
قد بددت حلم من ضلوا ومن زهقوا

به العروبة والاسلام قد هتفا ؛
والعز توج بالامجاد من صدقوا

فلو سألت قلوب الشعب قاطبة
فالحب للعرش فيها النبض والرمق

كالذات للطل ، والانسان في بصر
عشق المليك بروح الشعب ملتصق

ملوكنا الشرفاء الغر كم عملوا
من اجلنا ، فهمو للفتق قد رتقوا

شموسهم من رسول الله ساطعة ،
ونورهم في سماء المجد مؤتلق

ما رامهم احد بالسوء من حسد
الا وأمسى بجند الله يندحق

و (الخامس) الغر لا تنسى مواثقه
فالشمس قد خجلت مذ ضمه الأفق

يا ساسي الفؤاد احاسيس الهوى فنرى
من الروائع ما يزهو به الورق

والشعب جدد الاستقلال خلته ،
اذ لم يلائمه ثوب ضيق خلق

طبع الرعية اخلاص لعاهلها
دوما ، فلم يك منها المارق المدق

ابطالنا الغر قد صانوا العهود ، فما
باعوا ضمائرهم ثمنا ولو شنقوا

اذ لا تنام على ضيم ، عزيمتنا
فوق الثريا ، براها الصيد والأرق

ان يدعنا (الحسن) للاوطار ثائرنا
تعنا سراعا كلنا في الوغى رشق

صان الاله مليكي في مهابته ،
فالجمع للناس بالمحبوب قد وثقوا

حماه عفو وغفران ومرحمة ،
وسطر (بانت سعاد) عنده نشق

(خطري) وبيعته ذكرى يخلدها
سلسامه والضمير الأبيض البقق

وليس ثمة امن للدخيل ، فقد
تخاذل اليوم مجرور ومرتزق

ولببسق فينا (ولي العهد) لؤلؤة
في عقد امتنا تسمو وتأتلق

أنعم به برعما في روض والده
يزكو ، وفي عرقه الخيرات تندفق

عيد أكبر .. وعيد أزهر

للشاعر الأستاذ محمد البوعناني

حمدت الله واخترت اليقينا ... وعيشت انتصار المسلمينا
واطلعت الكواكب من فؤادي ... وذوبت المآقي والجفونا
وبالقرآن توجت انتمائي ... وعطرت امتنان الاولينا
ولونت التحايا والتهاني ... وفجري ، والندى ، والياسمينا
وعززت القوافل بالقوافي ... فلا ترتاح عين الساهرينا
الى أن يملأ الآفاق نور ... تدفق من رسول العالمينا

محمد يا محبة كل جيل ... ويا شمس الهدى والمهتدينا
بذكرى يوم مولدك استنارت ... ولائمنا ، وغنى الذاكرونا
وسبح كل حي ، واستدارت ... يدانا كي تعانق أكرمينا
وأنت الحق أرسله الهي ... وتوجه أمير المرسلينا
وقلده الامانة فارتضاها ... وأداها لنا ... دنيا ودينا
وزود فعله فوزا ونصرا ... والهم سيره فتحا مبينا
وتم بدره في يوم بدر ... يثير شهادة المستبشرينا
وأعلى صوته يحمي المثاني ... وينفي الشك عنها والظنونا

فهز بيانه ايوان كسرى ... وروما واستقام على أثينا
وأكد في مساواة البرايا ... مراعاة احترام الآخرينا
نبي الله ، وجهك ما توارى ... وسبطك قائم بالحق فينا
ونحن لأهل بيتك أوفياء ... وما زلنا بهم متمسكينا
نطيعهم ببيعتنا دواما ... وداموا في تواضعهم ذوينا
وبالحسن المثنى نحن أولى ... وأقوى ، لن نهون ولن نخونا

مليكي — والمعالي لا تنادي ... سواك ، وكنت ساعدها المتينا
ونحن وراك لا ننسى الاعادي ... ولا نخشى ، لقينا ما لقينا
وفي الجولان كنا قلب جيش ... وكنا الصامدين بقلب سينا
نذود عن العروبة في تفان ... نموت فداءها نحمي السرينا
وللاسلام نفتح كل باب ... ونقضي ما يعين المصلحينا
وبالتجديد باريت الاماني ... وباركت استناد الاقدمينا
لعقبة في مساجدنا امتداد ... وقد صنت امتداد الفاتحينا
حجابك آية الكرسي وطه ... وأنت حجاب كل المبدعينا
افقت منابر الاسلام تدعو ... لوحدة أمنيات المسلمينا
وكنت ترى الدخيل بلا قناع ... يساومنا ... ويخفي ما يرينا
ترى الاطفال باقة اغنيات ... واسرائيل تلقمهم أنينا
وبيت القدس عار يرتجي ان ... يعيد له العرائس والبنينا
وفيك الله أودعه نداء ... سيصبح من أغاني اللاجئينا

مسيرتنا تحدت كل حرب ... وتهديد ، وحقد الحاسدينا
فكل يد ، بمصحفها سلاح ... وكل فم يرتله امينا
وفي صحرائنا صلت جموع ... تعزز بالملائك اجمعينا
غبار نجومنا لمس الفيافي ... فعرى كنزها الغالي الدفينا
على كثبانها ينساب ماء ... يحول الله بكسو الرمل طينا
تحول فوق خديها سمادا ... وشع يهديها قطرا هتونا
فأينع أقحوانا في الروابي ... وأخضر في صلافيها غصونا
وأعشاش البلابل في صحاها ... تفيق نخيلها والزيزفونا

كأن قراحها غمرات حب ... تدير على قواعلنا حنينا
يداعبها الغدير بضفتيه ... كأحنحه تضم الشارسنا
لتحتو السنبلات حنو أم ... يقبل زرعها عبا وتيبا
وبين خطاك تخضر الصحارى ... وتخبرى بالغمام الراحليسا

تألقت السنون وأنت فيها ... خلود . لا تحرفه الشؤونا
براعمه تعطر كل بيت ... تعرس في انتظار العاشقينا
فلا فترت تباريح الدوالي ... تفيح على موالدنا لحونا
وما رحل الربيع وكان يهفو ... ليبقى عند أطلسنا سجينا
وفي الأزمات والاعصار مهما ... نعاني الموج عندنا سابحينا
ولا ترضى محاباة البقايا ... وبالأولى وبالاسمى رضينا
وبالحسنى نواجه كل بغي ... وما ذعنا بأنا محسنونا
لان المسلم الطعان فينا ... ـ ولو أدمت خطاياه ـ اخونا
ولكن ، حينما يسطو ويطغى ... فان الله يأبى أن يهونا
وكنا القلب يوم بات قلوب ... من المغزى ، وكنا الخافقينا
كما كنا عيونا للدماجي ... وكل عيونا نفدي (العيونا)
وقبل أن نجرب مستحيلا ... يقدنا انتصار الملاحقينا
ولا حقد يقاسمنا الليالي ... ولا عار يساطرنا الحنينا
وان لنا سماوات وفيها ... نجوم لا يراها الناظرونا
نجوم في سواحلنا عذارى ... تغازل عند مسراها فنونا
لتبرزنا المواسم كل عام ... كراما ، مقبلين وبعرضينا

حفيد المصطفى ـ كرمت شعرى ... بمولده ، فكرمت الفنونا
فعيد أكبر للسابقينا ... وعيد زهر للمقتدينا
وما العيدان يجتمعان الا ... ليشرى شاء ربى ان نكونا
نجدد بيعة وجبت علينا ... وما اخترنا سواها طائعينا
ولم نرقص غرورا اذ رأينا ... ملوك العالمين يبايعونا
وفيك تبلورت فكر ورؤيا ... وأحلام الرجال الراشدينا
فللفلاح فجرت السواقي ... وللعمال أعليت الجبينا
واطلعت السدود قباب عز ... لاجيال ستقصف ما رونا

وأوليت السياحة مغريات ... وشيدت المنابر والسفينا
وعممت المدارس في البوادي ... وللطلاب كنت أبا حنونا
وكونت الاطارات اللواتي ... سترفع شأننا في الناس حينا
وملحمة الصناعة سطرتها ... أياد لن تقصر أو تلينا
دعاك الله يا ايمان جيل ... و أجيال معباة تليبنا
ويحفظ في ولي العهد عهدا ... قويا ، ولا يرى مستضعفينا
ويبقي الاطلس العالي اميرا ... على الدنيا تعمم بالسنينا
أمير المؤمنين ، وكل عام ... بخير — يا امير المؤمنينا

محمد البوعناني

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار . قال « لقد سألت عن عظيم ، وانه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » . ثم قال « الا أدلك على ابواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل » . ثم تلا « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » حتى بلغ « يعملون » . ثم قال « الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ؟ » قلت : بلى يارسول الله . قال : « رأس الامر الاسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد » ثم قال « الا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » قلت : بلى يارسول الله فأخذ بلسانه وقال « كف عليك هذا » قلت يانبي الله ، وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال ثكلتك امك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم — أو قال على مناخرهم — الا حصائد ألسنتهم ؟ » .

قصة قصيرة :

سفير

للأستاذ محمد بن أحمد الشامخ

استيقظ السفير الاندلسي ببلاد الدانمارك مبكرا ، وازاح الستائر عن الشرفات الكبرى بنفسه ، ومن خلال زجاجها الصقيل أطل على المروج الفسيحة ، التي لاحد لاتساعها ، والتي تشقها جداول مياه صافية ، لم يكن هناك سحاب للمعت تحت أشعة الشمس ، وتتخللها زهور مختلفة الالوان والاشكال ، وللحين صرت في نفسه مشاعر رقيقة وأحاسيس ممتعة ، ابتهاجا بهذه المناظر ، وعقد العزم مع نفسه بانه اذا تم التعارف مع هؤلاء القوم لينزلن كل يوم ، صباحا وضحى وزوالا ومساء وليلا للتمتع بهذا الجمال الطبيعي الفاتن . وتعجب من أن بلاد الاندلس ودعت الربيع منذ اسابيع عدة بينما القوم هنا ما زالو متمتعين بمناظره الخلابة ومحاسنه المتجلية في كل مكان .

وانقلب الى ناحية أخرى من حيث تنظف على أحسن حال ، وتعطر بعطور خاصة ، ثم سلم رأسه ولحيته لحلاقه الخاص ، يعتني بهما ويزينهما كما ينبغي ... وجاءته العريفة بعد بملابسه الفاخرة التي استصنعها من قبل ، وخصصها لمقابلة الملوك والخلفاء وسراة القوم الاعلين . ان الجميع في انتظاره ، فهذا يوم مقابلة أمبراطور الدانمارك)هوريك(ودخول حضرته السامية . وأقوام الروم والافرنج والجرمان ذوو فخامة في مجالسهم وقاعات عروشهم ، فلا بد اذا من اظهار فخامة الحضره الامية ، وبهاء الحضارة الاندلسية وفضائلها ومزاياها في هذا اللقاء بالمواقف والتصرفات والافعال والاقوال .

وهكذا ، عند ارتفاع شمس الضحى جاءت العربة الامبراطورية الفخمة ، تجرها الخيول المطهمة الثمانية ، يدل خارجها الرائع الفخم على ما في داخلها البادخ النفيس . وبعد هنيهة خرج السفير بتؤدة ، تتقدمه هيئة التشريفات الرسمية ، وتماشيه كوكبة الشرف التي أرسلها جلالة الامبراطور .

ورغم ما يظهر على السفير من هدوء ورصانة فان فكره كان مشغولا ، كما أن عينيه كانتا تتفحصان الاشياء جيدا ، وتربطها بالظروف والاحوال . لقد عرف أن بلاد الدانمارك تربط جنوبا بعدة أقطار ، من جهة الجنوب ، بلاد الجرمان ، وما يليها من بلاد الفرنسيج والقشتاليين ، وذكر له أن السكسونس قديما حملوا الى هذه البلاد ديانتهم ، وما يصحب هذه الديانة من فلسفات وأوهام وأحلام وأساليب حضارة ... ثم جاءت النصرانية تتعقب هذه الديانة الضالة وتحتل مراكزها

ملاحظة : رجح الاستاذ البحاثة محمد عبد الله عنان أن هذه السفارة كانت لبلاد الدانمارك ، وحولها تدور هذه الاقصوصة .

على هذا ، فتيارات الحضارة تضطرب هنا .. وتوقف عن التفكير متأملا في جمال الطرقات وهندسة البنايات الفخمة المتراصة على الجانبين ، وعاد يسر لنفسه قسما ، بأن يدخل الى هذه البلاد جوانب من الحضارة الاندلسية وفي جميع مظاهرها : في رقتها ، في لطفها في جاذبيتها ... فوق ذلك في نباهتها ، في فطنتها ، في احاسيسها الرقيقة ، في مشاعرها المرهفة ، وزاد يقول ، انما لنفسه فقط .

ساريهم ما هي الاندلس ، ما هو مستوى حضارتها الفكرية والفنية والجمالية والعمرانية كيف هي رياضنا ، وكيف مغارسنا ورودنا وأزهارنا ، وكيف هي قصورنا وحجراتها وحماماتها ومنتزهاتها ، وكيف ملابسنا وجواهرنا وحلينا وتحفنا ... لابد ان آتيهم بنماذج من كل ذلك ، لابين لهم حجرات اندلسية وحمامات أندلسية ... المهم هو ابراز الطابع وابراز مجال للمقابلة ، والمقارنة ، ليرى هؤلاء القوم ماذا يمكن أن تبدعه المخيلات الاندلسية الواسعة وما تصنعه الايدي الاندلسية الحاذقة ؟

وعاد يفكر جديا في مشكلة طارئة :

واخبره ان (البروطوكول) تقتضي الركوع والسجود المكلف بتنظيم كيفية الدخول على جلالة الامبراطور ، واخبره ان) البروطوكول (تقتضي الركوع والسجود بين يدي الامبراطور) هوريك (، ولكنه اخبره ان الركوع والسجود يعتبر عبادة في الديانة الاسلامية ، من حيث أن الركوع والسجود لايكون الا لله سبحانه وقال لهم ، تكفي انحاءة التقدير كما هو الحال بالاندلس !

دخل القصر ، وعند الوصول الى باب القاعة الكبرى التي يجلس فيها الامبراطور ، وجدهم قد وضعوا عارضة تمنعه من الدخول واقفا .. أفوجيء السفير ، ولكنه لم يستسلم للمفاجأة ، اذ جلس فورا على الارض ، وأخذ يدخل زاحفا ، ماذا قدمية نحو الامام ، ولما تجاوز الحاجز وقف ، وسار نحو مجلس الامبراطور بكل احترام ووقار ، والبسمة مطبوعة على شفتيه ، وباسطا راحتيه مقدما رسالة الامير ، سيد قرطبة وخليفة الاندلس الزاهرة .

قال الامبراطور للسفير ، بواسطة الترجمان ، وعلى وجهه ينطبع الاستياء :

ـ مالك والدخول علينا بهذه الكيفية التي دخلت علينا بها ... ؟

ـ كان لابد لي من الدخول الى المقام السامي ، فلو أن رجلي قيدتا لدخلت حابيا !

ـ لقد جرت عادة السفراء أن يتقيدوا بتعليمات أصحاب (البروتكول) ..

لقد بينت لمبعوث (البروتكول) ان الركوع والسجود عندنا لايكون الا في عبادة ، وأنا هنا جئت للاتصال بجلالة الامبراطور ، سيد البلاد وحاكمها السعيد ، لا للدخول في معبد .

وسكت الامبراطور ، وأخذ يتطلع الى مبعوث خليفة الاندلس ، فرآه حسن الهندام ، بهي الطلعة فواح العطر ، جميل الهندام .. بالاضافة الى أنه ثابت الفؤاد عزيز النفس

تضايق السفير (يحيى الغزال) بنظرات الامبراطور الفاحصة ، فانشغل عنها بأن أوما الى الحدم أن يتقدموا بالهدايا التي يحملونها ، وتناولها السفير واحدة واحدة ، وأخذ يقدمها له شارحا مزاياها وقيمتها .

خف قليلا استياء الامبراطور ، ومع ذلك التفت نحو الوزير الواقف بجانبه وقال له :

لقد أردنا أن نطاطيء رأسه لجلالتنا ، فكان أن واجهنا بنعله .. على كل حال يقتضي الموقف أن نؤجل هذا المشكل الى حين ...

أجاب الوزير :

ـ كما ترى ياصاحب الجلالة .

وعندئذ التفت الامبراطور الى السفير وقال :

ـ كيف هي الاندلس ؟ أما تزال غاضبة علينا ؟

ـ ما دام المهاجم قد برهن عن شجاعة ومقدرة ، وما دام الرد على الهجوم قد كان على مستوى الشجاعة والاقدام فلا محل للغضب !

ـ لقد كان السبب فيما وقع أن الاخبار جاءتنا تقول، بانكم تعتدون على النصارى المعاهدين المساكين ، فكان من الضروري أن نذهب بسفننا الى أرضكم لكف اذاكم عن المطلوبين .

ـ عموم سفنكم وجنودكم على بعض مدننا مثل قادس واشبيلية وغيرهما كان عنيفا ، قد نسمي هذا اعتداء بحق ، ولكنه نتيجة لاخبار كاذبة .

ـ أخبار كاذبة ؟

ـ اخبار كاذبة ياصاحب الجلالة الامبراطور لان هؤلاء النصارى المعاهدين هم اصحاب مناصب سامية في الدولة ، واصحاب تجارة ممتازة ، واصحاب دور ومساكن ورياض رائعة ، تفوق بكثير ما يسكنه بعض المواطنين الاخرين .

ـ قيل لنا انهم يعملون مقيدين في الحديد.

ـ لا يقيد بالحديد ويوضع في السجن الا من ارتكب جرما ، سواء أكان مسلما او نصرانيا او مجوسيا او يهوديا ، ما عدا اذا كان صاحب الجلالة الامبراطور يرى ان يعاقب البعض دون البعض.

ـ لا ، المجرم يعاقب كيفما كان اصله ودينه ... ماذا فعلتم باسرانا ؟

ـ قبل ان اجيبكم على سؤالكم اسمحوا ان أسالكم عن أسرانا ايضا ، فما جئت الا من اجل هذا الغرض، انكم ان وافقتم فستحمل أول سفينة تخرج من الاندلس كل اسراكم الى ديارهم ، اذا ، ما عليكم الا ان تفتحوا مذاكرة في الموضوع .

ـ نحن لا غرض لنا في أسرى أمم اخرى من الافضل ان يعودوا الى بلدهم واهلهم .

ـ ونحن كذلك ، واني أشكر جلالتكم على هذه المبادرة نحو التفاهم .

ـ مهلا ، اني افضل الاحتفاظ ببعض الفتيان والفتيات الموجودين بهذا القصر ، لقد اختبرناهم فكانوا على مستوى جيد من الحذق والمهارة .

ـ متى تحرروا من الاسر ، واصبحوا أسياد انفسهم فعندئذ نعرض عليهم الامر ، بواسطة سفير بلادهم ، ومتى قبلوا البقاء ، فيحسن ان يكون ذلك بواسطة اتفاقيات خاصة !

ـ بالمناسبة نحن ايضا نريد ان نستضيف بعض أسراكم بعد تحريرهم ، لانهم على مستوى طيب من الحرفة الحربية ، والقتال البحري .

ـ اتفاق باتفاق على ما يظهر !

ـ نعم يا مولاي .

وتطلع السفير الحاذق الى الامبراطور (هوريك) فوجده كهلا ضخم البطن ، عريض الاكتاف ، بعلوه شحوب ، ويثقل عينيه انتفاخ ، لعله من اثر الادمان على الشراب ، وكان الشعر الذي يعلوه تاج مرصع في لون (الكامون) مشوب بقليل من الشيب . اما الملابس فهي بطبيعة الحال فاخرة لا تقدر بثمن وتقف عند الركبة، من حيث تتكسى الرجلان بجوارب من المخمل الابيض ، ويغطي القدمين ما يشبه الخف من الصوف الممتاز الجيد الصنعة ، واليدان من جهتهما منتفختان من السمنة وترصعها جميعا خواتم ذات فصوص نادرة ، والابتسامة التي تكون جميلة وعذبة حتى عند ذوو الوجوه الصارمة ، يخيل للسفير انها منطفئة عند الامير ، ولا يدري احد كيف يعبر عن سروره ويظهر ان الابتهاج مهما تعاونت درجاته فانها يعتمل في صدره فقط ، ولا يكون له أي مظهر خارجي .

وكتعبير من الامبراطور عن تقديره واعجابه بالسفير وحذاقته ولباقته قام له عند الوداع، وطلب منه ان ياتي في المساء ليتناول معه طعام العشاء ، وليتسامر منه . وفعلا لبى السفير الاندلسي هذه الرغبة ، وجاء في لباس آخر ابيض ، بعدما تنظف مرة اخرى وتطيب ، ورجل شعره المسبط الاسود المرصع بالخيوط الفضية اللامعة ، ومنحته القيلولة، التي ارتاح فيها بعد الغذاء الشهي ، راحة في النفس، واعتدال في المزاج وسماحة في الوجه ، وصفاء تاما في العينين ، مما يجعله يشعر شعور المستيقظ لتوه لصباح جديد .

ولم يتخل عن حذقه وخبرته عند العودة، فقد اخذ معه بعض الطرائف والمقتنيات ، ووضعها باعتناء وتاثق في صناديقها العاجية او الزجاجية او الخشبية المزخرفة، وكلها من النوع الذي يثير الاعجاب وباخذ بالالباب ، اعجاب واهتمام صاحبة الجلالة الامبراطورة على الخصوص .

وصل الى باب القصر العظيم ، فاخذوه الى الداخل باجلال وتعظيم ، حتى قاعة خاصة ، مارا بروض بهيج ، منسق على غير الطريقة التى تنسق بها الرياض الاندلسية ، وكانت الارض مفروشة بالحصباء النظيفة ، ذات الالوان المختلفة ، وفى الممرات عن اليمين والشمال كانت تماثيل بديعة لنساء قائمات و قاعدات او منحنيات ، وكلها بالغة الروعة فى صنعتها ، كما كانت هناك نافورات يعلو ماؤها المنبجس نحو الفضاء ، فيرغم الابصار على تتبع علوه الى النهاية .

استقبله الحاجب الخاص للامبراطور وأخذه الى المجلس الفخم الرائع المدهش : المفروشات ثمينة جدا ونادرة ، جلها من الحرير والصوف دور الالوان الزاهية ، والسائر المسدلة هى ايضا من الحرير الملون المعجب الجذاب ، المكان فسيح جدا، تتوسطه عدة اساطين من المرمر ، رؤوسها من النحاس الاصفر المطعم بالذهب ، من حيث ينعكس عليها أنوار المصابيح العديدة المتدلية ، وكل ذلك يضفى على المكان بهاء وجلالا .

والابهى والاجمل من ذلك كله هو مجلس الامير ، لقد كان مستويا على اريكة واطئة فاخرة ، حواشيها من الذهب ، ومتكؤها ومقعدها من القطيفة الحمراء القانية ، وتحت الخدمين وسادة حريرية ، اندست فيها الرجلان ، ومن حول الامبراطور اريكتان ، لا تقلان كثيرا عن فخامة الاريكة الامبراطارية ، احداهما جلسه عليها الامبراطور بنفسه ، بعد الترحيب الجزيل ، وبمجرد جلوسه صفق بكفيه الاثنتين فجاء الحشم بمائدة فاخرة عامرة ، فكأنها نزلت من السماء ، بها قنينات متنوعة من الخمور المعتقة اصل بعضها من شمال الاندلس ، وأصل بعضها الآخر من جنوب بلاد الافرنج او من شمال انكلترا . وبجوار هذه القنينات صحائف فضية ، كلها عامرة بانواع من الفواكه ، فواكه ضخمة ناضرة طرية ، ومعها صحون ذهبية صغيرة مليئة بانواع غريبة من النقل والملحات.

قال الامبراطور عن طريق الترجمان :

ـ انى احدد ترحيبى بسفير مولاى الخليفة، فهات حدثنا عن بلادكم الاندلس ؟ كيف هى ؟

وكأنما فتح الامبراطور لمياه ثرة صافية ، اذ اخذ السفير يسرد ، وكان فى سرد هذا عارفا بما عليه ان يقول او يترك ، وكان هذا الذى يقوله دقيقا شاملا وجذابا ، بما يضفى عليه من اللمحات الذكية والنوادر العجيبة ، وكأنما شعر بأن الترجمان ليس فى مستوى هذه المهمة الفنية الدقيقة فطلب أن يأتوه بترجمانة بارعة ، زارته فى مقره عند وصوله .

وبكل ما تملك الفتاة من عزة قومية وفخار وطنى أخذت تترجم ما يقال لها ، مضيفة على الترجمة من ذاتها وروحها وعواطفها الفياضة . وفجأة انحبس الكلام فى فم السفير !

لقد طلعت على المجلس جلالة الملكة (نود) طلعت كما تطلع شمس الصباح مشرقة بهية آخذة بالابصار ومجامع القلوب : قوام فاره ، معتدل ممشوق وبشرة بيضاء زاهرة ، مشربة باللون الوردى ، ووجه مستدير فتان ، حواجبه رقيقة فى لون شعر الراس الاشهل ، وعيون متسعة خضراء، وخدود ناعمة عامرة، وانف دقيق جميل ، وثغر بديع ثنيتاه متراكبتان قليلا ، وهما كباقى الاسنان فى بياض مشرق ، كلما افترت الشفتان عنهما .. واذا كان هذا الوجه وذاك القوام هما اللذان شدا بصر السفير فى ذلك الدخول المباغت ، فان هناك محاسن أخرى سيكتشفها الرجل النبيه كلما جالسته وحادثته ، خصوصا وأنها كما ذكر له تتقن اللغة البيزنطية التى يعرفها :
الفضولى الى الاميرة الجميلة ، ولكنه ذاب من خجل السفير من نفسه وهو يتطلع هذا التطلع الدهشة حين خاطبه الامبراطور :

ـ كيف وجدت زوجتى صاحبة الجلالة ؟ انها حسناء بارعة الحسن ـ كما ترى ـ وفتانة وتخلب العقول ، وانى لأعرف من خصالها ومفاتنها ما يعجبك ويدهشك اذا ما عرفته .

ـ اهنىء صاحب الجلالة بهذه الدرة النادرة والحورية الفريدة فى الدنيا . ان حسنها لو وزع على غيد العالم لكفى كل غادة منهن النصيب الذى ينوبها. والتفت الى صاحبة الجلالة وترجم لها بالبيزنطية ما قاله بالعربية للترجمانة :

اطلقت الملكة أغرودة ـ لا ضحكة ـ من فمها اعجابا وتيها بهذا المدح النادر ، الذي لم تسمع مثله فى حياتها، ومدتها كفا رخصة ، لا ابدع منها ولا اروع، فلم يسعه الا ان يتناولها بكفيه الاثنتين ويضعهما

تحت شفتيه ، في التعظيم ، كما جرت العادة عنـد القوم !

ومن هنا ، توجهت الى الاريكة الفارغة المخصصة لها واستوت جالسة ، وتولت القهرمانة تسويـة ملابسها ومعالجة وضعية حليهـا ، ثـم انسحبـت ، واستأذنت الترجمانة بالانصراف ، فالملكة اصبح في امكانها ، أن تفهم عن الزائر باللغة البيزنطية ، وأن تنقل الحديث باللغة الوطنيـة الى صاحـب الجلالـة الامبراطور وبالعكس .

انكب الامير على قنيناته متذوقا من هذه وتلك ، بينما اكتفى الزائر بتناول من هذه الفاكهة او تلك ، كلما قطعت الاميرة الحديث وأتحفته بشيء من ذلك. وتفطن السفير ـ دون ان يقول ـ الـى ان الفاكهـة رغم ضخامتها ونضجها ليسـت في مستـوى حـلاوة فاكهة الاندلس ، البالغة الحد في لذتها وحلاوتها . . ان في الامر لسرا ، وتشاغل عن التعمق في المسالة بقضم خوخة أمدته بها الاميرة بعد تقشيرها بإناقة ، واغتنمتها فرصة فتطلعت الى السفير الجديد :

كان رجلا تا م الرجولة ، يصطبغ محياه بملاحة من جراء تلويحات حرارة الشمس في الاندلس واشعاعها، وتحيط به لحية سوداء ، موخوطة بالقليل من الشيب، وان كان الشيب في الفودين أظهر وأكثر ، والعينان سوداوان اشبه ما تكونان بعينى ظبى فتى ، ولو ان الرجل في سن الكوهلة العالية ، ولفت نظرهـا ان اصابع هذا الرجل مسبوكة ورشيقة ، فهل هناك من رابطة بين القوم وأصابع اليد ؟ وخيـل اليها انهـا اصابع حامل قلم ، شاعر او ناثر ، أو مبدعهما معا. ولذلك سألته :

ـ يداك نظيفة ، وأصابعك رشيقة ، بمـا تشغـل نفسك وقت الفراغ ؟

ـ اشغل نفسي ـ يامولاتي ـ بمجالسة الحسان ، وقول الشعر الرقيق فيهن ، كلما هاجت النفس وتاق القلب ..

ـ النساء يلهمنك الشعر على مـا فهمـت ، فهـل تليمهن انت بدورك ؟

ـ النساء عادة لا يقلن شيئا عـن مشاعرهـن ، لا بالكتابة ولا بالحديث الا القليلات ، وأنا شخصيا لا احرجهن بالسؤال، يكفيني ما تحدثني به العيون .

ـ ماذا تقول لك العيون ؟

ـ ماذا تقوله العيون لا يمكن التعبير عنه باللسان، انما يعمل عمله في الداخل ، وأين لنا الوصول الى الداخل ؟

ـ سحرتني ايها الشاعر الغزال !

ـ أعني، تنفسي .. أعنتها بحرارة ،

لم يسأل الامبراطور عما يروح بينهما ، فلقد كان في انسجام مع الكؤوس ، يأخذ الواحدة بعد الاخرى، وكان له صمود عجيب امام طغيان النشوة . بينمـا اكتفت الاميرة من هذه الكؤوس بواحـدة ، وهـذه الواحدة فعلت فعلها ، فثور الخـدود زاد اشتعـالا ، والعيون شابتها شائبة من الاحمرار فناعت روعتها ، وعندئذ اقبلت عليه بحديث لم يكن يتوقعه منها :

ـ ماهي المهمة التي كلفك بها أميرك المبجـل ؟ خبرني، ان بيدي الحل والعقد بالقدر الذي لا تظنه.. أعرف أننا ارتكبنا في حقكـم اذايـة بالغـة ، لقـد هاجمناكم وقتلنا وخربنا، وأخذنا الاسارى والاسيرات، وهذا اعتداء ، لو استمع الامبراطور لرأيي ما وقـع ولكنه خضع لافكار الكهان والعسكريين ، بعد ما جاء مبعوثون من شمال اسبانيـا ، واشتكـوا اليه سـوء المعاملة التي يلقاها النصارى المعاهدون ببلادكـم ، الشيء الذي تبين لي انه كـذب ويهـتان بعد مجـيء الاسارى والاسيرات . صدقني انني اقدر شجاعتكـم وخطة ردكم على الهجومات ، من حيث عدتم الحبل للمهاجمين حتى توغلوا ثم ضربتموهم الضربة الرادعة، هذا حقكم ، ولكن ثقوا ان هذا الاعتداء لـن يتكـرر ابدا ، خصوصا بعد مجيء سفير منكم، وقف المواقف العجيبة ، وحاور الحوار الذكي .. ان الامبراطور يقي طول الوقت يردد اجوبتكم ، وقد امر الكتاب الخبراء أن يسجلوا الحوار ، ويطلعوه عليه ، ليحفظ بعد ذلك في الخزانة الكبرى .

ـ لم يبـق لي ـ يا مولاتـي ـ ما اقـول، انـك تعرفين كل شيء ، وسبحان من جمع الحكمة والجمال في امرأة ! لقد تصرفت تصرف اميرة نبيلة حازمة ، ولا يفعل الجميل الا الجميل ! مولاتي العزيزة ، انني أستأذن في الرجوع الى دار الضيافة . قولـي هـذا لصاحب الجلالة .

ـ ولماذا أقول له ؟ لقد سرح مع أوهام وشياطين الخمرة ! اسمع ، أرجوك ان تعود غدا ، بل اريد ان نجيء كل يوم مساء ، من حيث نسامر ونتكاشف حول النفس والناس ، أريد أن أعرفك بنفسي، وأن تعرفني بنفسك، أريد أن أقول الكثير عن هذا القصر، وعن أفراد الحاشية وعن عقلية قومي جميعا ، بالجملة، هناك أشياء كثيرة يمكن أن نملأ بها وقتنا ..

ود السفير، لو يقوم ويرتمي في أحضان هذه الفاتنة ، شاكرا حامدا ، منوها بهذا النجاح الذي حققه ولما يكتمل عيّ لقائه بها وبالامبراطور يوم كامل ، حتى انه لو انقلب الى (الخليفة) الماجد من يومه هذا لكانت سفارته ناجحة .. لكن من يا ترى يقدر ان يفارق هذا الجمال وهذا البهاء وهذه النحفة الأنثوية الرائعة ، انه لا يستطيع ذلك ، ولكنه لمراعاته ودهائه ، ضغط على نفسه وقال :

ـ مولاتي لن آتي الا بعد ثلاثة أيام .. هناك أشغال مهمة تنتظرني ، على أن أعد مراسلة وافية لمولاي الخليفة ، وسأذكر له انك يا مولاتي كنت السبب في نجاح مهمتي، وأنا لا أشك في انه سيبعث اليك بمزيد من الهدايا والتحف النادرة وعنده منها الكثير .

ـ المهم أنك ستغيب ثلاثة أيام وهذا كثير علي، اني أقول لك ما هو ثابت في قلبي .

ود السفير ان يرد على أقوالها بما يعتلج في قلبه الرهيف ، المشحون بالمشاعر، ولكنه فضل السكوت وكظم ما بالنفس ، انما ترك لاقوالها الثمينة منفذا لتتسرب الى الاعماق ، اعماق النفس ، ولو ان هذه النفس عاشت من انواع الحسن وألوان البهاء ، أيام الفتوة والشباب ، ويواكر الكهولة .. واليوم تأتي هذه الحورية في سنين الكهولة العليا ، لتخز الجرح، وتضعضع الكيان ، وتزعج الجفون وتشرد الخيال... كان الله في العون .

وعاد فقال بلغة بيزنطية هامسا :

ـ مولاتي ، لقد طال الحديث بيننا ، وتحلت دلائل الموافقة والمؤانسة، وأخشى أن يغضب صاحب الجلالة الامبراطور ، وقد يؤدي الامر الى منعي من مقابلتك السعيدة مرة اخرى ..

ـ آه فهمت ! لقد حكت لي الوصيفات عن غيرتكم على النساء ، وعن غضبكم لو كشفت احداهن عن أصابعها لرجل آخر .. لا ، لا ، يايحيى ، هذا غير موجود عندنا ، كل امرأة تحدث من تشاء ، وتناجي من تشاء ، ولو ادى الامر الى ما أدى ... وعلى هذا سأقبلك قبلة حارة أمامه عند خروجك ، ولن يتحرك عنده ساكن ! وكذلك كان... مما جعل السفير يقع في حرج ويشعر بشيء من الانزعاج .

غاب يحيى ثلاثة أيام بالفعل ، وبالتمام والكمال ، وفي الليلة الرابعة جاء مبعوث من الامبراطور (هوريك) والامبراطورة (ثيودورا) يدعوانه الليلة بالقصر الامبراطوري ، وأعلمه أنه سيكون بمصاحبته في الحال ، وكانت العربة الملكية في انتظاره، فاحتوته في رفعة واعتناء، وهو في جميل لباسه وأرتع حلله، وفواح عطره ، تعطر من جانبيه الطيارة ، ويتضوع المسك ويلمع السناء ...

كان في استقباله الاميرة نفسها ، ولاحظ اول ما لاحظ بعض التغير في محياها، انها ناقمة عليه عيابه عنها ثلاثة أيام كاملة ، بأنهارها ولياليها ، وأصباحها وأماسيها .. لم يكن في امكانها وهي الطيبة القلب ان تعصي في غضبها ، ولم يشعر الا وهي ترتمي في احضانه متلهفة !

وثار عجبه وهو يرى نفس التأثر واللهفة من الامير عندما قام بعد ذلك .

وأدهشهما ان عند هذا السفير الحاذق دائما احدى المفاجآت ، لقد جاء مصحوبا بطعام العشاء من مقر اقامة سكناه مطبوخا ومعدا على الطريقة الاندلسية.. وأقبل الامبراطور على الطعام اقبال رجل جائع ، لم يذق في حياته طعاما ، كما اقبلت الملكة بدورها غير مبالية بما تفرضه عليها رشاقتها من حمية واعتدال ، وصاحت معجبة :

ـ كم هذا لذيذ، ان حديثكم لذيذ، وطعامكم لذيذ، وشرابكم لذيذ ، لم يبق لي الا أن اتذوق شعركم ... ومن أجل هذا سأتعلم اللغة العربية ، لكم يعجبني الحديث بها فيما بينكم ... قل هل شعرك لذيذ مثل طعامك يايحيى ؟

ـ وحياة جمالك يا مولاتي ، ليس في ارض الاندلس شعر ألذ من شعري .

قال الامبراطور (هوريك) :

ـ لقد دوختنا يايحيى ، وذهبت بعقلها ، تصور انه طيلة الثلاثة أيام التى غبت فيها عنا وهى لا تتحدث الا عنك ..

قال يحيى :

تقديرها نابع من تقديرك يا مولاى ، فلولا عطفك الشامل واعتزازك الكبير لما قالت فى كل كلمه خيرا

وعقب الامير :

ـ لقد قاومتنى باسمك ، ووضعت الشروط الملائمة لك ، وحددت المبادرات التى علينا ان نقوم بها لمحو آثار الماضى ، وتدارست المواد التى يمكن ان نتبادلها ، لقد كانت فى صفكم على طول الخط.. سفير ، وأى سفير ! خذ نص الاتفاقية ، واعط فيها وجهة نظرك !

ـ والله يا مولاى ، ما نجاحى الا من تجاوب اناس طيبين ساعدنى الحظ بمعاشرتهم ، والا كنت كمن يصيح فى بئر عميق مهجور . على كل حال ، فانكم ان عاشرتمونا فسنعاشرون قوما يقدرون الشهامة والرجولة ، وبهم استعداد لتبادل خبرات الحضارة... انه بفضل تعاطفكم وعنايتكم ساستدعى العرفاء والصناع ، ليبنوا لصاحب الجلالة الامبراطور وصاحبة الجلالة الامبراطورة جناحا اندلسيا فخما يروحان فيه عن النفس بين الحين والحين، وخصوصا وان الفنيين سيخصصون بكامل عنايتهم سواء من حيث الفرش او الاثاث او المقتنيات ، وكلها من الابداع الاندلسى الخالص . سيأتى مطربونا ومطرباتنا ورقصاتنا والقائمون بادوار السخريه والضحك... وفى نطاق التبادل ، يمكن ان يأتى اليكم خبراؤنا فى الفلاحة والبستنة وتصريف المياه والحساب والتنجيم وتقويم البلدان .. كما يذهب خبراؤكم الى بلادنا .

قالت الامبراطورة :

ـ سمعت عن شىء يسمى (الحمام) .

ـ ان كانت لكم رغبة فاستدعى عرفاء مختصين فى بناء الحمامات ، وسيكون من متع هذا القصر المنيف .

قال الامبراطور :

ـ وما هو الحمام ؟

ـ الحمام ـ يامولاى ـ عبارة عن ثلاث حجرات ، تؤدى احداها الى الاخرى ، والحجرة الداخلية قائمة بالصنعة الدقيقة فوق فرن مشتعل ، ولذلك فهى ساخنة ، ومن القدر العظيمة المثبتة فى الجدار الداخلى والمليئة بالماء الساخن، يصعد بخار ساخن ايضا يملأ تلك الحجرة ، ويتسرب منه الى الحجرة الثانية ، ثم يملأ اقل من ذلك الحجرة الثالثة ... والمغتسل يمكنه أن يلازم الحجرة الداخلية الساخنة جدا، واذا ما شعر بالعياء يمكنه أن يتنقل الى الحجرة الوسطى ، واذا ما اشتد به الحر كذلك يمكنه ان ينتقل الى الحجرة الاولى ... وان الخارج من الحمام ليبرز نظيفا بكل معنى الكلمة ، سواء فى شعره او فى ظاهر جسده ، زيادة على أن العياء يذهب تماما.

قالت الامبراطورة، وكيف تخرج المرأة من الحمام؟

ـ انها تخرج فاتنة كاشد ما تكون الفتنة يامولاتى، خصوصا بعد أن يدلن جسمها بالمسك أو نحوه بالماء الممزوج بماء الورد او الزهر او الياسمين .

قيل ان هناك اشياء أخرى تفعلونها فى الحمام ؟

ـ نعم يا مولاتى عندنا (أعمال الفطرة) ، فنحن نقلم اظفارنا ، أظفار أيدينا وارجلنا ، ونحلق بعض شعر جسمنا ، منعا للاذاية التى يتسبب فيها العرق!

ومالت الامبراطورة الى أذن الامبراطور وقالت له شيئا فى السر بلغة وطنها ، فانفجر ضاحكا الى حد فقد معه اتزانه وكاد يسقط على الارض ..

تفطن يحيى لما راج فعلق بلغة بيزنطية :

ـ لو تعلمون فائده هذا الشىء الذى تضحكون منه ..

قال الامبراطور :

ـ كلكم طرائف يا أهل الاندلس .

ـ لا يا مولاى ، انها ليست افعال الاندلسيين وحدهم ، وانما هى افعال المسلمين المتطهرين حيثما كانوا ! ..

ـ ومن هم المسلمون ؟ انى لا أعرفهم... هل يعبدون النار المقدسة ؟

ـ اذا كانت النار مقدسة يا مولاى فان الماء أكثر قداسة منها انظروا : (وصب كوبا من الماء على أقرب موقد اليه فانطفات النار) ها قد مات المعبود اذا كان هو النار !

ـ اذا ، فالماء ـ فى نظركم هو المعبود ؟

ـ ولا هذا ! (واخذ آنية وضع فيها قليلا من الماء ثم حطها فوق موقد آخر فغلت ، وبعد وقت قصير ، واستمر غليانها حتى جف الماء) واذا كان المعبود هو الماء فها هو قد مات ايضا ؟

ـ فمن هو المعبود عندكم يانرى ؟

ـ معبودنا هو الذى خلق السماء ، وخلق النار ، وخلق جميع الكائنات الاخرى ...

الى هنا وجد الامبراطور نفسه عاجزا عن المناقشة، وخطرت ببالة المشاكل القائمة بين المسيحيين وعبدة النار من رعيته .. ولذلك فضل اقفال المناقشة فى الموضوع ، وتملص من الموضوع قائلا :

ـ لندع هذا الموضوع الى جلسة اخرى خاصة.. سر مع (نود) ، انها تريد ان تريك أجنحة القصر كلها، قاعات الجلوس ، وقاعات النوم وغيرها ... وفعلا طاف السفير يحيى على اجنحة القصر كلها ، وعجب لما فيها من روائع التاثيث ، ونوادر التحف والطرائف والمقتنيات التى لا تقدر بثمن ، وعند حجرة نومها الخاصة قالت :

ـ هذا حجرة نومى الخاصة ، وهى حجرة أفرغ فيها صناعنا وفنانونا كل ما يملكون من مواهب ومقدرة .

ـ أنت اهل لها يا مولاتى ، بل انى أراها دون مستوى ما وهبك الخالق المعبود من محاسن وعفاتن متعك الله بالصحة حتى تبقين هكذا منشرحة النفس مرتاحة البال ، ذكية الفؤاد..

ومضى السفير يقول :

ـ مولاتى ، ان وقت نرمى قد حان ، ومع ذلك على ان اسهر لاعد مراسلاتى لمولاى الخليفة ولاعد المصنيعات لبناء الجناح الاندلسى ، والحمام الاندلسى والطبخ الاندلسى ...

ـ لكم انت متعجل يايحيى ؟

ـ نعم متعجل لارضاء رغبات اهل هذا القصر الكرام. فالسفير ـ كما تعلمين ـ ليس مقيما الى الابد ، فهو يوميا ينتظر مراسلة ما ، أن يبقى ، أو ينتقل ، أو أن يقفل راجعا الى بلده .

ـ لا اسمعنى الله المعبود يوم انتقالك ولا يوم رجوعك .

ـ ولا اسمعنى الله هذا ايضا ... بلغى تحيات المساء الى الامبراطور.

ـ لقد ذهب الى مخدعه الخاص ، وهو يبعد من هنا مسافة . ومن المعتاد الا أراه الا فى الغد عند الضحى ، أراه غير محلق ولا انيق ولا معطر.. ان لسكر يصيبه منهدا ..

وقطع السفير الحديث عند هذا الحد ، ومد يده وتناول يديها الكريمتين البديعتين وأودعهما قبلة حارة ... وانقلب راجعا الى بيته . وفى سره يقول : (والله لأدخلن هذا القصر دائما وأنتم مشتاقون الى، ولاخرجن منه وانتم مشتاقون الى ايضا ، ان مهمتى هنا أعظم مما تظنين يانود) . غادرها تاركا فى نفسها مشاعر الاسف ، ولذلك بقيت تتبعه بلفتة، مشدودة الى القوام المتناسق والمشية الواثقة ، والرأس المرفوع المعتز .

وما ان وصل الى الباب حتى التحق به خادمها الخاص وقال :

ـ مولاتى تذكرك بان دروس لغتك العربية يجب أن تبدأ عاجلا .

وقبل ان ينام وضع مراسلة أخرى للخليفة الجليل، ووضع برنامجا لتعليم الاميرة الشغوف باللغة العربية كما وضع الخطوط العامة للبنايات المقبلة ، وانقلب الى فراشه تملأ راسه الخواطر وتتضارب الآمال والاحلام ، وعقد العزم على ان يتخذ جارية يتسرى بها ويقى نفسه من المزالق ، على ان يبقى حبل المودة مربوطا بمتانة مع اهل القصر .

واستجاب الخليفة فورا لمقترحات السفير يحيى ، فبعث سفينة أندلسية ضخمة مشحونة بجميع الاسرى، ومعهم مجموعة من خيرة البنائين والفسيفسائيين والنجارين والحدادين ومعهم فى خزائن السفينة ما

يلزم من المواد التي تتوفر في بلاد الاندلس ولا تتوفر في بلاد الدنمارك ، وللفور شرع في البناء..

وما مضت شهور حتى كان الجناح قائما في روعة وبهاء ، وتتبع الامير والاميرة أخبار بنائه باستمرار، وكلهما لهفة على يوم التدشين ، كما اقيم الحمام انيقاباذخا وتهيا لاستقبال ربة القصر التي كانت تعد الايام لتدخل اليه ، منتظرة ولا شك ان تخرج منه وقد زادت فتنة على فتنة ، وبهاء على بهاء...

وبانتهاء عشرين شهرا انتهت كل المشاكل، وحصل التفاهم تاما بين العرش الاندلسي والعرش الدانماركي وبذلك ملأ الرضى كل القوسين ، وفي هذا الظرف جاءت الرسالة الآتية من الخليفة الجليل المقيم بقرطبة :

«سفيرنا الارضي ، وميعوثنا الاحظى ، الاديب البارع ، صاحب الذكاء الواسع والحذق الساطع . أمنك الله والسلام عليك ورحمة الله . وبعد :

لقد وفيت بالمهمة العظمى ، واديت الامانة الكبرى وحان ان تعود الى قرطبة عاصمة الديار ، ومستقر الاوطار ، لنستعين برايك ، ونهتدي بارشادك. والله ولي نعمتك وتوفيقك».

هاجت العواطف ، واضطربت النفوس ، وفارت الدموع ، وعم الاسى جميع الاوساط لمغادرة السفير الاندلسي البارع ارض النورماندين . واقتضت العلاقة العلاقة المتينة ان يقيم لامبراطور وليمة وداع فاخرة، وكانت وليمة فاخرة باذخة ، من الولائم المعدودة التي اقيمت بقصر الامبراطور ، ولم تحضرها الامبراطورة لانحراف شديد طرأ على صحتها .

الرباط — محمد بن احمد اشماعو

● قال الفيلسوف الروسي العظيم (تولستوي) في كلمات له عن الالحاد والايمان :

« لقد نبذت العقائد الدينية في اول الامر ووجدتها عديمة المعنى ، ثم قبلتها الآن ولقيتها مليئة بالمعاني ، ذلك لانني كنت مخطئا ، وأدركت سبب الخطأ ، وهذا السبب ليس ناشئا من تفكيري السيء فحسب ، بل لانني عشت في بيئة سيئة وذلك اشد السببين خطأ .

(ما الحياة وما الموت ؟ انني لا اعيش اذا فقدت العقيدة في وجود الله ، ولولا انني كنت اتعلق بأمل غامض في وجود الله لقتلت نفسي من زمان بعيد .

(انني احيا — واحيا حقيقة — حينما احس به وأبحث عنه فقط ، ويصيح من داخلي صوت يقول : عن اي شيء تبحث بعد هذا ؟ هذا هو ، انه ذلك الذي لا يستطيع المرء بدونه ان يعيش ، انه الله ، وعندما اعتقدت في وجود الله اعتقدت في الكمال الخلقي ، وفي التقاليد التي تحمل معنى الحياة) .

من توصيات المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي

انعقد في مكة المكرمة المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي في الفترة ما بين 12 الى 20 ربيع الثاني عام 1397 هـ الموافق 31 مارس الى 8 ابريل 1977 م ، تحت اشراف جامعة الملك عبد العزيز .

وتقديرا من المؤتمر لما للتربية والتعليم من اهمية بالغة في حياة الامم ، واحساسا منه بعظم المسؤولية الملقاة على كاهل علماء المسلمين وقادة الفكر والعاملين في حقل التربية والتعليم في دعم التضامن الاسلامي وخدمة قضايا العالم الاسلامي ، ودعوته الى الالتزام الكامل بالاسلام والتطبيق الصحيح لشريعته في كافة مجالات الحياة ، وادراكا منه بان الاوضاع القائمة في المؤسسات التربوية والتعليمية الحالية في معظم بلاد العالم الاسلامي لا تمثل الصورة الاسلامية الصحيحة ، ولا تقوم بدورها الواجب في تنشئة الاجيال على هدى الاسلام عبادة وتصورا وسلوكا ، بالاضافة الى ما دخل في التعليم من افكار وتطورات مناقضة للدين ومعادية له ، قد عقد عدة اجتماعات في الفترة المذكورة حضرها 313 عضوا يمثلون 40 بلدا وقدم له 150 بحثا الى جانب الدراسات التي اجريت عن حالة التعليم في البلدان الاسلامية المختلفة ، وقد انتهى المؤتمر الى تحديد المفاهيم والتصورات واصدار مجموعة توصيات هامة ندرج بعضا منها فيما يلي :

اولا : المفاهيم والتصورات والاهداف :

ان هدف التعليم الاسلامي هو تنشئة الانسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته ، ويعمر الارض وفق شريعته ويسخرها لخدمة العقيدة وفق منهجه .

ومفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع شامل لا يقتصر على اداء الشعائر التعبدية فحسب بل يشمل نشاط الانسان كله من اعتقاد وفكر وشعور وتصور وعمل مادام الانسان يتوجه بهذا النشاط الى الله ويلتزم فيه شرعه ، ويسير على منهجه تحقيقا لقوله سبحانه : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » ، وقوله سبحانه : « **قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له** » .

وعلى ذلك فان عمارة الارض وتسخير ما اودع الله فيها من ثروات وطاقات وابتغاء ما بثه على ظهرها من ارزاق ، وما يلزم لذلك من التعرف على سنن الله في الكون ، والعلم بخواص المادة ، وطرق الاستفادة منه في خدمة العقيدة ونشر حقائق الاسلام ، وتحقيق الخير والفلاح للناس ، كل ذلك يعد عبادة يتقرب بها العلماء والباحثون الى الله ، وطاعة يثاب عليها الناظرون في الكون والمكتشفون للقوانين التي تربط بين اجزائه ، والمستنبطون اوسائل تسخيرها لخير الناس ومنفعتهم . واذا كان الامر على هذه الصورة في المفهوم الاسلامي للعبادة وكان هدف التعليم في نظر الاسلام هو تنشئة ذلك الانسان العابد لله على المعنى الشامل للعبادة ، فيجب ان يحقق التعليم امرين : احدهما يعرف الانسان بربه ليعبده اعتقادا بوحدانيته واداء لشعائر عبادته ، وتطبيقا لشريعته والتزاما لمنهجه ، والثاني بسنن الله في الكون ليعبده بعمارة الارض والمشي في مناكبها وتسخير كل ما خلق الله فيها لحماية العقيدة ، والتمكين لدينه في الارض امتثالا لقوله تعالى : « **هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها** » .

وهكذا تلتقي علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس والاجتماع الخ . في انها كلها علوم اسلامية ما دامت داخل الاطار الاسلامي ومتفقة مع تصوره ومفهومه ، ملتزمة باحكامه وتعاليمه ، وكلها مطلوب بقدر للمسلم العادي ، ومطلوب على مستوى التخصص لفتيان الامة ومجتهديها وعلمائها . ولا حد ولا قيود على العلم في التصور الاسلامي ، سواء النظري منه او التجريبي والتطبيقي الا قيدا واحدا يتصل بالغايات والمقاصد من ناحية ، وبالنتائج الواقعية من ناحية اخرى . فالعلم في الاسلام عبادة يتقرب بها الانسان الى الله واداة لصلاح في الارض ، فلا ينبغي ان يستخدم في افساد العقيدة والاخلاق ، كما لا يجوز ان يكون اداة ضرر وفساد وبغي وعدوان . ومن ثم فكل ما يصادم العقيدة

الاسلامية او لا يخدم اهدافها ومقتضياتها ، فهو مرفوض في المنهج الاسلامي .

وان كل نظام تعليمي يحمل في طياته فلسفة معينة منبثقة من تصور معين ولا يمكن فصل اي نظام تعليمي عن فلسفته المصاحبة له ، ومن ثم فانه لا يجوز ان تتخذ فلسفة او سياسة تعليمية وتربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الاسلامي ، وهو ما يحدث الآن حين الاخذ بالنظم غير الاسلامية لانها في النهاية تصادم التصور الاسلامي وتناقضه ، وفي الوقت ذاته فان للاسلام تصورا عاما شاملا تنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها .

لذا فان نظام التعليم الاسلامي يجب ان يقوم على اساس هذا التصور الخاص المتميز . اما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منها في التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه .

ومصادر المعرفة في التصور الاسلامي نوعان :

اولهما : الوحي في الجوانب التي يعلم الله سبحانه وتعالى ان الانسان لا يهتدي فيها الى الحق من تلقاء نفسه ، والتي لا تستقيم فيها الحياة على وجهها السليم الا بمقررات ثابتة من عند الله المحيط بكل شيء علما .

ثانيهما : العقل البشري وادواته في تفاعله مع الكون المادي نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا في الامور التي تركها الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقل وتجاربه بشرط واحد هو الالتزام التام فيها بالاصول العامة الواردة في شريعة الله المنزلة بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ، ولا تؤدي الى الشر والضرر والفساد في الارض .

ثالثا : انطلاقا من هذه التصورات وتلك المفاهيم فان المؤتمر يوصي بما يأتي :

(1) يرى المؤتمر أن التربية هي رعاية نمو الانسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية واللغوية والوجدانية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها الى الكمال وغاية التربية الاسلامية هي تحقيق العبودية الخالصة لله في حياة الانسان على مستوى الفرد والجماعة والانسانية وقيام الانسان بمهمته المختلفة لعمارة الكون وفق الشريعة الالهية .

(2) الاهتمام عند وضع المناهج الدينية وتاليف كتبها بالعقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومراعاة اشتمال هذه الكتب على ابراز آيات الله في مخلوقاته ، ومعجزات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رد الشبهات التي يروجها اعداء الاسلام .

(3) من اجل ان تحقق التربية غايتها واهدافها يوصي المؤتمر تصنيف العلوم الى نوعين :

ا ـ العلوم القائمة على الوحي المتمثلة في علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها ، مع ملاحظة اللغة العربية التي هي مفتاح فهم القرآن والسنة .

ب ـ العلوم الاخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب ، وعلوم الاداب والاجتماع والتربية وما الى ذلك من المعارف المكتسبة .

(4) العناية التامة بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما ، باعتبار ذلك اللبنة الاولى في تكوين عقيدة المسلم واخلاقه وافكاره وتصوراته ، وبالنظر الى ضآلة ما يحفظ الطلاب المعاصرون من كتاب الله الكريم في جميع مراحل الدراسة ، حتى انهم ليتخرجون في المرحلة الجامعية ـ وخاصة في الكليات العلمية والعملية ـ وهم لا يكادون يحسنون تلاوة سورة من القرآن او حفظها او قراءتها .

ويوصي المؤتمر في هذا الشأن بضرورة التوسيع في قراءة القرآن وحفظه ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجي في التفسير والفهم في المراحل المتأخرة بحيث يخرج الطالب من دراسته الثانوية وقد حفظ بضعة اجزاء من القرآن على الاقل وفهم معانيها العامة ، كما يوصي بالاكثار من مدارس تحفيظ القرآن الكريم للصبية والفتيات في العالم الاسلامي كما ينبغي توجيه العناية بالحديث الشريف في جميع مراحل التعليم حفظا وفهما .

5) الاهتمام بالعلوم الاسلامية وزيادة دروسها والعناية بكيفية تدريسها بما يضفى عليها طابع التشويق والترغيب .

6) ان دراسة الفقه الاسلامى يجب أن تكون موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياه ، مع التوكيد على حقيقة هامة هى أن الحلول الاسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل فى المجتمع الاسلامى .

كما يوصى بأن تكون دراسة الشريعة الاسلامية بكل فروعها هى الدراسة الاساسية فى كليات الحقوق ، مع عقد دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عند الحاجة وعلى أيدى نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الايمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على ابراز ما فى الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الامة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع فى الانحرافات والنتائج الضارة التى نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة الرأسمالية والشيوعية على السواء .

7) العناية بتدريس الثقافة الاسلامية فى جميع مراحل الدراسة والمرحلة الجامعية بصفة خاصة ، وكذلك الكليات العسكرية وكل كلية ومعهد بما يواجه حاجات الطلاب ويحل مشكلاتهم العلمية والفكرية والدينية ويجيب عن تساؤلاتهم وبما يبين عظمة الاسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمه، واصلاحه لاحوال البشر فى كل زمان ومكان ، وعرض امجاد التاريخ الاسلامى فى شتى المجالات وما قامت به الامة الاسلامية من انجازات انسانية ومادية وسياسية وعسكرية وحضارية استحقت بها أن تكون « خير أمة اخرجت للناس » وبيان فضل النظم الاسلامية على الانظمة البشرية الجائرة المنحرفة فى القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، مع العناية بعرض الانحرافات القائمة فى الحضارة المعاصرة بشقيها الرأسمالى والشيوعى ، مع ما يقابلها من نظم شويهة فى الاسلام .

وتناولت التوصيات عددا من القضايا على صعيد العالم الاسلامى .

رسالة النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل

● اعلن جلالة الملك حسين عاهل الاردن انه توجد بحوزته الرسالة الاصلية التى بعثها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم . وقد اهتمت وكالات الانباء العالمية بهذا الخبر باعتباره اكتشافا جديدا فى تاريخ الاسلام .

والرسالة من سبعة اسطر ، وحروفها غير منقطة .

وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم . . سلام على من اتبع الهدى . . اما بعد . فانى ادعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وكان الملك حسين قد وجه بيانا من التليفزيون الاردنى الى العالم الاسلامى . . اعلن فيه أن الرسالة الطاهرة التى بعث بها الرسول عليه السلام الى هرقل عظيم الروم قد وصلت اليه وهى نفس الرسالة . . وليست صورة منها أو تقليدا لها وان الرسالة كانت فى حوزة الملك عبد الله واسر الى احدى زوجاته بأن تحتفظ بها معها ضمن اشياء اخرى . . وطوال السنوات الاخيرة جرت محاولات من دول اسلامية مختلفة للحصول على هذه الرسالة كوثيقة تاريخية من الوثائق الاسلامية المجيدة . . وكانت الحكومة الاردنية تقوم باتصالات مع زوجة

الملك عبد الله كي تحصل منها على الرسالة لاهميتها وقيمتها التي لا تقدر بمال .

الدعم الاقتصادي لمسلمي الفلبين

● وزع الزعيم الفلبيني المسلم السيد عبد الله كبير عضو قيادة « جبهة تحرير مورو » بمندناو جنوب الفلبين بيانا موجها الى الامة العربية والاسلامية لخص فيه وضعية المسلمين في تلك المنطقة ، وأهاب بالعالم الاسلامي الى بذل العون والمساعدة المادية للاقلية الاسلامية في الفلبين ، وجاء في هذا النداء :

« عندما يوقع اتفاق الحكم الذاتي بين حكومة الرئيس ماركوس وجبهة تحرير مورو ، التي تقود ثورة مسلمي الفلبين ، يبقى سؤال كبير يشغلنا ويؤرقنا ، ومن حقنا ان نطرحه على اخواننا العرب وعلى المسلمين في كل مكان . السؤال هو : « ما هو دور العالم العربي الاسلامي في تعمير منطقة الجنوب ، بعد الخراب الذي حل بها طوال سنوات الحرب الست ؟ » .

ان الحرب الدائرة منذ عام 1971 قد خلفت وراءها دمارا في كل مكان ، في المدارس والمستشفيات والمساكن والمساجد ، فضلا عن آلاف المشردين الذين تركوا بيوتهم ولجأوا الى المعسكرات والجبال او الذين تركوا الوطن كله وانتقلوا الى ولايتي « صباح وساراواك » جنوبي ماليزيا .

ولاننا نظن ان اغلب المسلمين والعرب لا يعرفون شيئا عن بلادنا ، الا ما تتناقله وكالات الانباء عن القتال ، فنحن نقول ان بلادنا مليئة بالموارد والخيرات . ولعل هذا هو احد الاسباب الرئيسية التي اثارت الاطماع فيها من جانب الشماليين . في بلادنا مساحات هائلة مزروعة بالموز وجوز الهند والاناناس والشاي والارز ، فضلا من الاخشاب ، ومناجم التصدير والذهب . كل اسباب الرخاء متوفرة ورغم ذلك فقد ظل شعبنا تعيسا وفقيرا . كنا نعتبر مواطنين من الدرجة الثانية . ولذا كانت ثورتنا .

لقد شكل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فريق عمل سياسي زار الفلبين وبذل جهدا في طريق التسوية السياسية ، توج بمباحثات طرابلس في ليبيا ، التي مهدت للاتفاق الذي سيوقع في اوائل هذا الشهر (مارس ـ آذار) .

لماذا لا يكون فريق عمل اقتصادي يدرس أوضاعنا وامكانية الاسهام في استثمار مواردنا الوفيرة ، والمشاركة ـ بالتالي ـ في تنمية وتعمير المناطق الاسلامية في جنوب الفلبين .

اننا نعلم ان العالم العربي لديه شواغله العديدة ، من تعمير لبنان الى تسوية ازمة الشرق الاوسط . ولا نعترف بالضبط في اي ترتيب يمكن ادراج مشكلتنا . . ونحن ندرك ان العالم العربي قد تحرك بمسئولية في الحل السياسي ، ونتمنى ان يباشر نفس المسئولية في التنمية الاقتصادية . ولا نريد ان يبذل العرب هذا الجهد ويعود السلام الى جنوب الفلبين ، ثم نزحف الشركات الاوروبية والامريكية لتجني الثمار وتستغل خيرات بلادنا .

هل يمكن ان يفكر العالم العربي والاسلامي في هذه القضية قبل فوات الاوان ؟ » .

اول مؤتمر للمسلمين في امريكا الشمالية

● انعقد في نيوجرسي بالولايات المتحدة الامريكية خلال الفترة من 22 الى 24 من ابريل الماضي اول مؤتمر اسلامي عن دور المنظمات الاسلامية في امريكا الشمالية . وقد استمر المؤتمر ثلاثة ايام تحت شعار « المسلمون في امريكا الشمالية » وشارك فيه ممثلون عن جميع المنظمات والمراكز الاسلامية في امريكا وكذا وناقش عددا من الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالشؤون التربوية والتعليم وتطوير رسالة المسجد ومشاكل الشباب في العصر الحاضر .

الندوة الاسلامية الثالثة فى تونس

نظمت بمدينة القيروان بتونس مؤخرا ، الندوة الاسلامية الثالثة ، تحت اشراف اللجنة الثقافية القومية وشارك فيها عدد من رجال الدعوة والفكر الاسلامى والمهتمين بالدراسات الاسلامية المعاصرة من تونس والعالم العربى والاسلامى .

وقد عالجت الندوة الموضوعات التالية :

- الاسلام والتيارات الفكرية المعاصرة .
- مشاكل البيئة والغربة .
- الاسلام ومصير المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية .

ندوة حول « العالم الاسلامى والنظام الاقتصادى الجديد »

تقرر أن ينظم « المجلس الاسلامى لاوروبا » ندوة اقتصادية فى لندن فى موضوع : « العالم الاسلامى والنظام الاقتصادى الجديد » .

وينتظر أن يشارك فى هذه الندوة زيادة على الخبراء الاقتصاديين فى البلدان الاسلامية خبراء من اوروبا وامريكا .

مسلمو البوسنة والهرسك

صدر فى النمسا كتاب بعنوان ، الثقافة البوسنوية ، يقع فى 250 صفحة يتحدث عن حضارة وثقافة مسلمى ، البوسنة والهرسك ، باللغة اليوغوسلافية والالمانية للدكتور ، اسماعيل بليغ ، الاستاذ بجامعة النمسا . والبوسنويون من خيرة مسلمى اوروبا ، يمتازون بالتمسك بتعاليم الاسلام فى قوة وصدق ، وقد صمدوا فى الماضى والحاضر وصبروا على تحمل كل ما صادفهم من شدائد ، وما لحق بهم من اذى ، فهم بحق قدوة صالحة لغيرهم . ويتضمن الكتاب ملحقا بالصور فى 16 صفحة .

400 مليون دولار لتوسيع المسجد النبوي

400 مليون ريال سعودي تم اعتمادها للمرحلة الثانية من توسعة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، تبلغ مساحة هذه التوسعة 50 الف متر مربع اي ما يزيد على مساحة الحرم النبوي حاليا بخمسة اضعافه .

المغـــــرب :

● افتتح في الرباط الاسبوع الثقافي السعودي . وذلك في حفل كبير اقيم بمسرح محمد الخامس وترأسه السيد الحاج امحمد با حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والسيد فخري شيخ الارض سفير المملكة العربية السعودية بالمغرب . وحضر حفل الافتتاح عدد من اعضاء حكومة صاحب الجلالة وبعض السفراء العرب والمسلمين وجمهور غفير من المثقفين ورجال الفكر والصحافة .

وتضمن الاسبوع الثقافي السعودي بالمغرب معرضا للكتاب السعودي وآخر للفنون التشكيلية وثالثا لاسبوع الاطفال . وتخللت الاسبوع محاضرات ثقافية وامسيات شعرية ساهم فيها مفكرون واساتذة وشعراء سعوديون .

وقد عكس معرض الكتاب السعودي التطور الهائل الذي شهدته المملكة العربية السعودية في ميدان التأليف والطباعة والنشر ، وخاصة في الجانب الاسلامي حيث اطلع الجمهور المغربي على عشرات المؤلفات الاسلامية والفكرية الهامة بأقلام نخبة من العلماء والمفكرين من الديار المقدسة .

ومن ابرز المحاضرات التي القيت بالمناسبة محاضرة عن دور المملكة العربية السعودية في نصرة قضايا العالم الاسلامي . وقد تناولت مختلف أوجه الدعم والتأكيد التي ما فتئت الحكومة السعودية توليها لقضايا الاسلام والمسلمين في العالم الاسلامي.

● احتفلت الاوساط الثقافية في المغرب بمعرض الكتاب العراقي الذي نظمته سفارة الجمهورية العراقية بالرباط . وكانت مناسبة للاطلاع على التطور الحثيث الذي تشهده حركة التأليف والنشر في العراق الشقيق بما في ذلك ميدان احياء التراث العربي الاصيل ومجالات الانتاج الفكري والادبي المعاصر من قصة ورواية وشعر ودراسات نقدية وابحاث في التاريخ والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والاعلام .

● نظم اتحاد كتاب المغرب مناظرة في موضوع « اشكاليه الثقافة المغربية المعاصرة » وذلك ابتداء من 12 ابريل وتستمر الى 13 من الجاري .

وتناولت المناظرة الموضوعات التاليه :

— الشعر المغربي الى أين ؟

— المرتكزات الشكلية والمضمونية للرواية المغربية

— القصة القصيرة حاضرا ومستقبلا .

— وظيفة النقد .

المرحلة الاستعمارية وتطور البنيات الاقتصادية المغربية .

التبعية وآفاق

— مضمون الحل المستقبلي وخصوصيات تطبيقه (من المرحلة الانتقالية الى البناء الاقتصادي الجديد) .

— اساسة التعلمية الراهنة (اسسها المغربية وآفاق تطورها)

— الاشكاليات التربوية للمدرسة المغربية .

— منهجية التاريخ في المغرب واشكاليتها .

— التراث التاريخي المغربي من خلال المؤرخين

— نقد الرؤية الاستعمارية للتاريخ .

وشارك في المناظرة نخبة من الكتاب والادباء المغاربة نذكر منهم الاساتذة : عبد الوهاب بنمنصور، عبد الكريم غلاب ، د. عبد الهادي التازي ، د. ابراهيم السولامي ، د. حسن المنيعي ، د. أحمد المجاطي، د. محمد برادة ، د. فتح الله ولعلو ، د. عزيز بلال، عبد الجبار السحيمي ، مبارك ربيع ، محمد بلبشير .

● دفع الاستاذ عبد الله كنون الى المطبعة كتابا جديدا يحمل عنوان « مغارك » . وهو يتضمن

مناقشة قضايا فكرية وادبية على جانب من الاهمية راجت ولا تزال تروج على الساحة العربية والاسلامية.

كما يعتزم الاستاذ كنون اخراج ديوان شعره الثاني . وكان الديوان الاول قد صدر في الستينات بعنوان : « لوحات شعرية »

● تعززت المكتبة المغربية بصدور كتاب المحاضرات للعلامة المغربي الكبير الحسن اليوسي . وقد قدم له الدكتور محمد حجي وصدر عن دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر التي دابت خلال الفترة الاخيرة على اصدار عدد من كتب التراث المغربي الادبي والعلمي.

● حصل الاستاذ علي اوملي على دكتوراة الدولة في الفلسفة من جامعة السربون بفرنسا بدرجة مشرف جدا في موضوع « منهجية ابن خلدون في المقدمة » .

● صدرت للكاتب ادريس الخوري مجموعة قصصية بعنوان « ظلال » كما صدر للقصاص محمد زفزاف مجموعة قصصية جديدة بعنوان « البيوت الواطئة » وذلك عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء .

● تلقى المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط هدية باسم الخزانة المركزية للجمهورية الرومانية تتكون مما يزيد على 120 مجلدا في الآداب والفن والعلوم والفنون التقنية .

تونس :

● صدرت عن الدار العربية للكتاب بتونس المجموعات القصصية التالية : « زمن الزخارف » لعمر العمادي ، « اختفت النجوم » لاحمد ابراهيم الفقيه ، « في بيت العنكبوت » لمحمد الهادي بن صالح ، و « الاعمال الكاملة » لخليفة التكالي ، و « الرخ يجول في الرقعة » لمحمد صالح الجابري .

ليبيا :

● صدرت عن الدار العربية لكتابه مجموعة قصصية تقع في 110 صفحة وتضم سبع قصص قصيرة للدكتور محمود عبد المولى .

لبنان :

● صدر في بيروت كتاب جديد للكاتب غالي شكري بعنوان « عرس الدم في لبنان » عن دار الطليعة .

العراق :

● يقوم العراق بجهود ثقافية مشكورة في نشر وتحقيق امهات الكتب العربية في التاريخ والتراجم والادب والعلوم العربية والاسلامية ، وقد اصدرت وزارة الاعلام في العراق مؤخرا النصف الثاني من كتاب « الزهرة » لابي بكر ابن الامام داود الظاهري وذلك بتحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي . وكان الجزء الاول قد حققه ونشره منذ سنوات المستشرق « نيكل » .

الكتاب يقع في 400 صفحة من الحجم الكبير ويحمل رقم 37 من سلسلة « كتب التراث » التي تصدرها الوزارة .

● « العرب واليهود في التاريخ » كتاب جديد للدكتور احمد سوسة مؤلف كتاب « الشريف الادريسي » الذي كرمته عليه الجامعة العربية وانعم عليه بسببه جلالة الملك الحسن الثاني بوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة .

والكتاب يتناول تاريخ العرب وفلسطين في ضوء المكتشفات الاثارية منذ خمسة آلاف عام اي قبل ظهور اليهود على مسرح الاحداث بالفي عام . ويقع في 500 صفحة من القطع الكبير .

شهريات الفكر والثقافة

مصـــــر :

● عن « دار الاعتصام » صدر كتاب « المخططات التلمودية الصهيونية في غزو الفكر الاسلامي » وهو الكتاب السادس في سلسلة « معالم تاريخ الاسلام » التي يعدها الاستاذ أنور الجندي . وللكاتب سلسلة أخرى تحمل عنوان « معلمة الاسلام » تصدر في كتيبات صغيرة للشباب ، كدائرة معارف اسلامية مبسطة تتناول أهم ما يحتاجه الشباب المسلم في ايامنا . والمعلمة تصدر عن « دار الاعتصام » . ونرجو أن نقدم بعض كتب « سلسلة معالم الاسلام » للقراء قريبا ان شاء الله .

● في جامعة القاهرة ، فازت الجماعات الاسلامية في انتخابات اتحاد الجامعة ، واصبح رئيس الاتحاد لاول مرة ، منذ حوالي ربع قرن ، من الجماعات الاسلامية .

● عن « دار فلسطين » للطباعة والنشر بالقاهرة ، صدر كتاب « دمعة على فلسطين » بقلم عبد الكريم صادق ، ويتناول المؤلف جرائم اليهود ووحشيتهم على ارض فلسطين مدعما بالوثائق والصور .

● عن « دار الانصار » بالقاهرة صدرت الكتب الآتية : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة ابي الحسن الندوي ـ الدعاء المقبول للدكتور شعبان محمد اسماعيل ـ لا اله الا الله منهج حياة ـ الاطعام والامن ومنهج الدعوة الى الله بقلم صالح عشماوي .

● جرى اجتماع تحضيري في القاهرة (16 صفر 1397) بدار العشيرة المحمدية لعقد مؤتمر الهيئات الاسلامية لتطبيق الشريعة الاسلامية . وحضره عدد من علماء الدين والدعاة والمهتمين بتطبيق الشريعة الاسلامية .

● في 23 يوليه القادم سيوضع حجر الاساس لاول مدينة أزهرية تقام في قرية بمحافظة الشرقية . المدينة تقام من حصيلة أموال الزكاة الشرعية ، ويشارك في ارساء حجر الاساس كل من شيخ الازهر ووزير الاوقاف ، ورئيس مجلس الشعب وآخرين ؛ ستضم المدينة الازهرية الجديدة : دارا للحضانة ، ومعهدا للفتيات ، ومساكن للعاملين والطلاب الوافدين من خارج المحافظة ؛ فضلا عن معاهد ابتدائية واعدادية وثانوية .

● أناب الرئيس السادات فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في توزيع جوائز حفظ القرآن الكريم على الفائزين في المسابقة التي نظمتها جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وقد اشترك في المسابقة عدد كبير من طلاب الجامعات والرجال والنساء والاطفال ... وقد فاز بالجائزة الاولى « عبد الفتاح خليل بحر » (44 سنة) وهو سجين في سجن القطا بالقناطر الخيرية . السجين المذكور حفظ القرآن خلال سجنه ، وأخرج منه ساعة تسلم الجائزة تكريما لحفظه القرآن الكريم ، وتلاوته بصوت متميز .

● صدر كتاب جديد عن العارف بالله سيدي ابراهيم الدسوقي بعنوان (أبو العينين الدسوقي) تاليف عبد العال دخيل ـ صدر عن دار الشعب بالقاهرة .

● عن مكتبة مصر صدرت الطبعة الرابعة من كتاب « حياة الحسين » للكاتب الراحل عبد الحميد جودة السحار .

● وعن مكتبة مصر ايضا ، صدر كتاب جديد للدكتور سعد شلبي باسم (المؤمنون والنور) .

● في أواخر ربيع الاول الماضي توفي الشاعر المصري « عبد الله شمس الدين » صاحب نشيد « الله أكبر » الشهير . وقد لقي هذا النشيد صدى كبيرا في سنة 1956 لحظة العدوان الثلاثي على مصر ؛ وما زال يتردد على السنة طلاب المدارس حتى الان . وقد اشتهر الشاعر الراحل باشعاره الصوفية والوجدانية التي تدعو الى حب الله والسلام الاجتماعي والصفاء الروحي .

شهريات ـ الفكر والثقافة

● في 12 مارس اقيم باسوان مهرجان ثقافي احتفالا بذكرى الكاتب الراحل « عباس محمود العقاد » شارك فيه مع الجمهور عدد من الكتاب والنقاد ، وقد استمر المهرجان اربعة ايام ، كما شاركت الصحافة والمجلات الاسبوعية بنشر موضوعات وقصائد حول الكاتب الراحل .

● فقدت الحياة الادبية والعلمية في مصر الدكتور « محمد كامل حسين » الاستاذ السابق بطب العباسية وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة وعضو المعهد العلمي المصري وعضو مجمع الجراحة بباريس وعضو الجمعية البريطانية لجراحة العظام في لندن ، والحائز على جائزة الدولة التقديرية في الادب . وقد اشتهر الدكتور محمد كامل حسين ، رحمه الله، بأنه مؤلف « قرية ظالمة » التي تحدث فيها عن « أورشليم » وظلمها .. ومن كتبه أيضا « وثيقة الاسلام » و « متنوعات » .

● وافتتح الثقافة الجماهيرية في مدينة بورسعيد على تخصيص مقر مؤقت لمركز الدعوة الاسلامية بقصر الثقافة في المدينة . المركز يفتتحه فضيلة الامام شيخ الازهر .

● ناقشت لجنة الشؤون الدينية بمجلس الشعب موضوع دعم الدعوة الاسلامية وتعديل قانون الازهر بما يصون كيانه . وقد تحدث في اللجنة حول هذا الموضوع كل من فضيلة الشيخ شعراوي وزير الاوقاف وشؤون الازهر والشيخ صلاح أبو اسماعيل رئيس اللجنة وزكري ادريس عضو المجلس والدكتور عبد الجليل شلبي امين مجلس البحوث الاسلامية والدكتور ابراهيم ندا وكيل جامعة الازهر وعبد الرحمن العدوي الامين المساعد لجامعة الازهر وعلى سلامة عضو المجلس .

● اصدر المؤتمر العام لمبعوثي مصر بالاتحاد السوفياتي الذي عقد اخيرا في موسكو بيانا جاء فيه ان المبعوثين يضمون صوتهم الى المنادين بان يكون المصدر الاساسي للتشريع هو الشريعة الاسلامية واتخاذ الاجراءات الجادة من اجل ذلك حتى لا نظل عرضة للغزو الفكري والفلسفي القائم على اسس تناقض مبادىء ديننا وقيمنا .

● مذكرات السلطان عبد الحميد آخر خلفاء الدولة العثمانية في تركيا تصدر قريبا باللغة العربية.

● صدر في القاهرة كتاب « تلقيح فهوم اهل الاثر في عيون التاريخ والسير » للامام عبد الرحمن ابن الجوزي . وهو اشبه ما يكون بموسوعة اسلامية مختصرة في سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وتابعيه وخلفائه الامويين والعباسيين حتى عهد الناصر لدين الله المتوفى سنة 626 هـ .

وفاة الشاعر محمود حسن اسماعيل

انتقل الى رحمة الله تعالى احد رواد الشعر العربي المعاصر في مصر الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل على اثر مرض ألم وهو بزور الكويت .

ويعتبر الشاعر محمود حسن اسماعيل من جيل المدرسة الوسطية في الشعر العربي اذ يجمع بين المعاصرة والاصالة والالتزام باللغة والموسيقى والعمود الشعري . ويتجلى ذلك بالخصوص في ديوانه « اغاني الكوخ » و « قاب قوسين » .

وبوفاة محمود حسن اسماعيل تنتهي او تكاد تلك المدرسة التي تخرج منها العقاد والمازني وشكري وغنيم والجارم والرافعي وعشرات القمم الشامخة التي اثرت ديوان العرب بما هو رائع وتليد .

الكويت :

● اعتزمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت استئناف عمل موسوعة الفقه الاسلامي . وكان قد أنجز منها في الدورة الاولى الموضوعات التالية :

ـ في دورتها الاولى :

1 ـ الاشربة ، للدكتور وهبة الزحيلي .

2 ـ الاطعمة ، للشيخ علي حسن البولاقي .

3 ـ الحوالة ، للدكتور ابراهيم عبد الحميد ابراهيم .

ـ بعد استئناف عملها :

4 ـ صلاة المسافر ، للاستاذ عز الدين توني .

5 ـ النسب ، للاستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور .

6 ـ الارث ، للاستاذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور .

ـ ومما هو تحت الطبع ، وسيصدر تباعا :

7 ـ القصاص ، للدكتور احمد محمد ابراهيم

8 ـ التعزير ، للدكتور عبد العزيز عامر .

9 ـ شركات الاموال ، للدكتور ابراهيم عبد الحميد ابراهيم .

10 ـ شركة المضاربة « القراض » للدكتور ابراهيم عبد الحميد .

11 ـ القسمة : للدكتور ابراهيم عبد الحميد ابراهيم .

12 ـ الايمان ، للشيخ علي حسن البولاقي .

حيث ينشر بهذه الطبعة التمهيدية ما ينجز من الموضوعات الفقهية المكتوبة للموسوعة ، بصورة متفرقة ، كل موضوع على حدة برقم متسلسل دون مراعاة الترتيب الالفبائي بين هذه الموضوعات ، كما انها لا تتضمن الالفاظ الفقهية التي تذكر في كل حرف لمجرد الاحالة باحكامها على كلمة في حرف آخر .

● من الكتب القيمة التي تعززت بها المكتبة الكويتية كتاب السيدة مريم عبد الملك الصالح الذي اصدرته مكتبة دار الفكر بالكويت بعنوان « صفحات من التطور التاريخي لتعليم الفتاة في الكويت » . وهو دراسة تاريخية ميدانية عن التعليم النسوي في مختلف مراحله .

اسبانيا :

● منحت جائزة « بابلو اولافيدي » لادب الذكريات هذا العام للشاعر خوان خيل البرت ، وكانت لجنة الجائزة مشكلة من كارلوس بارات وغرسيا اورتيلانو وخوان مارسي وقد اجمعوا على ان خيل البرت من أحسن الكتاب المعاصرين .

● تمنح وزارة التربية والعلم الاسبانية سنويا جائزة الترجمة واسمها « فراي لويس دي ليون » الى اللغة الاسبانية . وقد نال الجائزة هذا العام كرمن برافو فلياسنتي لحسن ترجمتها ولا سيما لترجمة الكتاب الذي يحمل عنوان « اكسير الشيطان » .

● صدر العدد الاخير من النشرة الفنية ARABISIMO التي يصدرها المعهد الثقافي الاسباني ـ العربي ، وهو يعطي لمحة عن مختلف النشاطات في جميع ميادين التعاون الثقافي .

ومن بين هذه النشاطات نذكر :

1 ـ المناظرة العاشرة حول « الفكر الاسلامي » .

2 ـ احياء الذكرى الثمانمائة والخمسين لميلاد الفيلسوف والعالم العربي ابن رشد .

3 ــ المؤتمر العالمي الخامس عشر للعلوم الانسانية في آسيا وافريقيا الشمالية .

4 ــ المهرجان العالمي للاسلام .

5 ــ احياء الذكرى الالف لميلاد الخليفة الاندلسي الحكم الثاني .

وزيادة على هذه التجمعات التي تهدف الى بعث الحضارة العربية الاسلامية فان المعهد الثقافي الاسباني العربي يلعب دورا مهما في نشر الثقافة على يد اساتذة اكفاء من اسبانيا والعالم العربي ، والمعهد يطبق احدث الطرق البداغوجية في التعليم ويستدعي لالقاء المحاضرات اساتذة أكاديميين متخصصين ، وفيما يلي بعض العناوين للمحاضرات التي ألقيت في مجموع المعاهد والجامعات الاسبانية خلال السنة المنصرمة :

ــ هل ابدع العرب تحت الحكم الاسباني ؟

ــ العلاقات الاسبانية العربية .

ــ الجنس في الاسلام .

ــ التقدم : الواقع والخيال .

ــ من اجل مقارنة تاريخية في الادب الاسلامي

ــ العلاقات بين الملوك الاسبان ومصر .

ــ الرموز والفن والتكنولوجيا عند المصريين القدامى .

والى جانب هذه المحاضرات وغيرها التي تلقى في معاهد وجامعات اسبانيا تقوم مجموعة من الاساتذة الاسبانيين بالقاء دروس نظرية في بلدان العالم العربي ، وفي هذا النطاق زارت بعثة ثقافية اسبانيا مدينة تطوان باستدعاء من القنصل الاسباني العام بهذه المدينة .

ومن النشاطات الثقافية الاخرى يضطلع المعهد بترجمة مؤلفات عربية واسبانية وبالبحث في اصول الثقافتين وفنونهما وباحياء مسيرة عظمائهما .

وفي النشرة مجموعة من الاخبار الثقافية والفنية نشرت في الصحف والمجلات الاسبانية والعربية ، وتشتمل على العروض الفنية وعناوين الافلام والوثائق التي تقدم للجمهورين الاسباني والعربي .

● نشرت مجلة « اربور » الصادرة عن المجلس الاعلى للابحاث العلمية في اسبانيا عددا ممتازا عن البحث العلمي في اسبانيا .

وقدم العدد الاعمال المنجزة وحدد الغايات المنشودة في مجال الابحاث العلمية ، وتصدر العدد بخطاب وزير التربية والعلم حول اسبقية الحوار بين المحافل الادارية والجماعة البشرية العلمية .

واشتركت في العدد شخصيات بارزة في ميدان الابحاث العلمية تناولت في مقالاتها مواضيع عديدة تتراوح بين الانجازات الانسانية والتكنولوجية والابحاث الذرية والزراعة .

● ظهرت في مدينة بلنسية مجموعة جديدة من الشعر اسمها « لندس » تلتقط الكتب المؤلفة في اى لغة كانت في شبه الجزيرة الاسبانية ، ولا يطلب من التاليف الا الجودة . والمجلدان الاولان اللذان ظهرا يحملان عنوان « الى الذين سيقرأون سقراط » لخوان خيل البرت . وكتاب شعري آخر للشاعر الشاب بدره بيسو مؤسس المجلة الشعرية «موريس» .

فهرس العدد الرابع - السنة الثامنة عشرة

صفحة

الافتتاحية

1 — الثقافة المغربية والمفاهيم المستوردة ..... دعوة الحق

7 — الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (9) ..... للاستاذ عبد الله كنون

12 — الحياة والعيش ..... للاستاذ محمد العربي الخطابي

20 — مؤلفات مغربية فى الصلاة على خير البرية ..... للاستاذ محمد المنوني

32 — كلمة فى فضائل الاسلام ..... للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

35 — الامير أبو عبد الله العالم وندواته الادبية ..... للاستاذ سعيد أعراب

40 — تحريف التاريخ : اهم مظاهره واساليبه ..... للدكتور ابراهيم حركات

49 — الاسلام والنصر ..... للواء الركن محمود شيت خطاب

54 — خصائص ظاهرة الاستمرار (2) ..... للدكتور ادريس الكتاني

59 — دور احمد حسن الزيات فى الحركة الادبية ..... للاستاذ احمد زياد

62 — مدخل لدراسة الصحافة المغربية ..... للاستاذ زين العابدين الكتاني

67 — نقد التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية ..... للاستاذ محمد العربي الناصر

78 — أبو الفضل عياض ومشيخته الادبية ..... للاستاذ عبد الله الجراري

82 — التفتح الاموى واثراء الفكر العربي بالاندلس ..... للاستاذ أحمد البوعياشي

89 — اثر المبادىء الاسلامية فى تقدم المسلمين ..... للاستاذ عبد الحليم عويس

93 — نماذج من ادب الصحراء ..... للاستاذ شبيهنا حمداتي

صفحة

106 ـ الروح وصفاؤها ... للاستاذ م. ح. العزيز

115 ـ الحاج علي عواد ... للاستاذ محمد الطيب العلوي

119 ـ الوجادات ... للاستاذ عبد القادر زمامة

مكتبة دعوة الحق :

124 ـ جولة فى كتاب يتيمة الدهر ... للاستاذ محمد بن تاويت

135 ـ التاريخ والسير ... للاستاذ المهدي البرجالي

140 ـ تاريخ شالة الاسلامية ... للدكتور عثمان عثمان اسماعيل

154 ـ امير مغربي فى طرابلس ... للدكتور م. ك. شبانة

148 ـ المحاضرات لليوسي ... للاستاذ أحمد توكي

ديوان المجلة :

155 ـ ايها المسلمون ... للاستاذ المدني الحمراوي

159 ـ جاء الاسلام ... للاستاذ احمد الشريف

162 ـ بمولد المصطفى قد أشرق الافق ... للاستاذ محمد بن محمد العلمي

167 ـ عيد اكبر وعيد أزهر ... للاستاذ محمد البوعناني

171 ـ قصة قصيرة : سفير ... للاستاذ محمد بن احمد اشماعو

180 ـ شهريات العالم الاسلامي ... دعوة الحق

185 ـ شهريات الفكر والثقافة ... دعوة الحق